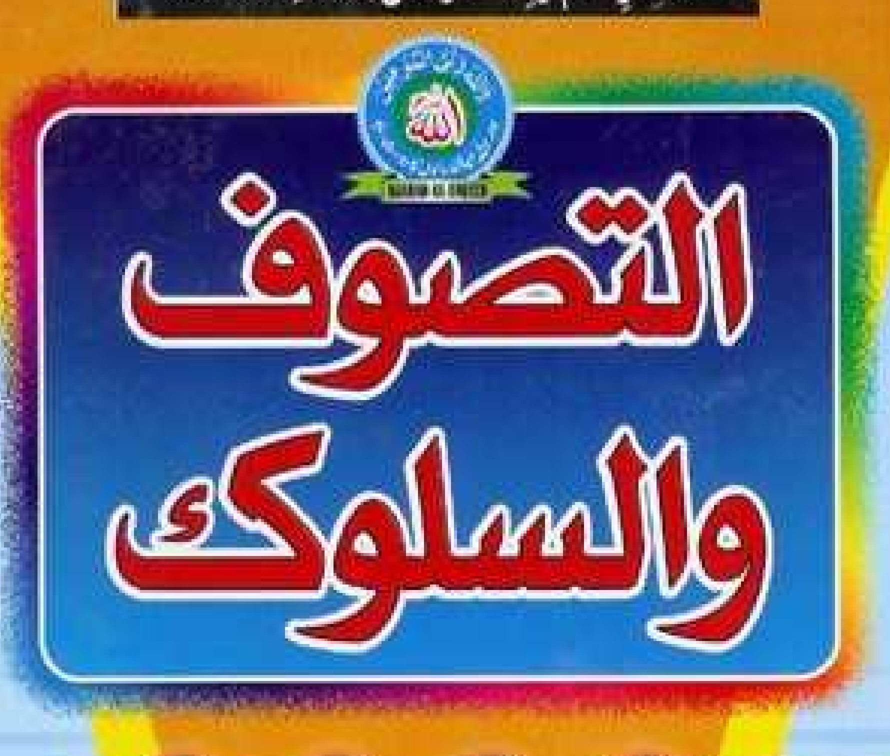



اثبات علم التصوف

تحقيق لفظة الصوفي

ضرورة الشيخ

انشاء الزوايا

دروس التصوف

المعارف والنكات

التصوف ما هو

اثبات بيعة الطريقة

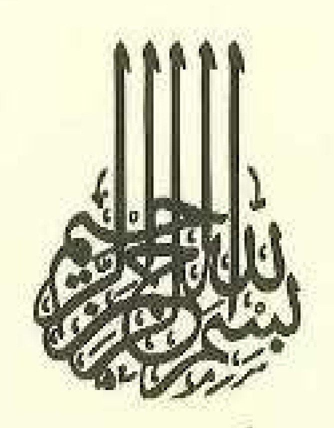
آداب المرشد

المعتقدات

الاعمال اليومية

الاخلاق الحميدة

شيخ المشائخ **مولانا ذوالفقار احمد** النقشبندي المجددي متعنا الله بطول حياته



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين

# الباب الأول

# عِلْمُ التَّصَوُّفِ

نذكرُ ثلاثةَ أدلّةٍ لثبوتِ علمِ التصوّفِ شرعاً.

## الدليلُ الأوّلُ:

قال ـ جلّ شأنه ـ: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٢٠] قال العلامةُ علاءُ الدينِ عليُّ بنُ محمّدٍ البغداديُّ الشهيرُ بالخازنِ رحِمَهُ اللّهُ تحتَ هذهِ الآيةِ: «المُرادُ بظاهرِ الإثمِ أفعالُ الجوارحِ وباطنِهِ أفعالُ القلوبِ».

[لباب التأويل في معاني التنزيل ج ٢ ص ١٢٢]

فأعمالُ الإنسانِ على ثلاثةِ أقسامٍ:

## القسمُ الأولُ:

الأعمالُ المتعلّقةُ بظاهرِ الإنسانِ فقطْ، وبعضُ الآياتِ تذكرُ أحكامَ هذهِ الأعمالِ مثل: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١] و: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] و: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

## القِسْمُ الثَّاني:

الأعمَالُ المتعلِّقةُ بباطنِ الإنسانِ وكثيرٌ مِنَ الآياتِ تذكرُ أحكامَ هذه الأعمَالِ مثل: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٨١] و: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤] و: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة: ١٥٠].

## القِسْمُ الثالثُ:

الأعمَالُ المتعلِّقةُ بظاهِرِ الإنسانِ وباطنِهِ مَعاً مَثلاً قولُ اللهِ تعالى في ظاهِرِ الصَّلاةِ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢] وقوله في باطنِ الصَّلاةِ: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢].

واعلَمْ أنَّ الأعمالَ الظَّاهِرة لها عَلاقةٌ بعِلْم القَالِ (الفِقْه) والأعْمَالَ البَاطِنة لها عَلاقةٌ بعِلْم الحَالِ (التَّصوّف) وهذانِ العِلْمانِ تعلَّمَهُما الصَّحابةُ رِضوانُ اللهِ عَلَيهم أجمعينَ ويَدلُّ عَلى ما قُلْناه الأحَادِيثُ الآتية:

عَنْ أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قالَ: (حَفِظْتُ مِنْ رسولِ الله ﷺ وِعَاءَيْنِ: فأمَّا أحَدُهما: فبَثَثْتُهُ، وأمَّا الآخَرُ: فلو بَثَثْتُه قُطِعَ هٰذا البُلْعومُ).

[مشكاة كتاب العلم ص ٣٧]

قَالَ المحدِّثُ الشَّهيرُ، والفَقيهُ النَّبيلُ عليُّ بنُ سلطانٍ محمَّد القَارِيّ رَحِمه الله تعالى في شَرْحِ هذا الحديثِ: (فأما أحَدُهما) وهو عِلْم الظَّاهِر مِنَ الأحكَامِ والأخْلاقِ، (فبثثته) أي أظْهرتُه بالنَّقْلِ فيكم. (وأما الآخَرُ) وهو عِلْمُ البَاطِنِ (فلو بثثته) أي نَشَرتُه وذَكَرتُه لكُمْ بالتَّفصيلِ (قُطِعَ هذا البُلعومُ) بِضَمِّ الباءِ أي الحُلْقُوم، لأنَّ أسرارَ حقيقةِ التَّوحيدِ مما يَعْسُرُ التَّعبير عنه على وَجْهِ المُرادِ.

[مرقاة المفاتيح ج ١ ص ٣١٣]

قال عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضي الله عنهما بعدَما دُفِنَ سيدُنا عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه: تُوفِّي اليوم تِسعةُ أعْشارِ العِلْمِ، فأنكرَ بعضُ

الصَّحابةِ على هذا القولِ، فقال عَبْدُ اللَّهِ رضي الله عنه: ليسَ المُرادُ مِنْه عِلْمَ الحَيْضِ والنّفاسِ، بلِ المُرادُ العلمُ باللّه فاقتنعُوا أجمعينَ بهذا الجواب فتحقّق الإجماعُ السّكُوتي للصّحابة عليه، ولا شَكَّ أنّ الصّحابةَ رضي اللّه عنهم أجمعينَ ما كَانُوا يسكُتُون على أمرٍ يخالفُ الشرعَ، بل كانوا سيوفاً مسلولةً ضدّ الباطلِ.

لا خِلافَ بينَ أهلِ العِلمِ أنّ من أصحابِ رسول اللّه ﷺ مَنْ كان مخصوصاً بعِلم أسماءِ المُنافقينَ كان قد أسرّهُ إليه رسولُ اللّه ﷺ حتى كان عُمَرُ بن الخطّابِ رضيَ اللّه عنه، يسأله عن نفسهِ مخافةَ أنْ يكونَ مِنهم فيقولُ: هَلْ أنا مِنهُم؟

[اللمع ص ١٩ وانظر أسد الغابة ج ١ ص ٣٩١]

قَدْ كانَ لبعضِ التابعينَ فضلٌ على بعضِ الصّحابةِ في علمِ القالِ (كالفِقْه) فربّما كان عبدُ اللّه بنُ عباسٍ رضي اللّه عنهما يسألُ عن أمرٍ فيقولُ: سَلُوا جَابرَ بنَ عبدِ اللّه وليعملْ أهلُ بُصْرى على فتواهُ، وعبد اللّه ابن عمر رضي اللّه عنهما كان يقولُ: سَلُوا سعيدَ بن المسيّب، ويقولُ أنس: سَلُوا الحسنَ البصريّ إنّه حَفِظ ونَحْنُ نَسِينا وَلا شكَّ أنّ فضلَ الصّحابةِ في المعرفةِ واليقينِ (عِلْمِ الحالِ) على التابعينَ كفَضْلِ الشّمسِ على مِصْباحِ اللّيل ويُمكن تقدير يقينِ الصحابة رضي اللّه عنهم مِن روايةٍ حكاها الإمامُ ابنُ أبي شَيْبة في المصنّفِ، والحَكيمُ التّرمذيّ في فَضْلِ الصّلاة، وابنُ الأثيرِ في أُسْدِ الغَابةِ أنّ النّبيّ ﷺ سأل مرةً واحداً من أصْحَابهِ (وهو حَارِثةُ بنُ سراقةَ الأنصاريّ الشّهيد ببدرٍ) كَيْفَ أصبحتَ يا حارِثُ؟ قَالَ: أصْبَحْتُ مؤمناً باللّه حقاً. قال: انظُر ما تقولُ يا حارِثُ إنّ لِكُلِّ شيءٍ حقيقةً فما حَقيقةُ إيمانِكَ؟

فقال: عزلتُ نفسي وصرفتها عن الدّنيا فاستوى عندي حَجَرُها وذهبُها وفضّتها ومدرُها فأسهرتُ لَيْلي وأظمأتُ نَهاري حتى صِرتُ كأنّي

أنظرُ إلى عَرْشِ ربّي بارزاً وكأنّي أنظرُ إلى أهْلِ الجنّةِ يتزاورونَ فيها وكأنّي أنظرُ إلى أهْلِ النّارِ يتَضَارعُونَ. وفي روايةٍ: يَتَعَاوَوْنَ. قال النّبيُّ ﷺ: «على هذا عَرَفْتَ فالزَمْ»، وفي رواية ابن أبي شيبة قال له: «عَبْدٌ نُور الإيمَانِ في قَلْبِهِ إن عَرَفْتَ فالزَمْ».

[وفي أسد الغابة ج ١ ص ٣٥٥ والمصنف ج ١١ ص ٤٣ مختصراً]

وعَنْ محمّدِ بن صَالِحِ الأنصاريّ أنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ لَقِيَ عوفَ ابنَ مالكٍ قال: كَيْفَ أصبحتَ يا عوفَ بنَ مالكٍ؟ قال: أصبحتُ مؤمناً حقاً. فقال رسول اللّه ﷺ: «إنّ لكلِّ قولٍ حقيقةً فما حَقِيقَةُ ذلك؟» فقال: يا [illegible] الله [illegible] نفسي عن الدنيا [illegible] ليلي وأظمأتُ هَوَاجِري وكأنّي أنظرُ إلى أهل الجنة يتزاورونَ فيها، وكأنّي أنظرُ إلى أهلِ النارِ يتضاغَوْنَ فيها، فقالَ رسولُ اللّه ﷺ: «عَرَفْتَ [illegible]».

[المصنف لابن ابي شيبة ج ١١ ص٤٢]

عَنْ عليٍّ رضي اللّه عنه: لَوْ بَدَتْ لي الجنّةُ والنّارُ لما ازددتُ يقيناً. وروي في فضلِ أبي بكرٍ رضي اللّه عنه عَنْ زوجتِهِ قالت: ما كَانَ فضلُ أبي بَكْرٍ رضي اللّه عنه عَلَى سائرِ النّاسِ بِكَثْرةِ الصّلاةِ والصّومِ، بَلْ بسببِ يَقِينِ القَلْبِ (المعرفة). وقد حُكي عن بكرِ بن عبد اللّه المزنيِّ أنّه قال: ما فَاقَ أبو بَكْرٍ رضي اللّه عنه جميعَ أصحابِ رسولِ اللّه ﷺ بكَثْرةِ الصّومِ والصّلاةِ، ولَكِنْ بشيءٍ كانَ في قَلْبِهِ، قال بعضُهم: الذي كان في قَلْبِهِ الحبُّ للّه والنّصيحة له.

[اللمع ص ١٢٣]

هذا العِلْمُ، هو عِلْمُ الحَالِ، وهو المُسمّى بالتّصوّف، وهذا العِلْمُ لا يتأتّى بدراسةِ الكُتُبِ، بَلْ لا بدّ لتحصيله من تَرْكِ الدّنيا وشَهَواتِها. كانَ الحسنُ البصريُّ يقول: ما أدْرَكْنا عِلْمَ التصوّفِ من طريق قِيلَ وقَالَ،

بلْ أدركْناهُ بتركِ الدنيا ولذّاتِها، فتحقّقَ أنّ أنهارَ عِلْمِ القالِ وعِلْمِ الحَالِ كلّها خرجَتْ من منبعِ النبوّةِ.

## الدليلُ الثاني:

رَوَى مسلمٌ عنْ أبي هُريرةَ رضيَ اللّهُ عنه أنّهُ قالَ: قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «سَلُوني». فهابُوه أنْ يسألُوه، قالَ: فجاءَ رجلٌ فجلسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ، فقالَ: يا رسولَ اللّهِ! ما الإسلامُ؟... ما الإيمانُ؟... ما الإحسانُ؟ (الحديث).

[مسلم ج ١ ص ٢٩]

هذه الأسئلةُ والأجوبةُ معروفةٌ بحديثِ جبريلَ عليه السّلام، فالصّحابةُ رضيَ اللّهُ عنهم ما كانُوا يسألونَ النبيَّ ﷺ بغلبةِ جلالِ النبوّةِ إلّا قليلاً، فأرسلَ اللّهُ تعالى جبريلَ عليه السّلام في صُورةِ إنسانٍ لِتَعْليمِ الحقائقِ الدينيّةِ ليسألَ هو ويجيبَ معلّمُ الكونِ حتّى تملأَ أذيالَ الصّحابةِ رضيَ اللّهُ عنهم من الجَواهرِ العلميّةِ، وبَعْدَ أن ذَهَبَ جبريلُ عليه السلام، قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «فإنّه جبريلُ أتاكُم يعلّمكُم دِينكُم»، فأخبر بقوله: «أتاكم يعلّمكُم دينكُم» أنّ خُلاصةَ العُلومِ الدينيّةِ مَوْجودةٌ في هذه الأجْوبةِ فيمكنُ تقسيمُ جميعِ الأحاديثِ على ثَلاثِ شُعَبٍ:

- الأحاديثُ التي تتضمّنُ أصولَ الدّينِ وأفكارَه.
- الأحاديثُ التي لها عَلاقةٌ بإصْلاحِ الأعْمالِ الظّاهرةِ.
- الأحاديثُ التي لها علاقةٌ بإصلاحِ الإنسانِ.

وَوَرَدَ في حديثِ جبريلَ ذِكْرُ هذه الأقسامِ الثّلاثةِ جميعاً فمَوْضُوعُ إصْلاحِ العقائدِ جاءَ في: (ما الإيمانُ)؟

ومَوْضُوعُ إصْلاحِ الأعمالِ الظّاهرةِ وَرَدَ في: (ما الإسلامُ؟).

وأمّا موضوعُ إصلاحِ الأخلاقِ فيتضمّنه: (ما الإحْسانُ؟).

واعْلَمُوا أنَّ بيانَ خلاصةِ الدِّين كلِّه في عدّة جُمَلٍ إعجازٌ نبويٌّ، فهٰذا الحديثُ من جَوَامِعِ الكَلِمِ.

كانَتْ في ذاتِ رسولِ اللّٰه ﷺ جامعيّةٌ كاملةٌ لجميعِ هذه المَوْضُوعاتِ إلى الغايةِ. فسَّرَ هذهِ الشُّعبَ الثَّلاثَ حقَّ التَّفسيرِ ونَشَرَها وكان في الصَّحابةِ جامعيّةٌ إلى حدٍّ ما، لٰكِنْ وَقَعَ النقصُ فيها شيئاً فشيئاً بمرورِ الزمنِ إلى أن دوَّن عُلَماءُ الأمةِ هذه الشُّعبَ في علومٍ ثلاثةٍ مستقلّة.

فدوَّنوا عِلْمَ الكلامِ لحفظِ وشرحِ التوجيهاتِ التي وَرَدَتْ في الكِتابِ والسُّنّةِ لتصحيحِ العقائدِ.

ودوَّنوا عِلْمَ الفِقْهِ لشرحِ هَدي الكِتابِ والسُّنّةِ للأعمالِ الظّاهرةِ.

والأمورُ التي أرْشَدَ إليها الكتابُ والسُّنّةُ لإصْلاحِ الباطِنِ دُوِّنَ لتفصيلاتِها عِلْمُ الإحسانِ وعِلْمُ الأخلاقِ وعِلْمُ التصوّفِ، فالبارعُ في هذه العُلُومِ الثلاثةِ هو الجَديرُ بأن يُسمّى محققاً وعالِماً كاملاً، فتبيّنَ مِنْ هذا التَّفصيلِ أنَّ هذه العلومَ الثلاثةَ دوِّنت تيسيراً على الأمّةِ، وليستْ هي [illegible]

وثمراتِهما.

قال الشَّيْخُ زَرُّوق في كِتابِهِ إيقاظِ الهِمَمِ: (نسبةُ التصوّفِ من الدِّين نسبةُ الرّوحِ إلى الجَسَدِ).

وقال الشيخ مجدّد الألفِ الثاني في مكتوبٍ له إلى الملّا حاجّي محمّد اللاهوري: (شُعَبُ الشَّرعِ ثَلاثٌ: عِلْمٌ وعَملٌ وإخلاصٌ، فما لم تتحقّقْ هذه الشعبُ الثلاثُ لم تتحقّقِ الشريعةُ، ولمّا تحقّقتِ الشّريعةُ تحصلُ مرضاةُ اللّٰه التي هي فَوْقَ جميعِ سعاداتِ الدّنيا والآخرةِ.

الطّريقةُ والحقيقةُ اللتان يَمْتازُ بهما الصّوفيةُ تخدُمانِ الشّريعةَ، لتكْميلِ الإخْلاصِ فلا غَرَضَ مِنْ تحصيلِهما إلّا تكْميلُ الشريعةِ فقطْ، أمّا

الأحوالُ والمواجيدُ والعُلومُ والمعارفُ التي تحصُلُ أثناءَ الطَّريقِ، فليستْ مِنَ المَقاصدِ فيجبُ الوُصولُ بَعْدَ مجاوزةِ جميعِ هذه إلى مقامِ الرِّضا التي هي آخِرُ منازلِ السلوكِ، فلا غايةَ لعبورِ منازلِ الطَّريقةِ والحقيقةِ سِوى تحصيلِ الإحْسانِ).

[المكتوبات ج ١ مكتوب ٣ و٦]

قال الشَّيخ وليُّ اللّه المحدِّث الدهْلَوي رحمه اللّه: (ومَقْصُودُ الطَّائفةِ العاليةِ الصّوفيّةِ حصولُ مشاهدةِ الحقِّ كأنَّك تَراهُ وذلك الحُضُور يسمّونه مشاهدةً بالقلْبِ).

[الانتباه في سلاسل أولياء الله ص ٣٩]

## الدَّليلُ الثالثُ:

قَالَ عُلَمَاءُ الأُصولِ في تعريفِ الحَديثِ المُتَواترِ الذي يَكُونُ قطعيَّ الثُّبوتِ: (الخبرُ المُتَواترُ ما يَكُونُ له طُرقٌ بلا عددٍ معيّنٍ تكونُ العادةُ قد أحالَتْ تَواطؤهم على الكَذِبِ (نخبة الفكر)، فالخبرُ المتواترُ ما يرويه هذا القَدرُ مِنْ عَدَدِ النَّاس في كلِّ زمانٍ لا يسلمُ العقلُ السليمُ والطَّبع الإنساني توافُقَهم على الكَذِب والاخْتِراعِ، أو أنَّ هذه ثمرةُ مكيدةٍ، إذا ثَبُتَ هذا نقولُ: إنَّ علمَ التَّصوُّفِ ثابتٌ بالتّواترِ والتّوارثِ، فمِنَ القَرْنِ الثاني إلى الآنَ قَدْ تعلَّم التصوّفَ عددٌ كثيرٌ من المُخْلصين في كلِّ قرنٍ استفادوا بأنفسهم وأفادوا آخرين، وهذا الدليلُ يكفي لإيضاحِ حقيقةِ وإثباتِ شرعيةِ عِلْم التصوّفِ. قال مَفْخرةُ الهِنْدِ الشيخ الشاه وليّ اللّه المحدِّث الدهلوي: (صحبْنا وتعلّمنا آدابَ الطريقةِ والسُّلوكِ متصلةً إلى رسول اللّه ﷺ بالسَّندِ الصّحيحِ المستفيضِ المتّصلِ).

## قُصارَى القَوْلِ:

أَخَذَ الصَّحابةُ رضي اللّه عنهم مِنْ رسولِ اللّه ﷺ عِلْمَ القالِ وعِلْمَ

الحَالِ، واستمرّ مِنْ ذلكَ الوقتِ إشاعةُ هذه العُلُومِ وتَرْوِيجُها، وفي العَصْرِ الحَاضِرِ يوسَمُ عِلْمُ القَالِ بالفِقْهِ أو الشّريعةِ، وعِلْمُ الحَالِ بعِلْمِ التّصوّفِ والطّريقةِ، ولَا بُدّ مِن هذيْنِ العِلْميْنِ لِتَكْميلِ إيمانِ الإنسانِ، فكَمَا وجَبَتْ على الطّالبِ دِراسة كَنْز الدّقائقِ والهِدايةِ، وَجَبَ عليْهِ أن يَدْرسَ كِتابَ اللّمعِ (لأبي نصر السرّاج) وقُوتَ القُلُوبِ (لأبي طالب المكي)، والأربعينَ (للإمام الغزالي)، وعَوارِفَ المعارفِ (للشيخ السّهروردي)، والمكتوباتِ (للشيخ مجدّد الألف الثاني). وإن وَجَبَتِ الاستفادةُ مِنَ العَسْقلانيِّ والقَسْطَلانيِّ للكَمَالِ في الروايةِ؛ فلا مفرّ مِنَ الانتفاعِ بجُنيد وبايزيد، لتحصيلِ الكمالِ في الدرايةِ.

## مَكانةُ التصوّفِ عند أخيارِ الأمة:

قال الشيخُ أبو طالبٍ المكيّ في قُوتِ القُلُوبِ: (هُمَا عِلْمَانِ أصليّان لا يستغني أحدُهما عَنِ الآخرِ، بمنزلةِ الإسْلامِ والإيمانِ مرتبط كل منهما بالآخر كالجِسْمِ والقَلْبِ لا ينفكّ أحدُهما من صَاحبِهِ).

يقولُ شيخُ الإسْلام زكريّا الأنصاريّ رَحِمه اللّه: (الشّريعة ظَاهر الحقيقة والحَقيقة باطنُ الشّريعة، وَهُمَا متلازمَانِ لا يتمّ أحدُهما إلا بالآخرِ).

قالَ الإمامُ مَالكُ بنُ أنسٍ رَحِمه اللّه: (مَنْ تفقّه ولَمْ يتصوّفْ فقد تفسّقَ، ومَنْ تصوّف ولم يتفقّه فقد تَزَنْدقَ، ومَنْ جمَع بينهما فَقدْ تحقّق).

قال الشّيخُ العلّامةُ محمد أمين الشّامي رَحِمه اللّه: (الطريقةُ والشريعةُ متلازمتان).

أنشدَ الشّاعرُ أكْبَر إله آبادي رَحِمه اللّه في بيانِ الشّريعةِ والطّريقة عدة أبياتٍ جميلةٍ بلغةِ أرْدُو ومَعْناها:

اسمَعُوا منّي هذا السرّ في كَلِمتيْنِ — الشرعُ وُضوءٌ والطّريقةُ صَلاة
الشريعةُ في نادِي المُصطفى — الطّريقة رقى قلْبِ المُصطَفى
في الشريعةِ صورةُ فتْحِ بَدْرٍ — في الطّريقة معنَى شقِّ الصّدرِ
في الشريعة قولُ وعملُ الحَبيبِ — في الطّريقةِ رَوْعةُ جَمالِ الحَبيب
يوجَدُ في النبوّةِ هذانِ اللوْنانِ — فعبثُ الحَرْبِ بيْن الصّوفي والعَالم

فثبتَ أنّ عِلمَ التصوّفِ ليس بشيءٍ اخْتَرَعَه العَجَمُ بل هُوَ مكيّ ومدنيّ خَالِصاً، نَعَمْ أقوالُ الصّوفية الجُهّال التي تخالفُ الكِتاب والسُّنّة مردودةٌ دائماً.

**قال الشيخ الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله:** (كلّ شريعةٍ غير مؤيدةٍ بالحقيقةِ فغير مقبولٍ، وكل حقيقةٍ غير مقيدةٍ بالشريعة فغير مَحْصُولٍ).

**قالَ الشّيخُ الإمامُ الربّاني مجدّد الألف الثاني رَحِمه الله:** (كلّ طريقةٍ ردّته الشريعةُ فهو زَندَقةٌ وإلحادٌ).

وقالَ أيضاً في مَكْتُوباتِهِ: (مَشَايِخُنا لا يَدْفعونَ جَواهِرَ الشّريعةِ النفيسةِ كالأطْفَالِ مُقابِلَ جَوْزٍ وزَبيبِ الحَالِ، ولا يَميلونَ مِنَ النصّ إلى الفصّ، لا يلتفتونَ مِنَ الفُتُوحاتِ المدنيةِ إلى الفُتُوحاتِ المكيّة عَمَلُهُم رَفيعٌ).

**وقال في مقام آخر:** (لا عِبْرة بالرياضَاتِ والمُجَاهداتِ التي تَلْتَزِمُ بغير اتّباع السُّنةِ لأنّ الكهّانَ وبراهم الهند وفلاسفة اليونانِ يلتزمونَها أيضاً ولكنّها لا تَزيدهم إلّا ضَلالاً).

[المجلد الأول المكتوب رقم مائتين وواحد وعشرين]

**قَالَ الشيخُ الحَاج أمْداد الله المُهَاجر المكّي رَحِمه الله:** (ما يَقُولُ بعضُ الجُهَلاءِ مِنْ أنّ الشريعةَ شيءٌ والطّريقةَ شيءٌ آخرُ، فذلك بسبب قلّةِ

فَهْمِهِم فَقَطْ. الطَّرِيقَةُ بِغَيرِ الشَّرِيعَةِ مردودةٌ عِنْدَ اللَّه تعالى، أمّا صَفَاءُ القَلْبِ فتحصل للكفّارِ أيضاً شأنُ القَلْبِ مِثْلِ المرآة إنْ كانَتْ صَدِئَةً يمكنُ تنظيفُها بالبَوْلِ، ويُمْكِنُ بماءِ الوَرْدِ، لَكِنّ الفَرْقَ بينهما كَمَا بَيْنَ النّجاسةِ والطُّهارةِ، اتّباع السُّنةِ مقياسٌ لمعرفةِ الوليّ، مَنِ اتّبع السُّنةَ فهو وليٌّ، ومَنِ ابتدعَ فهو سخيفٌ، وأما العَجَائبُ فسوفَ تصدُرُ عَنِ الدّجّالِ أيضاً).

[رجوم المذنبين ص ١٢٩]

فَلا بدّ للسّالكِ أنْ يتعلّمَ التصوُّفَ من المَشايخِ الّذين يطابِقُ عِلْمهم وعَمَلُهم وحَالُهم وقَالُهم بالكِتابِ والسُّنة مطابقة تامّةً، ولا ينبغي الميلُ أبداً إلى هفواتِ المتصوِّفين الجاهلين. تقول العرب: (خُذْ مَا صَفَا ودَعْ ما كَدَر).

## الباب الثاني

# التصوّفُ مَا هُو؟

قَدْ أجابَ عَنْ هذا السؤالِ: (التصوّف ما هو؟) جماعةٌ بأجوبةٍ مختلفةٍ: مِنْهم الشيخُ إبراهيمُ بنُ المولّد رقي رحمه الله ذَكَر أكثر من مائةِ جوابٍ في كتابهِ نَنقلُ بعضاً منها اختصاراً.

١ ـ سئل الشيخ محمد بن علي القصّاب رحمه الله وهو مِنْ أساتذةِ الشيخِ جُنيدٍ رحمه الله عَنِ التصوّفِ ما هو؟ فقالَ:

(أخلاقٌ كريمةٌ ظَهرتْ في زمانٍ كريمٍ مِنْ رجلٍ كريمٍ مَعَ قومٍ كِرام).

٢ ـ قالَ الشيخُ الجُنيدُ البغداديُّ رحِمَه اللّه:

(التصوّفُ أنْ تُعرِضَ عَنِ الخَلْقِ وتَصِلَ باللّه).

٣ ـ قالَ الشيخُ رُويمٌ رَحِمَه اللّه:

(التصوّفُ اسْتِرسَالُ النّفسِ للّه تَعالى على ما يُريدُه).

٤ ـ قالَ الشيخُ سَمْنونُ رَحِمَهُ اللّه تعالى:

(التصوّفُ أنْ لا تملكَ شيئاً ولا يملكَكَ شيءٌ).

٥ ـ قالَ الشيخُ أبو محمّد الجَريري رَحِمه اللّه تعالى:

(التصوّفُ عَنِ الدّخولِ في كلّ خُلُقٍ سنيّ والخُروج من كل خُلُقٍ دنيء).

٦ ـ قالَ الشيخُ عَمْرو بنُ عثمانَ المكيّ رَحِمه اللّه تعالى:

(التصوّفُ أنْ يكونَ العبدُ في كلّ وقتٍ بمَا هُو أوْلَى في الوَقْتِ).

[اللمع ص ٢٥]

٧ ـ قالَ الشيخُ محمّدُ بنُ علي بن الحُسَيْن بن عليّ بنِ أبي طَالبٍ رضي اللّه عنهم:

(التصوّفُ اسمٌ مرادفٌ لِمَكارِمِ الأخْلَاقِ مَنْ كَانَ أحسنَ منكَ خُلُقاً كان أحْسَنَ تصوّفاً).

٨ ـ قالَ الشيخُ المرتعشُ رَحِمَه اللّه:

(التّصوّفُ مَجْمُوعُ مكارمِ الأخْلَاقِ).

٩ ـ قالَ الشيخُ أبو علي القزويني رَحِمه اللّه:

(التّصوّف يُطْلَقُ على أخلاقٍ يَرْضىَ بها الرّبُ سُبْحَانه).

١٠ ـ قالَ الشيخُ أبو الحَسَنِ النّوري رَحِمه اللّه:

(التّصوّفُ ليْسَ بعبارةٍ عَنْ عِلمٍ أو فنٍّ بَلْ هو عبارةٌ عَنْ مجموعِ الأخْلاقِ الحَسَنَةِ).

١١ ـ قالَ الشيخُ أحمدُ خضرويه رَحِمه اللّه:

(التصوّفُ عبارةٌ عَنِ التّزكيةِ من خُبْثِ الباطنِ وقَذَرِهِ).

١٢ ـ قالَ الشيخُ محمّد بنُ أحمدَ البكريّ رَحِمه اللّه:

(التصوّفُ اسمٌ لإقامةِ أحوالِ النّفسِ على الصّدقِ).

١٣ ـ قالَ الشيخُ أبو حَفْصٍ النيسابوري رحمه اللّه:

(التصوّفُ كلّه آدابٌ، أدبُ كلّ وقتٍ، أدبُ كلّ حالةٍ، أدبُ كلّ مقامٍ).

١٤ ـ قالَ معروفُ الكرخيُ رَحِمه اللّه:

(التصوّفُ الأخذُ بالحقائقِ واليأسُ مما في أيدي الخَلَائقِ).

**١٥ ـ قَالَ الشيخُ أبو الحَسَنِ شَنْجة رَحِمه اللّٰه:**

(التصوّفُ في زمنٍ كان حقيقةً بِلَا اسمٍ، وأصبحَ اليومَ اسماً بِلَا حقيقةٍ).

**١٦ ـ قَالَ الشيخُ أبو حمزة البغداديّ رحمه اللّٰه:**

(التصوّفُ أخذُ العفوِ والأمرُ بالمعروفِ والإعراضُ عَنِ الجاهلين).

**١٧ ـ قال الشيخُ بهاء الدين نقشبند البُخاري رحِمه اللّٰه:**

(التصوّفُ أنْ يكونَ الأمرُ الإجماليُّ تفصيليّاً والأمرُ الاستدلاليّ كشفيّاً).

**١٨ ـ قَالَ الإمامُ الربانيّ مجددُ الألفِ الثاني رَحِمه اللّٰه:**

(التصوّفُ عبارةٌ عن العملِ بالشريعةِ مع الإخلاصِ).

**١٩ ـ قال الشيخُ مولانا محمد أشرف علي التهانوي رحمه اللّٰه:**

(التصوّفُ اسمٌ لمحوِ النَّفسِ).

**٢٠ ـ قَالَ شيخُ الحديثِ مَولَانا محمد زكريا رَحِمه اللّٰه:**

(التّصوّفُ ما بدايتُه: «إنَّما الأعمالُ بالنيّاتِ» ونهايتُه: «أنْ تعبدَ اللّٰهَ كأنّكَ تَراهُ»).

**٢١ ـ قالَ الشيخُ أحمدُ علي اللّاهوري رَحِمه اللّٰه:**

(التصوّفُ أنْ تُرْضُوا اللّٰه بالعبادةِ ورَسُولَه بالطّاعةِ وخَلْقَه بالخِدْمةِ).

## ما حَصَلَ مِنْ هذا الكَلامِ:

الحياةُ جوهرٌ ثمينٌ مفوضٌ بربه إلى الإنسانِ. يخاطبُ ربُّ العالَمِينَ الإنسانَ في مقامٍ بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وفي مقامٍ توجّه بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ [الإسراء: ٧٠] وفي مقامٍ أعزّه بتعليقِ قِلادة قولِه: ﴿فَضَّلْنَا﴾ في عُنُقه، فينبغي للإنسانِ أن يَسْلُكَ على سبيلٍ: ﴿وَتَبَتَّلْ

إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ [المزمل: ٨] واضعاً أمامه ميثاق: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ولا يستريحُ إلّا بَعْدَ أنْ يَبْلغَ إلى منزلٍ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٤٤].

ثم اعْلَمْ أنه لا بدّ لوصولِ كلّ سيّارة إلى المنزلِ من أمرَيْن: أحدُهُما: أنْ يكونَ الشارعُ سالماً. وثانيهما: أن يكونَ البنزينُ موجوداً في السيّارةِ، فإنْ لم يكُنِ الشارعُ سالماً لا تجري عليه السيارةُ، وإنْ لم يُوجَدْ في السيّارةِ بنزين لا تجري السيارةُ أيضاً، فهما متلازمان. فالإنسانُ كالسيّارة والشريعةُ كالشّارعِ والطريقةُ كالبنزينِ، فإنْ كانَ الإنسانُ يريدُ الوصولَ إلى الله تعالى، فهُو محتاجٌ إلى شارعِ الشّريعةِ وبنزين الطّريقة، فالذين يَرْفضُونَ شيئاً مِنَ الشّريعةِ أوِ الطّريقةِ يجدُونَ سيّارتَهُمْ واقفةً في الطّريق. الحياةُ النّاجحةُ أنْ يعيشَ الإنسانُ ملبياً على: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ متخلقاً بـ: «تخلّقوا بأخلاقِ الله» متحلياً بالأوصافِ المحمديّة ليَصِلَ إلى بشارةِ: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ [يونس: ٦٤] ومنزل: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ [التوبة: ٧٢] بعد أن دَخَلَ في حزبِ: ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ١٧] فهذا هو التصوّف.

## الباب الثالث

# تحقيقُ كلمةِ «الصوفي»

استُعْمِلَ للمؤمنينَ في القُرآنِ والحديثِ كلماتٌ كثيرةٌ مثل: الذّاكرين، والصّابرين، والخَاشعين، والصّادقين، والقانِتين، والمُوقِنين، والمُخلِصين، والمُحسِنين، والخَائِفين، والوَجلين، والعَابِدين، والمُتوكّلين، والمُقرّبين، والأبْرارِ، والفُقراء، والعُبّاد، والأولياء؛ وكانَ السلفُ الصّالحون يختارون منها بعضَ الكلماتِ حِيناً فحِيناً عِنْدَ التّحادثِ فيمَا بَيْنهم، ولكِن أصَابتْ شُهرةً واسعةً كلمتان: الفقراءُ والعبّادُ. مِثالُ كلِّ واحدٍ منهما فيما يلي:

**١ ـ قالَ الشيخُ الحَسَن البصريّ رَحِمه الله مرةً:**

(يا مَعْشرَ الفقراءِ إنّكُم تَعْرِفونَ باللّه وتُكْرمونَ للّه، فانظُروا كَيْف تكونُونَ مع اللّه إذا خلوتم به).

**٢ ـ قالَ الشيخُ العلّامة ابن الجَوْزي رَحِمه الله في سيرةِ عُمَر بنِ الخطّاب رَضي الله عنه (ص ٢١٦):**

(قالَتِ الشّفاء بنت عبد اللّه: رأيتُ فتياناً يَقْصِدونَ في المَشْي ويتكلّمونَ رُويداً، قالَتْ: ما هؤلاء؟ قالوا: نُسّاك (يعني عبّاداً).

أما كَلِمةُ: (الفُقراء) فتطلقُ على مَنْ يَتصفُونَ بالفقْرِ، وأما العُبّاد فهم الذِينَ يَشْتغِلون بالعبادةِ، فكانتِ الكَلِمتانِ تُشِيرانِ إلى صِفاتِ مَوْصوفِهِما، ولذا كَانَ السّلفُ الصالحون يجتنبون مِنَ الأسماءِ الدّالّة على

صِفَاتِهِم البَاطِنَةِ ومَقامَاتِهِم خشيةَ الرِّياءِ مُقْتَضى الأدبِ أن يُنادى الإنسانُ حسبَ هيئتِهِ الظَّاهِرة، والقَدْرُ المشتركُ الظَّاهِرُ فيما بَيْنَهم لباسُ الصُّوفِ، كَانُوا يلبَسُونَه على طريقِ السُّنَّةِ، فقد نَقَلَ الشيخُ علي الهُجْويري رحمه الله في كَشْفِ المَحْجُوبِ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «عَلَيْكُم بلبْسِ الصُّوفِ تجِدون حَلاوةَ الإيمانِ في قُلُوبِكُم».

[كشف المحجوب مترجم ص ٧٣]

فَنَظراً لأنَّ الصُّوفَ كَانَ من عَادَاتِ الأنبياءِ عليهِمُ السَّلام، وشعاراً للأولياءِ والأصْفياءِ، نُسِبوا إلى لِباسِهم الظَّاهر، فصَارَ الصُّوفيُّ اسماً عاماً ومُجْملاً ينبئ عَنْ جميعِ عُلُومِهم وأعْمَالِهم وأخْلاقِهم وجميعِ أحْوالِهم المحمودة.

قال الشيخُ أبو نَصْرٍ السَّرَّاجُ الطُّوسي رَحِمه الله: ألا ترى أنَّ الله تعالى ذَكَر طائفةً من خواصِّ أصْحابِ عيسى عليه السلام، فنسبهم إلى ظَاهِرِ اللِّبسة، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ الآية [المائدة: ١١٢]. وكَانُوا قوماً يَلبسونَ البياضَ، فنسبهم الله تعالى إلى ذلك ولَمْ ينسبْهم إلى نوعٍ مِنَ العُلومِ والأعْمَالِ والأحْوالِ التي كَانُوا بها مترسِّمينَ، فكذلك الصُّوفية عندي.

[اللمع ص ٢١]

فَثَبَتَ من الأدلةِ المذكورةِ أنَّ لفظَ الصوفيِّ مشتقٌّ من الصُّوفِ، هذا هو أقوى الأقوالِ وأثْبتَه لغةً الشيخُ أبو بَكْرٍ إبراهيمُ البخاري القلاباذي في كِتَابه: (التعرُّفُ لمذهبِ التصوُّفِ) وملخصه ما يأتي:

١ ـ قالَ بعضُ العُلماءِ: إنَّ لفظَ الصُّوفيِّ مشتقٌّ من الصَّفَاءِ وعلَّلوا أنَّ مقصودَه تزكيةُ الباطِنِ، ولو كَانَ كذا فلْيكُنِ اللَّفظُ «صَفَاوِياً».

٢ ـ قَالَ البعضُ: إنَّ لفظَ الصُّوفيِّ مشتقٌّ مِنَ الصفِّ وعلَّلوا أنَّهم يكُونُونَ

في الصّفوفِ الأُولى يَومَ القيامةِ (إن شاء اللّٰه تعالى)، ولو كَانَ كذا فلْيَكُنْ هذا اللّفظُ «صفياً».

٣ ـ قالَ البعضُ: إنْ لفظَ الصّوفيّ مُشْتقٌ مِنَ الصّفةِ وعلّلوا أنّهم تذكارُ أصْحَابِ الصُّفةِ ولَوْ كَانَ كذا فليكُنْ هذا اللفظُ «صفيًا».

٤ ـ قالَ البعضُ: إنّ هذا اللفظَ مُشْتقٌ من الصُّوفِ وعلّلوا أنّهم يلبَسُونَ الصّوفَ، والمنسوبُ إلى الصّوفِ «صوفي» فعلِمَ أنّ لفظَ «الصوفي» مُشْتقٌ مِنْ لفْظِ الصّوفِ، وغرضُه الصّفاء، وله نسبةٌ إلى أصحابِ الصُّفةِ ومنزلته يَومَ القيامةِ الصفّ الأوّلُ (إن شاء اللّٰه).

وفي نسبةِ لفظِ «الصوفي» إلى الصّوفِ حِكَمٌ عديدةٌ منها:

١ ـ الصوفُ يكونُ ليناً والصّوفي هو الذي يجتهدُ لتليين القَلْبِ.

٢ ـ الصّوفُ يكونُ أبيضَ والصّوفيّ مَنْ يجتهدُ لتبييضِ القَلْبِ كبياضِ الصّوفِ.

٣ ـ الصّوفُ لا يقبلُ شيئاً من اللّونِ بسهولةٍ والصّوفيُّ هو الذي صُبغَ بصبغةِ اللّٰه حتّى بحيثُ لا يمكنُ أن يؤثّرَ عليه غيرُه.

## ذِكْرُ أسئلةٍ مَشهورةٍ حولَ لفظِ «الصوفي» مع أجْوِبتها:

السّؤالُ الأوّلُ: هَلْ لماخذ لفظِ الصّوفي ذِكْرٌ في القُرآنِ والحَديثِ؟

الجوابُ: نَعَمْ. الألفاظُ التي اشْتُقّتْ مِنها كلمةُ الصوفيّ مذكورةٌ في القُرآنِ والحَديثِ، والتّفصيلُ ما يأتي:

١ ـ قيلَ: إنّ الصوفيّ مأخوذٌ من الصفّ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

٢ ـ وعلَى القولِ الثّاني؛ لَفظُ الصوفيّ مأخوذٌ مِنَ الصّفا، ففي الحَديث عَنْ أبي جُحَيْفةَ رضي اللّٰه عنه قال: خَرَجَ علينا رسولُ اللّٰه ﷺ متغيّر

اللَّونِ فقالَ: «ذَهَبَ صفوُ الدّنيا وبقي كَدَرُها فالموتُ اليومَ تحفةٌ لكلّ مُسْلِمٍ».

[الرسالة القشيرية]

٣ - ويوفْقَ القَولِ الثَّالثِ لفظُ الصّوفي مأخوذٌ مِنَ الصّفةِ. وفي الحَديثِ عنِ ابنِ عبّاسٍ رضي اللّه عنهما؛ وَقَفَ رسولُ اللّه ﷺ على أصْحَابِ الصّفّة فرأى فَقْرَهم وجهدهم وطِيبَ قُلُوبِهِم فَقَالَ: «أبشِرُوا يا أصْحَابَ الصّفةِ فَمَنْ بقيَ مِنْ أمّتي على النّعتِ الذي أنْتُم عَلَيْهِ رَاضِياً بما فيه فإنّه مِنْ رُفقائي في الجَنّةِ».

[كشف المحجوب]

٤ - ويوفْقَ القَولِ الرّابع لفظُ الصوفيّ مأخوذٌ مِنَ الصُّوفِ. وفي الحديثِ: (كَانَ النّبيُّ ﷺ يلبسُ الصّوفَ ويركَبُ الحِمَارَ).

**السّؤال الثّاني**: لَوْ كَانَتْ لِلَفْظِ الصّوفي أهميةٌ لوجدَ بعينِهِ في القُرآن والحَديث؟

**الجوابُ**: عَدَمُ وجودِ لَفْظٍ بعينِهِ في القُرآن والحَديثِ لَيس دَليلاً على عَدَمِ أهميته وعَلَى كونِهِ غيرَ إسلامي، فَمَثلاً لَفْظُ: «المتكلمين» بعينه لم يذكر في القُرآن والحَديث، فهَلْ صَارَ عِلْمُ الكَلَامِ غيرَ إسلاميّ؟ والحقيقةُ أنّه لا يمكنُ إثباتُ العقائدِ الإسلاميّة بِدونِهِ، وهكذا لَفْظُ: «النّحوِ» لَيس بموجودٍ في القُرآنِ، فهَلْ أصبحَ عِلْمُ النّحوِ عَبَثاً غيرَ مفيدٍ مَعَ أنّه لا يمكنُ أن يُفْهَمَ القُرآنُ والحديثُ بدونِه.

**السّؤال الثالث**: لَمْ يكُنْ يُطْلَقُ «الصوفيّ» في قَرْنِ الصّحابةِ عَلَى أحدٍ؟

**الجَوابُ**: كانَ لصُحْبَةِ النبيِّ ﷺ مزيّةٌ خاصةٌ، فإطلاقُ غيرِ لَفْظِ الصّحابيّ على مَنْ تشرّف بهذه النّعمةِ يعتبرُ سوءَ الأدبِ في حقّه. كانَ

الصحابةُ رضي الله عنهم أجمعينَ ببركةِ هذه النسبةِ والصحبةِ رؤساء وقوّاد الزهادِ والعابدين والمتوكّلينَ والصابرينَ والمُطيعينَ والفقراء، حالهم أفضلُ وأعلى مِنْ أحوالِ الجميعِ، فغير مُناسبٍ تفضيلُهم بشيءٍ غير هذه الفضيلة. قال النبيُّ ﷺ: «خيرُ أمّتي قرني، ثمّ الذين يَلُونَهم، ثم الّذينَ يَلُونَهم» متفق عليه.

[مشكاة المصابيح ج ٣ ص ١٩٩٥ طبع بيروت]

فجميعُ سَعاداتِ الدّنيا وخَيْراتِها لا يمكنُ أنْ تُصْبحَ بديلاً صالحاً من صحبةِ رسولِ الله ﷺ. سُئِلَ الإمامُ الشافعيُّ رَحِمَهُ الله: (مَنِ الأفضلُ مُعاويةُ بنُ أبي سفيانَ أوْ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العزيزِ)؟ فأجابَ: إنَّ معاويةَ بنَ أبي سُفْيانَ رضي الله عنه لمّا خَرَجَ مَعَ رسولِ الله ﷺ إلى الجِهادِ فَما أصابَ مِنَ التّرابِ في أنفِهِ، ذلكَ التّرابُ أفضلُ مِنْ عُمَرَ بنِ عبد العزيزِ رَحِمَه الله. ولذا قال العلماء: إنّ الأتقياء والأصفياء والأولياء مِنْ جَميعِ الأرضِ، لا يمكنُ أنْ يَبْلُغوا رتبةَ أدنى صَحابيٍّ مِنْ أصْحابِ الرسُولِ ﷺ.

والّذين تشرّفوا بصُحْبةِ أصْحابِ الرّسولِ ﷺ سُمُّوا التّابعينَ، والّذينَ تشرّفوا بصُحْبةِ التّابعينَ سُمّوا تَبعَ التّابعين، فهذه النّسبُ الثّلاثُ تنبىءُ عَنِ الخَيْرِ لقولِ النبيِّ ﷺ المذكورِ أعْلاه. ولِذا كانَ كلّ شخصٍ سعيداً لنفسه بنداءِ هذه النّسبةِ، واشْتَهر مشايخُ الأمةِ بعد الصّحابةِ والتّابعين باسْم الصوفيةِ، وذلّتِ الألسنةُ بهذه الكَلمةِ قبْلَ القرنِ الثاني الهِجْريّ وفقاً لتحقيقِ الإمام القُشَيْري.

**السّؤالُ الرّابعُ**: مَتى استُعمل لفظُ الصوفيِّ لأوّلِ مرةٍ؟ قِيلَ: إنه اختراعُ أهلِ بَغْدادَ؟

**الجَوابُ**: ذَكَر الشيخُ أبو النّصْرِ السّراج الطّوسي رَحمه الله ناقلاً

عن أخبارِ مكّةَ بروايةِ محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ يَسَارٍ رَحِمه اللّه وأناسٍ آخرين: إنَّ مكةَ قد خلَتْ قبلَ الإسْلام في وقتٍ مِنَ الأوقاتِ حتّى كان لا يطوفُ بالبيتِ أحدٌ، كَانَ يجيءُ من بلدٍ بعيدٍ رجلٌ صوفيٌّ يطوفُ بالبيتِ وينصرفُ، فإن صحّ هذا فهوَ يدلُّ على أنَّ هذا الاسمَ كان يُعْرفُ قبلَ الإسْلامِ، وكان يُنسَبُ إليه أهْلُ الفَضْلِ والصَّلاحِ، واللّه أعلم.

[اللمع ص ٢٢]

وأما في زَمَنِ الشّيخِ الحَسَنِ البصريِّ رَحِمه اللّه الذي تَشَرَّفَ بصحبةِ ثمانيةَ عَشَر صحابيّاً بدريّاً، واستفاضَ مِنْ عليٍّ كرّم اللّه وجهه فيضاً باطنيّاً، فاسْتِعْمالُ لَفْظِ الصّوفي أمرٌ متيقّنٌ. قال الشيخ أبو النصر السرّاج الطّوسي رَحِمه اللّه:

(وأمّا قولُ القائِلِ: إنّه اسمٌ محدثٌ أحدثه البغداديون، فمحالٌ لأنَّ في وقتِ الحَسَنِ البصريِّ رَحِمه اللّه تعالى كَانَ يعرفُ هذا الاسمُ، وكان الحَسَنُ قد أدركَ جماعةً من أصْحابِ رَسُولِ اللّه ﷺ ورَضي عَنْهم، وقد رَوَى عَنْهم أنّه قَالَ: رأيتُ صوفيًا في الطّوافِ فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقَالَ: مَعي أربعة دوانيقَ فيكفيني ما مَعِي).

[اللمع ص ٢٢]

فعُلِم أنَّ لَفْظَ الصّوفيِّ كَانَ يستعملُ أحياناً في زَمَنِ التّابعينَ، وكَثُرَ استعمالُه في زَمَنِ تَبَعِ التَّابعينَ، ثمّ اشتهر بعده قبل القَرْن الثاني مِنَ الهِجْرةِ. كانَ الإمامُ سُفْيَانُ الثّوريّ رَحِمه اللّه يقولُ لشيخٍ في وقتِهِ: «أبو هاشم الصّوفي»، والإمامُ أحمدُ بن حنبل رَحِمه اللّه كانَ يقولُ لشيخٍ في وقته: «أبو حَمْزة البغدادي الصّوفي رَحِمه اللّه».

## الصوفيُّ مَنْ هو؟

سُئِلَ تلميذُ الشّيخِ الحَسَنِ البصريِّ عبد الواحد بن زيد رحمهم اللّه

تعالى: الصوفيةُ مَنْ هم؟ فقال: هُمُ الّذين يقومونَ بعقولِهم على عَزائمهم ويستقيمون بقُلوبهم عليها، ويتمسّكونَ بمولاهُم اتّقاءً مِنْ شُرورِ أنفُسِهم.

سُئِلَ ذُو النّون المصريّ رَحِمه اللّه تعالى؟ فقالَ: الصُّوفيّ الذي لا يتعبُه الطّلبُ ولا يَحْزَنُ بسبَبِ الحِرْمانِ.

سُئِل أبو محمّد رُوَيْم؟ فقالَ: الذي يُوافِقُ عَمَلُه قَوْلَه.

وأجَابَ عارِفٌ عَنْ هذا السّؤالِ: إنّ الصوفيّ الذي يَصْفُو في الكَدَرِ، ويملأُ بالفِكْرِ، لحُصُولِ قُرْبِ اللّه تعالى منقطعٌ مِنَ البَشَرِ، التّرابُ والذّهَبُ سَواءٌ في النّظَرِ.

قَالَ الشيخُ شِبْلي رَحِمه اللّه: الصّوفيُّ الذي يَنْقَطِع عَنِ الخَلْقِ ويتّصِلُ بالحَقّ.

## خُلاصَة الكَلام:

الصّوفيُّ الّذي يُذَكّره صَوْتُ الحَيواناتِ، وكلّ طَرَبٍ ومِزْمَارٍ، وتَغْرِيدُ العَصَافيرِ وعُرف الأزهارِ وتَمَايلُ الخَضْراء ولَمَعَانُ الجَواهِر ونُورُ الشمسِ والسّماء والسّمك، ولونُ الأشجارِ والزّجَاجِ والحَجَرِ، وشدّة الحجرِ، والسّعادةُ والشّقاوةُ ونُعومةُ الأرضِ وحَرَارةُ النّارِ، وجريانُ البَحْرِ، والكَواكِبُ السّماويةُ، وعُلُوّ الجِبَالِ والصّحَارَى والحَدَائق والخَرِيف والرّبيع، وبالجملَةِ كلّ شيء يذكّره ذاتاً غير مدركةٍ بالأبصارِ.

اللّه اللّه اللّه.

## الباب الرابع

# إثبات بيعة الطريقة شرعاً

وَصَلَ تخلُّف الأمةِ اليومَ إلى حدٍّ أنَّ الصدقَ يختلطُ بالكَذِبِ، والجيِّدُ يتَّحدُ مَعَ الرَّديءِ، فكَما دَخَلَ عُلَماءُ السّوءِ في صُفُوفِ عُلَماءِ الحقِّ الذين يحمِلونَ العِلْمَ الظّاهِرَ، كذلكَ دَخَلَ في زيِّ مشايخِ أهلِ الحقِّ حامِلُو العِلمِ الباطنِ متبعو النَّفْسِ.

وَصَلَ التّنزّلُ الروحانيّ والباطنيّ في عامّةِ النّاسِ إلى حدٍّ أنْ جَعَلُوا بيعَةَ الطّريقةِ فريضةً، ووصَلُوا بها إلى تَرْكِ الفَرائضِ وإلى التّفريقِ بيْنَ الشّريعةِ والطّريقةِ فَضَلُّوا وأضَلّوا، وطائِفَة أخْرَى زَعَمُوا بيعةَ الطّريقةِ بِدْعة وضلالةً وقامُوا بمُخالَفَتِها ووقَفُوا ضدّها، فيا أسفَى. فلا بُدَّ لأهْلِ الحقِّ من مُحاربةِ طائفتيْن: أهلِ الإفراطِ وأهلِ التّفريطِ في وقْتٍ واحدٍ، حتّى يعرِضَ أحكامَ الشّريعةِ منقّحةً، ويوضّح الحدّ الفاصِلَ بين الحقّ والباطلِ. وفيما يَلي ذِكْرُ الحُكْمِ الشّرعيّ لبيعةِ الطّريقةِ.

**تعريفُ البَيعةِ:** البيعةُ أخذُ العهدِ مِنَ النّاس على أمرٍ شرعيٍّ ليلتزمُوا به سَواء أكانَ العهدُ لالتزام الشّريعةِ كاملةً أم لأمرٍ خاصٍّ منها. بَايَعَ رسولُ اللهِ ﷺ الصّحابةَ أربعةَ أنواعٍ والتفصيلُ فيما يلي:

١ ـ **بَيْعةُ الإسلام:** عِندَما كَانَ شخصٌ يريدُ الدّخُولَ في الإسْلامِ وإظهارَ البَرَاءةِ مِنَ الكُفرِ والشّركِ كانَ عليه الصّلاة والسّلام يبايعُه. حَضَرَ أهلُ المدينةِ في مَوْسِم الحجِّ وبايعوا النبيَّ ﷺ. ذِكْرُ بيعةِ

العَقَبةِ الأولى والثانية موجودٌ في كُتُبِ الحديثِ والسِّيرةِ المعتبرة.

٢ ـ **بَيعَةُ الجِهَادِ**: أخَذَ النبيُّ ﷺ في الحُدَيْبِيَةِ مِنَ الصَّحابةِ عهداً ألَّا يَفِرُّوا إنْ وقَعتِ الحَرْبُ، بَلْ يُحارِبُونَ العدوَّ ما بَقُوا. قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

إنَّ سَلَمَةَ بنَ الأكوعِ رضي الله عنه، وكانَ مِنْ أهْلِ هذه البَيْعةِ سُئِلَ مَرَّةً: عَلى أيِّ شيءٍ بايَعتُم رَسُولَ الله يَوْمَ الحُدَيْبِيَة؟ قالَ: بَايَعْنَاه على المَوتِ.

[مسند أحمد ج ٤ ص ٥١]

واللّه تعالى رضي بهذا العَمَلِ حتَّى قالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح: ١٠].

عَنْ أنسٍ رضي الله عنه قالَ: جَعَلَ المهاجرونَ والأنصارُ يَحْفِرونَ الخَنْدَقَ وينقلونَ التُرابَ وهم يَقُولُونَ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدا     عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أبَدا

[متفق عليه]

٣ ـ **بَيعَةُ الهِجْرةِ**: قَالَ الحارثُ بنُ زيادٍ السَّاعديّ: أتيتُ رسولَ الله ﷺ يومَ الخَنْدَقِ وَهُوَ يبايعُ النَّاسَ عَلَى الهِجْرةِ، فقُلْتُ: يا رَسُولَ الله! بَايِعْ هذا عَلَى الهِجْرةِ، فَقَالَ: «ومَنْ هذا؟» قُلْتُ: حَوْطُ بنُ يزيدَ وهو ابنُ عمّي، فقالَ: «إنّكم مَعْشَرَ الأنصارِ لا تُهاجِرونَ إلى أحَدٍ، ولَكِنَّ النَّاسَ يهاجرونَ إليكُم». أخرجه ابن منده وأبو نعيم.

[أسد الغابة ج ٢ ص ٦٥]

٤ ـ **بَيعَةُ التَوبةِ (بيعةُ الطَّريقة)**: أحياناً بايعَ النبيُّ ﷺ الصَّحابةَ على تَرْكِ بعضِ المَعاصي. وذلِكَ لتعليمِ الأُمَّةِ.

رَوَى الشيخانِ عَنْ عُبادَةَ بنِ الصَّامتِ، قَالَ: قالَ رسول الله ﷺ

وَحَوْله عصابةٌ من أصْحَابِهِ: «بَايِعُونِي عَلَى أن لا تُشْرِكُوا باللّه شيئاً، ولا تَسْرِقُوا ولا تَزْنُوا، ولا تَقْتُلُوا أولَادَكُم، ولا تأتُوا بِبُهْتَانٍ تفترونَه بيْنَ أيْدِيكم وأرْجُلِكم، ولا تَعْصُوا في مَعْرُوفٍ. فَمَنْ وَفَى منكم فأجْرُه على اللّه، ومَنْ أصابَ من ذَلِك شيئاً، فعُوقِبَ به في الدّنيا فهُو كفّارةٌ له، ومَنْ أصابَ مِنْ ذلك شيئاً ثمّ سَتَرَه اللّه عليه، فهو إلى اللّه إن شاءَ عَفَا عنه، وإن شَاءَ عَاقَبه». فبايَعْنَاه على ذلك. متفق عليه.

[شرح السُّنة ج ١ ص ٦٠]

كلمةُ [أصْحَابه] في قَوْله: «وحَوْله عصَابةٌ مِنْ أصْحَابه» تدلُّ على أنَّ هؤلاء المُبايعينَ كَانُوا تشرّفُوا ببيعةِ الإسْلامِ مِنْ قَبْلُ، وَقَدْ دَخَلَ الإسْلَامُ في قُلُوبِهم. بَلغَهُم نظرةُ رحمةٍ ممّن بُعِثَ رحمةً للْعَالَمِينَ إلى ارْتِفَاعَاتٍ روحانيّةٍ لَنْ يصلَ إليها أولياءُ الأمّة. بأيّة بيعةٍ هذه؟ بُويع هؤلاء الصّحابةُ بيعةَ التّوبةِ. يَنْشَأ في بعض الأذْهَان أسْئِلة نَذْكُرُها ونذْكُرُ أجوبتها.

**س ١: لماذا احتاجَ الصّحابةُ إلى هذه البَيْعةِ وقد وصَلُوا إلى هذه المَعَالي؟**

جـ: لِتَعْلِيمِ الأُمّةِ واجتنابِ المَعَاصي الكبيرةِ. يدلُّ عليه قَوْله عليه الصّلاة والسّلام: «وَلَا تَسْرقوا ولا تَزْنوا ولا تَقْتُلوا أولادَكُم».

**س ٢: ما فائدةُ هذه البَيْعة للصّحابةِ؟**

جـ: رَجَاء نَيْلِ الأجْرِ والثّواب مِنَ اللّه تَعَالى لقوله عليه الصّلاة والسّلام: «فَمَنْ وَفَى مِنْكُم فأجْرُه عَلَى اللّه».

**س ٣: تَرْكُ الكبائر لَازِمٌ على أهْلِ الإيمانِ بنفْسِ نطق كَلِمَةِ الشّهادةِ، فالعَهْدُ على تَرْكِ هذه المعاصي وبالبيْعةِ وعلى يَدِ رسولِ اللّه ﷺ يبدو لغواً؟**

١ ـ أمِرَ النّبيُّ ﷺ في سُورةِ المُمْتَحِنةِ بأخْذِ مِثْلِ هذه البَيْعةِ من

الصَّحَابِيَّاتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ، في سُورَةِ المُمْتَحِنَةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢]. وكَانَ يمكِنُ لهم التوبة من المَعَاصي في البُيُوتِ ولكِنْ في البيعةِ على يَدِ النبيِّ ﷺ فائدةٌ لا تُوجَدُ في غيره، وهو أنَّ النبيَّ ﷺ كان يَسْتَغْفِر لهم بلِسَانِهِ المُبَارَكِ عِنْدَ البَيْعَةِ، فكانَتِ النتيجةُ مَا ذُكِرَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. قال تعالى في هذا الشأنِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، ذُكِرَ في هذه الآية قوله: ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ مع قوله: ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾، وقال في الأخير: ﴿لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾. فعُلِمَ أنَّ فائدةَ البيعةِ على يَدِ النَّبيِّ ﷺ أنَّ نبيَّ الرحمةِ ﷺ يستغْفِرُ لهم فيغْفِرُ لهم ذُنُوبَهم بسببِهِ، وهذه البيعةُ تُسَمَّى اليومَ بيعةَ الطريقةِ.

**س ٤: هَلْ هناكَ رواياتٌ أخرَى في بيعةِ التَّوبةِ؟**

جـ: نَعَمْ، هناكَ رواياتٌ عديدةٌ. رَوَى الإمامُ مسلمٌ وابنُ ماجه؛ أنَّ النبيَّ ﷺ بَايَعَ طائفةً من المُهَاجِرين ألَّا يَسْألُوا أحداً. وتمامُ الحديثِ: أنَّ عوفَ بنَ مالكٍ الأشجعيَّ رضي الله عنه قالَ: كُنَّا عِنْدَ النبيِّ ﷺ تسعةً أو ثمانيةً أو سَبْعَةً فقال: ألَا تبايعونَ رَسُولَ اللهِ؟ فقلنا: قَدْ بايعنَاكَ يا رَسُولَ اللهِ! فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى ألَّا تَعْبُدُوا إلَّا اللهَ ولا تُشْرِكُوا به شيئاً والصَّلَوَاتِ الخَمْسِ وتُطِيعُوا» (وأسرَّ كلمةً خفيَّةً). «ولَا تسألوا النَّاسَ شيئاً». فَلَقَدْ رأيتُ بَعْضَ أولئك النَّفرِ يسقطُ سَوْطُ أحدِهِم، فَمَا يسألُ أحداً يناوله إيَّاهُ.

[مسلم ج ٢ ص ٧٢١، ابن ماجه ج ٢ ص ٩٥٧]

وعَنْ جَرِيرِ بنِ عَبْدِ اللَّه قال: بَايَعْتُ النبيَّ ﷺ على النُّصْحِ لِكلِّ مُسْلِمٍ.

[مسلم ج ١ ص ٧٥]

عَنْ أمِّ عطيَّةَ رَضِي اللَّه عنها قَالَتْ: (أخَذَ علينا النَّبيُّ ﷺ عِنْد البَيْعةِ ألاَّ نَنُوحَ).

[بخاري ج ١ ص ٢٠٣ بتحقيق فؤاد عبد الباقي]

عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي اللَّه عنهما قَالَ: كُنَّا نبايعُ رَسُولَ اللَّه ﷺ على السَّمْعِ والطاعةِ، يَقُولُ لَنَا: «فِيمَا اسْتَطَعْتُم».

[مسلم ج ٣ ص ١٤٩٠ بخاري ج ٤ ص ٢٤٥ مع حاشية السندي]

**س ٥: ثَبَتَ عَنِ النبيِّ ﷺ عدّة أنواعٍ مِنَ البَيْعةِ ولَكِنْ لم يثبتْ في زمنِ الصَّحابةِ سِوى بَيْعَةِ الخِلافَةِ وبَيْعَةِ الجِهادِ.**

جـ: يَكْفي في الجَوَابِ لإسكاتِ الخَصْمِ أنَّه إذا ثَبَتَ عَمَلٌ مِنَ النَّبيِّ ﷺ فلا حَاجَةَ إلى ثُبُوتِه من غَيْرِهِ، والجَوابُ الحقيقي؛ أنَّه ثَبَتَ عَنْ سيِّدنا الصِّدِّيقِ وسيِّدنا عليٍّ رضي اللَّه عنهما، ولذلك يُوجَدُ عِنْدَ جميعِ أهْلِ الطَّريقةِ شَجَراتُ سَلاسِلِهِم.

كَانَ الخلفاءُ الرَّاشِدُونَ يبايعُونَ للخِلاَفَةِ فكَانَتْ بيعةُ التَّوبةِ دَاخِلةً فيها، ولَمْ يبايعْ غَيْرهم حتَّى لا يَشْتَبِه ببيعةِ الخِلافَةِ، ولا تَقَعُ فِتنةٌ بَلْ كان يُكْتَفى بالصُّحبةِ. ولَمَّا انْتَهى عَصْرُ الخِلافةِ الرَّاشدةِ، واقْتَصرَ أمرُ الخِلاَفَةِ بتنظيمِ أمُورِ الدَّولةِ. أحْيَا السَّلَفُ الصَّالحون سُنَّةَ بيعةِ التوبة (بيعةَ الطَّريقةِ). والحَمْدُ للَّه ما زَالَتْ هذه السُّنَّةُ جارِيةً سَارِيةً في الأمَّةِ حتَّى اليومِ.

**س ٦: ما حُكْمُ بَيْعةِ التَّوبةِ، هَلْ هي فَرْضٌ أوْ وَاجِبٌ؟**

جـ: لَيْسَتْ بفرضٍ ولا وَاجِبٍ، بَلْ هي سُنَّةٌ، نَعَمْ تَحْيَا الفرائضُ بهذهِ السُّنَّةِ.

**س ٧: إنْ لم يبايعْ أحدٌ فماذا يكونُ؟**

جـ : يُحْرَمُ مِنْ بركاتِ هذه السُّنةِ. قال عليه الصّلاة والسّلام: «مَنْ تمسّكَ بِسُنّتي عِنْدَ فَسادِ أُمّتي فلَهُ أجْرُ مائةِ شهيدٍ».

[مشكاة المصابيح ص ٣٠ الترغيب والترهيب ج ١ ص ٨٠]

**س ٨: هل يبايع هذه البيعة كلّ عالِمٍ أو صوفيّ؟**

جـ :كَمَا أنّ النبيّ ﷺ فوّضَ سيدَنا الصّديقَ الخِلافَةَ والنّعمةَ الباطِنَةَ، كذلك جَرَتْ هذه السّلْسِلة مِنَ الصّدِّيقِ رضي اللّه عنه، وَمَا زَالَتْ تَنْتَقِلُ هذه النّعمةُ إلى اليومِ إلى أولياء هذه الأمّة صَدْراً فَصَدْراً فَلَا يَجُوزُ أن يُبَايعَ إلّا مَنْ صَحِبَ وليًا مِنَ الأولياءِ، وَوَجَدَ النّعمةَ الباطنةَ وفوّضَ إليه الأولياءُ هذه العهْدَةَ. وَمِثالُ مَنْ بدأ البَيْعَةَ بنفسِهِ كالأنبعِ الذي تَهْوِي به الرّيحُ لا يَدْري شَجَره، فلا يَجُوزُ التوبة بالبيعة على يَدِ مِثْلِ هذا.

**س ٩: هل يَجُوزُ للمَرأة أن تبايعَ النّاس؟**

جـ :لا شَكّ أنّه يُمْكِنُ للمرأةِ أنْ تَبْلُغَ إلى أعْلَى مراتبِ الوِلَايةِ، ولكنْ الشّريعةَ لَمْ تَحْمِلْ مسؤولياتِ مَنْصِبِ الرُّشْدِ والهِدَايةِ عَلَى كَوَاهِلِها الضّعيفةِ، وَلِذَلِكَ لَمْ تَجْعَلْ أي امرأةٍ نبيّةٍ، فَهِيَ وإن تشرّفَتْ بكَوْنِها وَالِدَةَ النّبيّينَ، بَلْ وَضَعَ اللّه ثِقْلَ النبوّة عَلَى كواهِلِ الرّجالِ، ففوّضت وراثةُ الأنبياءِ أيضاً إلى الرّجالِ فَقَطْ، فلا يَجُوز للمرأةِ أنْ تُبايعَ النّاسَ.

**س ١٠: هل يجبُ في البيعةِ النطق بالكَلِماتِ بَعْدَ وضْعِ اليَدِ في اليَدِ؟**

جـ : النّطقُ بعدَ وضْعِ اليَدِ باليدِ فليعملْ بها وإن كان عددُ الناس كثيراً، فليبسطوا رداءً وليتمسّكُوا به جميعاً وهو أيضاً عَمَلٌ نبويّ. كانَ الحَجَرُ عند بناءِ الكعبةِ صغيراً، وكَانَ الحامِلُون كُثْراً فوضعه

النبيُّ ﷺ في رِدائِهِ فأَخَذَ الجميعُ الرِّداءَ وحَمَلُوا الحَجَرَ الأسْوَدَ.

[سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٠٩]

وإنْ كانَ النَّاسُ أكثرَ مِنْ ذلك تَجُوزُ البَيْعَةُ بنطقِ الكَلِماتِ بَعْدَ النيّةِ، هَكَذا بَايَعَ الصَّحابةُ المُجَاهِدينَ عَلَى الجِهَادِ. قال ابنُ الأثير: قَالَ عِكْرِمَةُ ابنُ أبي جَهْلٍ رضي اللَّه عنه يومئذٍ ـ يعني يَوْمَ اليرموك ـ: قَاتَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ في كلِّ موطنٍ وأفرُّ منكمُ اليومَ؟ ثم نَادَى: مَنْ يُبَايِعُني عَلَى المَوْتِ؟ فبايَعَه عمّه الحارثُ بنُ هشامٍ، وضِرار بنُ الأزورِ في أربعمائةٍ من وجُوه المسلمينَ.

[أُسْد الغابة ج ٤ ص ٦]

**س ١١: هل تُبايعُ النساء بوضْعِ الأيدي في الأيدي؟**

جـ: كلا: كَانَ من عَادةِ النبيِّ ﷺ أنّه كَانَ يبايعُ النساء مِن وَرَاءِ حِجَاب بغير لمْسٍ. عَنْ عائشةَ رضي اللَّه عنها قالَت: ما مسَّ النبيُّ ﷺ بيده امرأةً قطّ إلا أنْ يأخذ عليها فإذا أخَذَ عليها وأعْطَتْه قَالَ: «اذهبي فَقدْ بايعتكِ». أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود.

[جامع الأصول ج ١ ص ٢٥٨]

**س ١٢: هل يَجُوز بيعةُ الأطفالِ؟**

جـ: نَعَمْ، يَجُوز. قال ابنُ الأثيرِ: إنَّ عبدَ اللَّه بنَ الزبير رضي اللَّه عنهما أحْضَرَه أبوه الزبير عِند رسول اللَّه ﷺ ليُبَايِعَه وعُمْرُه سَبْعُ سنين، فلمّا رآه النبيُّ ﷺ مقبلاً تبسّم ثمّ بَايَعَه.

[أسد الغابة ج ٣ ص ١٦٢، وانظر حياة الصحابة ج ١ ص ٢٥٠]

**س ١٣: هل يَجُوز بيعة غائب؟**

جـ: نَعَم، بَايَعَ النبيُّ ﷺ الصَّحابةَ في الحُديبية تحتَ الشَّجرةِ، فأدْخَلَ

النبيُّ ﷺ سيدَنا عثمانَ رضي الله عنه في البَيْعةِ وكَانَ حينئذٍ بمكّةَ المكرَّمةِ.

[تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٧، سيرة ابن هشام ج ٣٦٥]

**س ١٤: هل يَجُوز البيعةُ بواسطةِ الرّسالةِ أو الهاتِفِ؟**

جـ: نَعَمْ، لمّا ثَبَتَ جَوازُ بيعةِ الغائبِ دَخَلَتْ فيه البيعةُ بواسطةِ الرّسالةِ ويَجُوزُ البيعةُ بواسطةِ الهاتِفِ بِدَرَجةِ الأَوْلى.

**س ١٥: هلْ يجوزُ في وقتٍ واحدٍ مبايعة مشايخَ عِدّة؟**

جـ: لا، لا يَجُوزُ أنْ يبايِعَ في وقتٍ واحدٍ إلّا شيخاً واحداً. مِثالٌ: مَنْ يُبايعُ كلَّ واحدٍ كالمِلْعَقَةِ يكونُ غرقاً في كلّ نَوْعٍ مِنَ الأطْعِمةِ، ولٰكنّه يبْقى مَحْرُوماً مِنَ التذوّقِ.

ع: خُذْ واحِداً خُذْ مُحْكَماً.

**س ١٦: هل يَجِبُ بَعْدَ وفاةِ الشّيخ بَيعة شيخٍ ثانٍ؟**

جـ: نَعَمْ، إنْ لَمْ يَحْصَلْ تزكيةُ النفسِ وتصفيةُ القلْبِ يجبُ تجْديدُ البَيْعةِ، كَطَالِبٍ يدْرُسُ القُرآنَ الكَريمَ عِنْدَ أستاذٍ، فإنْ تُوفّي الأستاذُ لا ينتهي الطّالبُ مِنَ الدّراسةِ، بَلْ يَرى تكميلَ الدّراسةِ لازماً. نَعَمْ، الّذينَ وَجَدُوا بشارةَ حُصُولِ النِّسبةِ لا يَجِبُ عَلَيْهِم تَجْديدُ البَيْعةِ.

**س ١٧: الّذين يُخالِفُونَ البَيْعةَ ألَمْ يَدْرُسُوا هذه الأحاديثَ؟**

جـ: دَرَسُوا. ولٰكِنْ لَمْ يُدْرِكُوا مَعانِيها، وإلّا لَمْ يَشْكُلُوا عَلى عَمَلٍ واضِحةٍ سنَّتُه. ويمْكِنُ تبيين حَالَ مَنْ يُخالِفُونَ بيعةَ الطّريقةِ في كَلِمَاتٍ يَسيرةٍ هَكَذا: ﴿وكَذّبوا بِمَا لَمْ يُحيطُوا بِعِلْمِهِ﴾.

**س ١٨: ما هُو الغَرَضُ مِنْ بَيْعةِ الطّريقةِ؟**

جـ: نُذْكَرُ فيمَا يلِي أغْراضُ وأهْدافُ البَيْعةِ.

١ ـ لا يَلْزَمُها حُصُولُ الكَشْفِ والكَرَامَاتِ.

٢ ـ لَيْسَ فيها ذِمّة المَغْفِرَةِ يَوْمَ القِيامةِ.

٣ ـ لا يَلْزَمُها النَّجَاحُ في الأمُورِ الدنيوية كالغَلَبَةِ عَلى الأعداءِ والفَوْزِ في المَحَاكِمِ.

٤ ـ لا يَلْزَمُها التَّصرفات كأنْ لا تأتي وسوسةُ ذنبٍ.

٥ ـ لا يلزَمُها السُّكر بحيث لا يَعْرفُ غيرَه.

٦ ـ لا يلزمُها رؤية أنوارٍ أو ألوانٍ.

٧ ـ لا يلزمُها الرؤيا الطَّيبة في المَنَامِ.

بَلِ الغَرَضُ الأصليّ العَمَلُ بالأحكامِ الشرعيةِ لإرضاء الله تعالى.

**س ١٩: اذكروا أدلةً عقليةً على إفادةِ البَيْعَةِ.**

جـ: نُوضِّحُ إفادة البَيْعةِ بثَلاثةِ دَلائِلَ:

* كما أن شابًا يتخذُ وظيفةً في العَسْكَرِ ويلبَسُ حلّته ويؤدّي عَمَلَهُ في مَكَانٍ، فَكُلُّ إنسانٍ يحترمُه ويطيعُه يَرَى إكرامَهُ إكرامَ العَسْكَرِ. وإهانَتَه إهانَةَ العَسْكَرِ، لا يَسْألُه أحدٌ مِنْ أي قبيلةٍ أنتَ أو مِنْ أيّ أسرةٍ؟ يفيدُه اعتزازَ بِنِسْبَةِ العَسْكَرِ وحلّتِهِ، كَذلِكَ كلّ مَنْ يبايعُ مَشَايخَ الطَّريقةِ يَجِدُ عَلاَقَةً رُوحَانيَّةً مِنْ مَشَايخِ الطَّريقةِ فتزدادُ عزّته عِنْدَ الله تعالى بهذهِ النِّسبةِ والعَلاقَةِ.

* طُوبانِ جهّزا في مَكَانٍ واحِدٍ. وُضِعَتْ واحدةٌ في بَلاطِ المَسْجِدِ والثَّانيةُ في الكَنِيفِ، فارتَفَعَتْ رتبةُ واحدةٍ حتّى يَضَعُوا عَلَيْها الجَبْهَةَ وسَقَطَتْ رُتْبَةُ الأخرَى حتّى لا يَرَى أحَدٌ دُخولَ الكَنِيفِ خافياً، هذهِ هِيَ النِّسْبَةُ. النِّسْبَةُ الطّيبةُ مُنِحَتْ عزةً وشرَفاً، والنسبةُ الخَبِيثَةُ سَبّبتْ ذِلّة وإهانَة. هكذا يَجِدُ نسبة طيّبة مَنْ يُبايعُ مَشَايخَ الطَّريقة، فيكون مكرّماً محترماً عند الله تعالى.

* رُكِّبَ على المُصْحَفِ دفّةٌ ساذجةٌ لم يُكْتَبْ عليها كَلِمَةٌ، أو آيَةٌ. قال الفقهاء: كما لا يجوز مسُّ أوراقٍ كُتِبتْ عليها الآياتُ بدون الوُضُوءِ، كذلك لا يَجُوز مسُّ هذه الدّفةِ الساذجةِ. يُقالُ لها دفةٌ، ولكن ارْتفعَتْ رتبته بتركُّبِهِ بالمَصْحف. سبحان الله! فمن يتصل بالمشايخ بواسطة البيعة ينال عزة بالعلاقة بأهل الله تعالى، وسَيُعَامل به مُعَاملة الرَّحْمَةِ والكَرَمِ إن شاء الله تعالى. ما أثاثُ أعْمالِنا؟ ما عندنا سوى النّدامة.

أبقى الله نِسْبتَكُم. ما رَجَائي إلّا هذه.

**س ٢٠: رَجُلٌ ينطقُ بكلماتِ التّوبةِ ولم يُصْلِحْ حَيَاته هلْ له فائدَةٌ؟**

جـ: هٰذا الرَّجُلُ وإنْ لم يَسْتَفِدْ بالبَيْعَةِ فائدةً كاملةً، ولٰكِنْ لَمْ يَكُنْ بِلَا فَائِدةٍ تَمَاماً. حَصَلَ له فَائِدَتانِ لا مَحَالَةَ:

**الأولى:** أنه نَطَقَ بِكَلِمَاتِ التَّوْبَةِ عِنْدَ البَيْعَةِ وبِبَرَكَتِها يُغْفَرُ لَهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ إنْ شاءَ اللّه تَعالى. قَالَتِ المَشَايخُ في ضَوْءِ الأحاديثِ: إنَّ مَنْ ينطقُ بكلماتِ التوبةِ يَغْفرُ الله له ذنوبه وإنْ كانَ كَافِراً أو مُشْرِكاً مذ مائة سَنَةٍ وليس هذا بيسير.

**الفائدة الثانية:** إنَّ هذه النّسبةَ تنفعُ الإنسان عنْدَ المَوتِ عندما يضعف الارتباط بالدّنيا، وتنكشف له أحوال الآخرة. يموت على الإيمان إن شاء اللّه تعالى وإنْ كانَ مُذْنِباً. قَالَ الشَّيْخُ الخواجه فَضْلُ العليّ القُرَيشي رَحِمه اللّه تعالى: كلّ قَلْبٍ وُضِعَتْ عليه هذه الأصْبعُ (وفاز بنسبة اللّه، اللّه) لا يَمُوتُ إلّا عَلى ذِكْرِ اللّه تعالى (إن شاء اللّه تعالى).

## مُلَخّصُ الكَلَام:

يَحْصُلُ للإنسانِ بواسِطةِ سلسلةِ مَشايخهِ عَلَاقَةٌ رُوحَانيّةٌ بِقَلْبِ النّبيّ ﷺ. يعرض للإيضاح مثالان:

١ ـ رجلٌ يَبْني بيتاً جديداً ويجمّله تجميلاً فاخراً ويَنْسُكُه ويركّب فيه

المِصْبَاحِ، ولَكِنْ لا يُضِيء مِصْبَاحُه ما لَمْ يتَصِلْ رَبْطُه بمحَطَّة الكَهْرَبَاءِ، كَذَلِكَ السَّالِكُ عندما يربُطُ عَلاقَةَ مِصْبَاحِ قَلْبِهِ بواسِطَةِ تَسْلِيكِ مَشَايِخِ السِّلْسِلَةِ بقَلْبِ النبيِّ المُبَارك ﷺ الذي هو كَنْزُ الرحماتِ يتنوَّرُ قَلْبُ السَّالِكِ وتصلُ إليه الأنوارُ والبَرَكَاتُ من قَلْبِ النبيِّ المُبَارَكِ ﷺ بواسطة مَشَايخه.

٢ - القِطَارُ يشتملُ على عدّة عرباتٍ، فإن رُبِطَ به عربةٌ أُخْرَى، فمَهْمَا وَصَلَ القِطَارُ وَصَلَتِ العَرَبَةُ، فتدبّروا. إنَّ المشايخَ كالقِطَارِ، والنبيّ ﷺ كمحرّكِه، والسَّالكُ كالعَرَبةِ المرتَبِطَةِ، وهذا القِطَارُ جارٍ إلى محطة رضا اللّه تعالى، فإن هذه العربة مرتبطةٌ، فلمّا وصَلَتِ القاطرة إلى المنزِلِ وَصَلَتْ هذه العربةُ عربة الدَّرَجَةِ الثالثةِ.

ع: كانت الحكاية ممتعة جئت بها طويلة.

وَصَلْتُ إلى المَقْصَدِ. الَّذين مَا زَالُوا إلى الآنِ في شُبُهَاتٍ عَنِ البَيْعَةِ عَلَيْهم أنْ لا يُبْطِئُوا في تَحْصِيل هذه السّعادةِ العُظْمَى، بَلْ ليربُطُوا عَلاقَتَهُم البَاطنَةَ بشيخٍ جامعٍ بَيْنَ الشَّرِيعةِ والطَّرِيقة، فإنَّ مَنْ يدخلُ في السِّلسلةِ بواسطةِ شَيْخٍ كاملٍ في هذا الزمانِ المليءِ بالفِتَنِ يصدقُ عليه مثال: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

عسى أنْ يَقْتَحِمَ كَلَامي قَلْبَكَ.

## البابُ الخامسُ

# ضرورةُ المُرْشِدِ

جَعَلَ اللّٰه في كلّ عَصْرٍ وزمانٍ كِتابَ اللّٰه ورِجَالَ اللّٰه سَبَباً لهدايةِ الإنسانيةِ، كَمْ مرةً بَعَثَ اللّٰه نبيًا ولم يُرْسِلْ كتاباً، ولَكِنْ لم يَكُنْ قطّ أنه أرسَلَ كتاباً ولم يبعثْ له نبيًا. بهذا تتجلى أهميةُ رجال اللّٰه تعالى، وأيضاً لم ينزلِ العذابُ على قومٍ حتى يُبْعَثَ إليهم نبيٌّ إتماماً للحجّةِ. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] لتربيتِهِ مِنْ مربٍّ ولتزكيتِهِ مِنْ مُزَكٍّ، وفيما يلي ذِكْرُ بعضِ الدلائلِ.

### أدلةٌ مِنَ القرآنِ الكريمِ:

**الدليلُ الأولُ:** قال اللّٰه تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]

قال جَلالُ الدين المَحَلي رَحِمه اللّٰه: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ﴾ طريق ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَيَّ﴾ بالطاعة.

[تفسير الجلالين ص ٥٤١]

وقالَ شيخُ الإسلامِ، مَوْلانا شبيرِ أحمد العثماني رحمه اللّٰه: أي اتبع طَرِيقَ الأنبياء وَعِبادِ اللّٰه المُخْلِصينَ.

[تفسير عثماني ص ٥٤٨]

وقالَ الشيخُ أمير علي رحمه اللّٰه تحت هذه الآية: أي اتبعْ سَبيلَ مَنْ مالَ إليّ تماماً وَهُم أولاً الأنبياء، وثانياً صالحو أمته.

[مواهب الرحمن ج ص ٨٣]

الدليلُ الثاني: قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٣٥]. قال الحافظ عِمادُ الدّين ابن كثيرٍ رحمه الله في التّفسير تحت قوله: ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ الوسيلة: هي التي يتوصّل بها إلى تحصيل المقصود.

[تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٨٤]

وقالَ الإمامُ جَلالُ الدّين السّيوطِي رَحِمه الله تَحْتَ قَوْلِهِ: ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ ما يُقَرِّبُكم إليه مِنْ طَاعَتِهِ.

[تفسير الجلالين ص ١٣٤]

فَلِهَذا يقولُ مُحَقِّقو التّفسير: إنّ المرادَ بالوسيلَةِ المُرشِدُ الذي يُصْبِحُ سبباً لِلْقُرْبِ إلى الله تَعالَى وسبباً لإصْلاحِ الإنسان، وقد أُشِير إلى المُجاهدةِ ضِدّ النّفْسِ (الأشغال الصوفية) في الحديثِ الشريف. قال عليه الصلاة والسلام: «المُجاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَه في طَاعَةِ الله». رواه البيهقي في شعب الإيمان.

[مشكاة المصابيح ص ١٥ واللفظ له، والجامع الصغير ج ٢ ص ٦٦٤]

قَالَ السّخاوي عَنْ أحمد: (المُجاهِدُ مَنْ جاهَدَ نَفْسَه في ذاتِ الله).

[المقاصد الحسنة ص ٥٩٤]

كَانَ مُرْشِدُ العَالَم الشّيْخُ الخواجه غُلام حَبيب يَقُولُ في مُحاضَراتهِ تَحْتَ هذه الآيَةِ: مَنْ يُنزِلُ المَطَرَ مِنَ السماءِ؟ الله يُنْزِلُ المَطَرَ مِنَ السّماءِ، ولَكِنْ يُصْبِحُ السّحابُ وَسيلةً. مَنْ يَرزقُ الأولادَ؟ الله يَرزقُ الأولادَ، ولَكِنْ يَصِيرِ الوالدان وسيلةً. مَنْ يُلْقِي الأنواراتِ في القَلْب؟ الله يُلْقِي الأنواراتِ في القَلْب، ولَكِنْ يُصْبِحُ الشيخُ وسيلةً. وقد قال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾.

الدّليلُ الثّالث: قالَ الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ

ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] قالَ العلّامةُ ابن كثيرٍ رحمه الله في تفسير الصّادقينَ: قالَ الضّحّاكُ: هُمْ أبو بكرٍ وعُمَرُ وأصحابُهما.

[تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٧٠]

لِيُعْلَمْ أنَّ كلَّ طريقةٍ مِنَ السّلاسلِ الأربعِ تتّصِلُ بواسطةٍ فواسطةٍ إلى سيّدنا عليٍّ كرّمَ اللّه وجْهَه، وسيّدنا أبي بكرٍ الصّدّيقِ رضي اللّه عنه. قال الشيخُ المفتي محمّد شفيع رَحِمه اللّه تعالى: (اختارَ اللّه سبحانه وتعالى كَلِمَةَ الصّادِقِينَ دون العُلَماءِ والصّلَحاء، فبيّن لَنا عَلامَةَ العالِمِ والصّالحِ أنّه مَنْ يستوي ظَاهِره وباطِنه ويكونُ صادقاً في نيته وإرادتهِ، وصادقاً في قولِه وصادقاً في عَمَلِه.

[معارف القرآن ج ٤ ص ٤٨٥]

وَلَا يُخفَى أنّ مصداقَ الصّادقِينَ في العَصْرِ الحَاضِرِ هُمُ المَشايخُ العِظَامُ فقطْ.

الدّليلُ الرّابعُ: قالَ الإمامُ الرازي في تفسيره تحت قوله: ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٧] لم يكتفِ على: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] بَلْ قال: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٧] وهذا يدلّ على أن المريدَ لا سبيلَ له إلى الوُصُولِ إلى مَقاماتِ الهِدَايةِ المُكَاشفةِ إلا إذا اقْتَدَى بشيخٍ يهديهِ إلى سَواءِ السّبيلِ، ويجنّبه عَنْ مواقعِ الأغاليطِ والأضاليلِ.

وذلك لأنّ النّقْصَ غَالِبٌ على الخَلْقِ، وعُقُولَهم غير وافيةٍ بإدراكِ الحقّ وتمييزِ الصّوابِ عن الغَلَطِ، فلا بدّ مِنْ كاملٍ يقتدي به النّاقصُ حتى يتقوّى عَقْلُ ذلك النّاقصِ بنورِ عَقْلٍ إلى مَدَارجِ السعاداتِ ومعارجِ الكَمالاتِ.

[التفسير الكبير ج ص]

فهذا النصّ حجّة تامّة لضرورة المُرشد والمربّي.

الدليلُ الخامسُ: قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [سورة النساء: ٦٥] قال السيّد أمير علي المليح آبادي تحت هذه الآية: في هذه الآية دلالةُ على أنّ العبدَ المذنبَ لو استدعى عبداً صالحاً متقياً تُقْبلُ توبته، والذين يَتوبُونَ على أيدي مَشايخهم توبتُهم مِنْ هٰذا النوعِ.

[تفسير مواهب الرحمن ج ص ١٠٩]

عُلِمَ من الآياتِ المذكورةِ أنّ كلّ مذنب يَطْلُبُ شيخاً كاملاً متّبع الشّريعة والسُّنّة فهو عاملٌ على: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]. وإنْ بايع على يَدِه بيعةَ توبةٍ فهو عامل على: ﴿إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ وإنْ جَلَسَ في صُحْبةِ شيخٍ كاملٍ يَنَالُ ثواب: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. وإن اتبع نصائحه فهو من العاملين بقوله: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ [لقمان: ١٥]. هذا الطّريق يصدق عليه: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] الذي يدعو للاهتداء له كل صغير وكبير. نعم إن المَشايخَ المتبعي الشّريعة في هذا الزمنِ قليلٌ، ولكن لا يعني هذا أنّ الإنسانَ يهملُ طلبَه أو ينكر ضرورته.

قال سُفْيانُ الثّوريُّ رَحِمَهُ اللّهُ: اسلُكُوا سَبِيلَ الحقّ ولا تَسْتَوحِشُوا مِنْ قلّةِ أهلِه.

وفيه يقولُ الإمامُ الشّاطِبي رحمه الله: اتّبع طُرَقَ الهُدَى ولا يضرّك قلّةُ السّالكين، وإياك وطُرَقَ الضّلالةِ ولا تغترّ بكثرةِ السّالكينَ.

قال الشّيْخ عبدُ اللّه خفيف رحمه اللّه: اقْتَدُوا نجمةً من شُيُوخنا لأنهم جَمَعُوا بيْنَ العِلْمِ والحَقائقِ.

## أدلة من أحاديث النبيّ ﷺ:

مِنَ الفِطْرة الإنسانيّةِ أنّها لا تتأثرُ مِنَ النّفوسِ مثلَ ما تتأثر مِنَ النّفوسِ، فالصّحابةُ رضي اللّه عنهم أجمعين وهم الذين تَنْزِلُ الآيات القرآنية بين أيديهم يحصُلُ لهم من الخشْيَةِ والاستِحْضارِ بحضرةِ النبيّ ﷺ ما لَمْ يَكُنْ يحصلُ لهم في غيبته ﷺ وإليْكَ بَعْض الأمثلة:

**الدّليلُ الأولُ**: عَنْ أنسٍ رضي اللّه عنه قالَ: لمّا كانَ اليومُ الذي دَخَلَ فيه رسول اللّه ﷺ المدينة أضاء منها كلّ شيء، فلمّا كان اليومُ الّذي مَاتَ فيه أظْلَمَ مِنها كلّ شيء، وما نَفَضْنا أيدينا عَنِ التُّرابِ، وإنّا لفي دَفْنِهِ ﷺ حتى أنكرنا قُلوبنا.

[الشمائل للترمذي ص ٢٨، مشكاة المصابيح ج ٣ ص ١٦٨١ طبع بيروت، ابن ماجه ج ١ ص ٥٢٢، شرح السُّنة ج ١٤ ص ٥٠، جامع الأصول ج ٨ ص ٥٤٦، الترمذي ج ٥ ص ٥٨٩]

فاعْتَرفَ الرِّجالُ القدسيّون أمثال الصّحابةِ رضي اللّه عنهم أنّ ما يوجدُ مِنَ الكَيْفيّةِ في صُحْبَة النبيّ ﷺ لم يُوجَدْ بغير صُحْبَتِهِ، كما أنّ الصّحابةَ كانوا يَكْتَسِبُونَ الفَيْضَ مِن مشكاةِ النبوّةِ كَذَلِكَ المُريدُونَ المُخْلِصونَ يَكْتَسِبُونَ الفَيْضَ في صُحبةِ مشايخهم.

**الدّليلُ الثّاني**: عَنْ حنظلةَ بنِ الرّبيعِ أنّه قالَ: كنّا عِنْدَ رَسُولِ اللّه ﷺ فَذَكَرَ النّارَ، ثم جِئْتُ إلى البَيْتِ فَضَاحَكْتُ الصّبيانَ ولَاعَبْتُ المَرْأةَ فَخَرَجْتُ، فلقيتُ أبَا بَكْرٍ فذكرتُ ذلك له، فقال: وأنا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ ما تَذْكُر، فلَقِينا رَسُولَ اللّه ﷺ فقلت: يا رسول اللّه! نَافَقَ حَنْظَلَةُ. فقال: «مه»؟ فحدثته بالحديث.

فقال أبو بَكْرٍ: وأنا قد فَعَلْتُ مِثْلَ ما فَعَلَ، فقالَ: «يا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وسَاعَةً، لوْ كَانَتْ قُلُوبُكم كَمَا تَكُونُ عِنْد الذّكرِ لَصَافَحَتْكُمُ

الْمَلَائِكَةُ حتى تسلِّمَ عليكم في الطُّرقِ». أخرجه مسلم وأخرج الترمذي نحوه.

[جامع الأصول ج ٩ ص ٥١٦]

(يَعْنِي قَدْ تكونُ كيفيةُ الحُضور في العروج، وقد يعرضُ فيه نقصٌ حتى يستقيمَ نظامُ المعاشِ والمعاشرةِ). وأي مثالٍ أوضحُ دلالة مِنْ هذا على فَيَضَانِ الصحبةِ وتأثيرها.

**الدَّليلُ الثالثُ**: ذَكَرَ الإمامُ مالكٌ رَحِمه الله قصةَ أنَّ صَحابياً اسمه سَهْلُ بنُ حنيف رضي الله عنه أصابتْه العَيْنُ فَوَعِكَ مَكانَه واشتدَّ وَعكُه، فقال النبي ﷺ للذي نَظَر إلى سَهْلٍ رضي الله عنه: «علام يَقْتُلُ أَحَدُكُم أخاه ألا بَرَّكْتَ إنّ العَيْنَ حقٌّ» الحديث.

[الموطأ للإمام مالك مع شرح الزرقاني ج ٤ ص ٣٢٠]

فمَا رأيُكم إنَّ نَظْرةً فيها عَداوةٌ وحَسَدٌ وبُغْضٌ وحِقْدٌ يظهرُ أثرُها، فنظرةٌ فيها حبٌّ وشفقةٌ ورَحْمَةٌ وإخلاصٌ كيف لا يُرَى أثرُها، وهذه نَظْرَةُ أهْلِ اللّه تُوجَدُ في إنسانٍ متلوثٍ بالذنوبِ، وإحساسُ النَّدامة يقيمه سائلاً أمام اللّه تعالى.

رأينا في نَظْرةِ الوليِّ أثراً عظيماً     وجَدْنا أوضاعَ الألوفِ اعْتَدَلَتْ

**الدَّليلُ الرابعُ**: اتَّخذَ رسولُ اللّه ﷺ وأبو بَكْرٍ عبدَ اللّه بنَ أُرَيْقِط ـ وكانَ حينئذٍ كافراً ـ هادياً ودليلاً في السَّفَرِ إلى المدينةِ عِنْدَ الهِجْرةِ.

[فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٣٣ و٢٣٨]

فلَو اتَّخذَ سالكٌ مؤمناً كاملاً في العَصْرِ الحاضِرِ دليلاً للوُصُولِ إلى اللّه يَنالُ ثوابَ سُنَّةِ اتّخاذِ الدَّليلِ في السَّفَر. قالَ المولَى الرّومي: يا قَلْبُ إن تَرِدْ هذا السَّفَرَ فاعْتَصِم بذيلِ الدَّليلِ واتَّبِعْه فكلّ

مَنْ مَشَى على طريقِ العِشْقِ بغيرِ هادٍ أضاعَ عُمْرَه كلَّه، ولمْ يُدْرِكْ حقيقةَ العِشْقِ.

## الدَّلائلُ العَقْلِيَّةُ:

الشَّيطانُ للإنسانِ عدوٌّ مبينٌ وكذلك نفسُه. يَعْرِضانِ للإنسانِ أعمالَه مزينةً مزخرفةً، فيكونُ على الضلالةِ، ويحسبُه على الهُدَى. قال تعالى: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]، وكما لا يجِدُ الشَّجرُ ثمارَه ثقيلةً كذلك لا يرَى الإنسانُ عيوبَه ذميمةً، فيحتاجُ للإصْلاحِ والتربيةِ إلى مُرَبٍّ. وفيما يلي بعْض الدلائلِ العقلية:

**الدَّليل رقم ١:** طالبٌ يُجيبُ عَنِ الأسئلةِ في غُرْفَةِ الامتِحانِ، فكلّ جوابٍ يكْتُبُه يظنّه صحيحاً (ولو علِمَ أنه يُخطئ في جوابٍ كذا لا يكتُبُه) تأتي الورقة إلى الأستاذِ فيصحّح بَعْض الأجوبة، ويخطئ بعضَها فحينئذٍ يَعْترِفُ الطَّالِبُ أنَّه صَدَرَ مِنْه الخَطأ، هكذا السَّالكُ يذْكُرُ شيْئاً ويزْعَمُ أنه يَحَدُّثُ نعمةُ اللهِ عليه، ولَكِنْ يَعْرِفُ الشَّيْخُ أنه بسببِ العَجَبِ. السَّالكُ يَصْرِفُ المالَ ويَراهُ سَخاءً ويرشدُه الشيخُ أنه إسرافٌ. بدونِ المرشد يَخافُ السّقوطَ في حُفْرةِ ضلالةٍ، فيجبُ أن تُقْضَى الحياةُ تحت ظلّ مُرشِدٍ.

**الدَّليل رقم ٢:** يَحْتاجُ الإنسانُ إلى التَّعلّمِ في كلّ أمرٍ مِنْ أمورِ الدّنيا صغيراً كان أو كبيراً حتى لا يمكنُ معرفةُ طريقةِ تركيبِ الزرّ بالقميصِ بدونِ التعلّمِ. أفَلا يحتاجُ إلى معرفةِ الدِّينِ إلى التعلّمِ. قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «إنَّما بُعِثْتُ مُعلّماً».

[الدارمي ص ١٠٠، مشكاة المصابيح ج ١ ص ٨٥ ـ ٨٦]

علّم رَسُول اللّه ﷺ الذّين أصْحَابه حتّى قالوا: (تعَلّمنا الإيمانَ ثمّ تعَلّمْنا القُرآن).

[ابن ماجه ج ١ ص ٢٣، قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ـ مصباح الزجاجة ج ١ ص ٥٠]

فكَيْفَ يَحْصُلُ الدّين اليوْمَ بدونِ تعلّمٍ في عَصْرِ الظّلمةِ والضّلالةِ. فثَبتَ أنْ تعلّمَ الدّينِ مِنَ المُرشدِ لازمٌ واجبٌ.

الدّليل رقم ٣: لا يدّعي أحدٌ أنه يتعلّم الطبَّ بنفسه أو يحصلُ على فنِّ الهَنْدسةِ بنفسِهِ، كَذلِكَ لا يُمْكِنُ للإنسانِ أنْ يتعلّمَ الدّينَ بنفسهِ. قالَ النبيُّ ﷺ: «إنّما العِلمُ بالتعلّم».

[البخاري ج ١ ص ٤١ بتحقيق فؤاد عبد الباقي]

الدّليلُ رقم ٤: إذا ترَعْرَعَ شَجرٌ على يدِ بستانيٍّ يكونُ مستقيماً ورائعاً وجميلاً، بينما الفطري يكون معوجًا وتكون فروعه الفارغة منتشرة ومعلّقة بدون نظام، كَذلِكَ الإنسانُ الذي يتربّى عِنْد شيخٍ كاملٍ يتجمّل لحُسْنِ خُلُقهِ. وللتّربيةِ في الشّريعةِ أهميةٌ عَظيمةٌ حتى أباحت صيدَ كلبٍ معلّم بعد تحقق شروطٍ. فعلى السّالكِ أنْ يتعلّم الدينَ تحت تربيةِ شيخٍ، قالَ الشّاعِرُ:

إذا قَبِلْتَ ذاتَ المُرشدِ وجدتَ اللّه ورَسُولَه

إذْ لا يستطيعُ أن يقْتلَ هذه النّفسَ العاصيةَ سِوَى المُرْشِد، فتمسّك بذَيْلِ المُرْشِدِ.

الدّليل رقم ٥: يَحْكِي بعضُ المَشايخِ أنّ نملةً كَانَتْ تُريدُ زيارةَ بيْتِ اللّه تَعالى، ولَكِنْ كَانَتِ البِحَارُ والجِبالُ والصّحَارَى تَصُدّها، رأتْ يَوْماً حَمَامةً مِنْ سَوَاكِنِ بيْتِ اللّه تعالى فاعْتَصَمَتْ بِقَدَمِها، طَارَتِ الحَمَامةُ وَوَصَلَتْ إلى بيتِ اللّه تعالَى، فزارَتِ النّملةُ بَيْتَ اللّه تعالى.

بيت:

نَمْلَةٌ بِسَكِينَةٍ تَمَنَّتِ الوُصُولَ إلى الكَعْبَةِ
أَخَذَتْ قَدَمَ حَمَامَةٍ وَوَصَلَتْ إلى المَنْزِلِ

**الدليلُ رقم ٦**: صَحِبَ كَلْبُ أَصْحَابَ الكَهْفِ وُعِدَ بالجنّةِ.

[تفسير الخازن ج ٤ ص ٢٠٥ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٢٠٥ حاشية الجمل على الجلالين ج ٣ ص ١٢]

قالَ القُرطبيُّ رَحِمه الله، قالَ ابن عطيّةَ رَحِمه الله: وحدّثني أبي رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ أبا الفَضْلِ الجوهريّ في جَامِعِ مِصْرَ يقولُ على مِنْبرِ وَعْظِهِ سَنَةَ تِسْعٍ وسِتّين وأربعمائة: إنّ مَنْ أَحبّ أَهْلَ الخَيْرِ نالَ مِنْ بَرَكَتِهِم. كَلْبٌ أَحبّ أَهْلَ فضلٍ وصَحِبَهُم، فذَكَرَهُ الله في مُحْكَمِ تَنْزِيلِه. قُلْتُ: إذا كان بَعْضُ الكِلابِ قد نالَ هذه الدّرجةَ العُلْيا، فمَا ظنّكَ بالمؤمنينَ الموحّدينَ المُخَالِطينَ المحبّينَ للأولياءِ والصّالحينَ.

[الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٠ ص ٣٧١ ـ ٣٧٢]

قالَ الشّاعرُ الفارسيُّ الشيخُ السعديّ رحمه الله تعالى:

كَلْبُ أَصْحَابِ الكَهْفِ أياماً عديدةً ... اتّبَعَ الصّالحينَ صَارَ رَجُلا

**الدليلُ رقم ٧**: شَخْصٌ يُرِيدُ السّفرَ الجويّ يَشْتَري تَذْكِرةَ شركةٍ جيدةٍ ويركَبُ الطائرةَ مُعْتَمِداً على قَائِدِها، فالقائدُ يُوصِلُه إلى المَنْزِلِ، هَكذا السّالِكُ يَكِلُ نَفْسَه إلى الشّيخِ للسّفرِ الباطنيّ، فالشيخُ يَذْهَبُ به على طَرِيقِ السُّلوكِ ويَصِلُه بالله تعالى.

## أدلة مِنْ أحوالِ الصّالحينَ:

**الدّليلُ الأولُ**: وجَد سيّدُنا الوحشيُّ رضي الله عنه بصُحْبةِ النبيِّ ﷺ دَقَائِقَ مَنْزِلة. لو مُلِئَتِ الدّنيا بأمثالِ أويسٍ القرنيّ رحمه الله تعالى لَنْ يَبْلُغُوا غُبَارَ طَرِيقِه. قَالَ ابنُ حَجَرٍ المكيُّ رَحِمه الله تعالى: نَقَل

القاضي عياض أنَّ رَجُلاً قالَ للمُعافَى بن عِمْرانَ: أينَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العزيزِ مِنْ مُعاوية، فغَضِبَ غَضَباً شَديداً وقالَ: لا يُقاسُ بأصْحابِ النبيِّ ﷺ أحدٌ.

مُعاويةُ صاحِبُه وصِهْرُه وكاتِبُه وأمينُه على وَحْيِ اللّه ويُوافِقُ ذلك أنَّ عَبْدَ اللّه بنَ المُبارَكِ المُجْمَع على جَلالته وأمانَتِهِ وتَقَدُّمِه سُئِل: يا أبا عَبْدِ الرَّحْمنِ أيُّهما أفْضَلُ مُعاويةُ أو عُمَرُ بنُ عَبْدِ العزيزِ؟ فقالَ: واللّهِ إنَّ الغُبار الذي دَخَلَ في أنْفِ فَرَسِ مُعاويةَ مَعَ رسولِ اللّه ﷺ أفْضَلُ مِنْ عُمَرَ بألْفِ مَرَّةٍ، صَلَّى معاويةُ خَلْفَ رسولِ اللّه ﷺ، فقال رسول اللّه ﷺ: «سَمِعَ اللّه لِمَنْ حَمِدَه»، فقال معاويةُ رضي اللّه عنه: ربَّنا لَكَ الحَمْدُ فما بَعْدَ هذا الشَّرفِ الأعْظَمِ؟

[تطهير الجنان واللسان لابن حجر المكي ص ١٠، ١١]

فتبيَّن أنّه لا بَدِيل عَنِ الصُّحْبَةِ. قال عارِفٌ:

صُحْبَةُ الصَّالِحِينَ زَمانًا خَيْرٌ مِنْ عِبادةٍ خالصةٍ مِائة سَنَة

**الدَّليلُ الثاني**: أخَذَ الحَسَنُ البصريُّ العِلْمَ الظاهريَّ عن ثمانيةَ عشَرَ صَحابيًا مَعَ ذلك أخَذَ العِلْمَ الباطنيَّ عَنْ سيدنا عليٍّ رضي اللّه عنه واكْتَسَبَ أنوارَ الوِلايةِ.

**الدَّليلُ الثالثُ**: كان سُفْيان الثوريّ يقولُ: لولا أبو هَاشِمٍ الصوفيُّ ما عَرَفْتُ دَقِيقَ الرِّياء.

[اللمع ص ٢٢]

**الدَّليلُ الرابعُ**: استفاضَ الإمامُ الأعْظَمُ أبو حنيفة والإمامُ مالكٌ رحمهما اللّه تعالى من الشَّيخ جَعْفرٍ الصَّادقِ رحمه اللّه تعالى، فقالَ الإمام أبو حنيفة رحمه اللّه بعد رابطة سنتين: (لَوْلا السَّنَتانِ لَهَلَكَ النعمانُ).

**الدَّليلُ الخامسُ**: ذَهَبَ إبراهيم الأدهمُ يوماً للقاءِ الإمامِ الأعْظَمِ،

فقال الإمام: جَاء سيدُنا إبراهيمُ، فَسَأَلَ الطَّلابُ وكيف ذاك؟ فقال: نحن مُشْتَغِلُونَ في خِدْمةِ الأبدانِ وهو مُشْتَغِلٌ في خِدْمةِ ربِّ الأبدانِ، ويُقَالُ لِمِثْلِ هذا الرجلِ: ربانيٌّ.

**الدَّليلُ السادسُ:** أوصَى الإمامُ الأعظمُ رحِمَهُ الله تعالى الإمامَ أبا يُوسفَ رحمه الله تعالى أنْ أكْثِرْ ذِكْرَ الله تعالى فيما بيْنَ الناسِ ليتعلّموا مِنْك ذلك.

**الدَّليلُ السابعُ:** استفاضَ الإمامُ الشافعيُّ مِنَ الإمامِ محمَّدِ بنِ حَسَنٍ الشيبانيِّ وقالَ قوْلاً مشهوراً:

صَحِبْتُ الصّوفيةَ فما انتفعْتُ مِنهم إلّا بكلمتيْنِ، سَمِعْتُهم يقولُونَ: الوقتُ سَيْفٌ فإنْ قَطَعْتَه وإلّا قطَعَكَ، ونَفْسُكَ إنْ لم تُشْغِلْها بالحَقِّ، وإلّا شَغَلَتْكَ بالبَاطِلِ. يقولُ الحَافِظ ابن القيِّم رَحِمه الله تعالى بعد ذِكْرِ هذا القول: قُلْتُ: يا لهما مِنْ كلمتينِ، ما أنْفَعَهُما وأجْمَعَهما، وأدلّهما على عُلُومِ قائِلِهما ويقْظَتِه. ويَكْفِي في هذا ثناءُ الشّافعيِّ رحمه الله تعالى على طائفةٍ هذا قَدر كلمتِهم.

[مدارج السالكين ج ٣ ص ١٢٩]

**الدَّليلُ الثامنُ:** كانَ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ رحمه الله يذهبُ إلى شيخٍ في وَقْتِهِ (بِشْر الحافي) فسأله الطّلابُ يوماً: أنتَ مِنْ كِبارِ العُلماءِ لماذا تذهبُ إلى مَنْ هُوَ ليسَ بعالِمٍ؟ فأجابَ الإمامُ أحمدُ جواباً مذكوراً في التاريخ وقال: أنا عَالِمٌ بكتابِ الله، وبِشْرٌ عالمٌ بالله سُبْحانه وتَعالى، ولِلْعَالِمِ بِالله فَضْلٌ على العَالِمِ بكتابِ الله تعالى. الله أكبر كبيراً.

**الدَّليلُ التاسعُ:** سأل رجلٌ الإمامَ أحمدَ بنَ حنبلٍ ما الإخْلاصُ؟ فقال: الإخْلاصُ هو الخَلاصُ مِنْ آفاتِ الأعْمَالِ، فَسُئِلَ ما التوكّلُ؟ فأجابَ: الثقةُ بالله، فَسُئِلَ ما الرِّضا؟ فقال: تَسْلِيمُ الأمورَ إلى الله،

فَسُئِلَ ما المَحبّةُ؟ فقال الإمام أحمد بن حنبل: سَلُوا عَنْ هذا السؤالِ بِشراً الحافي لا أستطيعُ أنْ أُجيبَ عَنْ هذا ما دامَ حيًّا.

**الدَّليلُ العاشِرُ:** كان مربّي الإمام الغزالي في العُلُوم الظَّاهرية والبَاطِنية الخَواجه أبو علي الفَارمدي رَحِمه الله وهو شيخٌ عظيمٌ مِنْ مشايخِ السلسلة النقشبندية. يقولُ الإمامُ الغزالي رحمه الله: (إني أخذتُ الطريقةَ مِنْ أبي علي فارمدي وانتصلت ما كان يشيرُ إليه مِنْ وظائفِ العِباداتِ واستدامةِ الذِّكرِ إلى أنْ جزتُ العقباتِ وتكلّفتُ تلك المشاقَ وحصّلت ما كنت أطلبه).

[مكاشفة القلوب ص ٣٥]

**الدَّليلُ الحادي عشر:** كانَ الإمامُ فَخر الدين الرّازي قَدْ بايعَ الشَّيخ نَجم الدين كُبْرى.

**الدَّليلُ الثاني عشر:** كانَ العارِفُ الكَامِلُ المَولى الرومي رَحِمه الله مبايعاً على يَدِ الشَّيخ شَمْس تبريز، وفيه يقولُ المولوي: لَنْ يُقالَ له مَولى أهلِ الرُّومِ ما لَم يكُنْ تابعاً لشَمْسِ تبريز.

**الدَّليلُ الثالث عشر:** كانتْ بيعةُ مِثْل مَوْلانا الجامي المَشْهور في الآفاق على يَدِ الشيخ الخواجه عبيد الله أحرار السمرقندي مِنْ مشايخ السلسلة العالية النقشبندية.

**الدَّليلُ الرابع عشر:** كان العلّامةُ محمد شريف الجرجاني مُبايعاً على يدِ الخواجه علاء الدين العطار. يقولُ الجرجاني في كتابٍ له: واللهِ ما عرفتُ الحقَّ سبحانه وتعالى ما لَمْ أصِلْ في خِدْمةِ العطّار.

أَلَّفَ الشّاهُ وليُّ الله كتاباً في ذِكْرِ حياتِهِ اسمه: الجزءُ اللطيفُ في ترجمةِ العبدِ الضّعيفِ، وهو القائل فيه: بايعتُ والدي وأنا ابن خَمْس عشرةَ سنةً، واشْتَغَلْتُ في الأورَادِ الصُّوفيةِ، وخاصّة أوراد المَشايخ

النقشبندية وانتفعت بتلقينهم وتوجههم حتى أخذت آداب الطريقة والخرقة الصوفية وأصلحت سلسلتي الروحانية.

[من ديباجة حجة الله البالغة أردو ص ١٠]

**الدليلُ الخامس عشر**: كانَتْ علاقةُ الشَّيخ عبد الحقّ المحدّث الدهلوي الباطنية بالخواجه الباقي بالله رحمه الله من مشايخ السلسلة النقشبندية.

**الدليلُ السادس عشر**: يَقولُ الشاهُ وليُّ اللهِ المحدّثُ الدهلوي: لِطَهارةِ الأرضِ النجسةِ طريقان: **الأول**: أنْ ينزلَ عليها مِنَ المَطَرِ ما يسيلُ بالنجاسة، **والثاني**: أنْ تَلْمَعَ عليها الشَّمسُ حتى تَحْرِقَ النَّجاسةَ، كذلك لأرْضِ القَلْبِ مُطَهِّران: ذِكْر الله تعالى وهو كالمطر، والشيخ الكَامل وهو كالشَّمس يتطهّر القلبُ بالذِّكرِ، وبتوجهاتِ الشيخِ الكَاملِ أيضاً.

**الدليلُ السّابع عشر**: كانَ المحدّثُ الشهيرُ، والمفسّر الكبيرُ القَاضِي ثَناءُ اللهِ الفاني فتًى دَاخلاً في السّلسلة النقشبندية على يدِ الشيخ الميرزا مظهر جان جانان رحمه الله، ولذلك سُمّي كتابُه في التفسير: بالتفسير المظهري.

**الدليل الثامن عشر**: كانَ مولانا محمّد قاسم النانوتوي ومولانا رشيد أحمد الجنجوهي رحمهما الله تعالى مِن شموس وأقمار العِلْم، ومَعَ ذلك كان لَهُمَا علاقة البيعةِ بالشيخ الحاجي أمداد الله المُهاجر المكّي رحمه الله تعالى، وقد دَرّسَ الشيخُ رحمه الله تعالى إلى الكافية أي إلى الدرجة الثانوية العامة فقط.

**الدليل التاسع عشر**: استفادَ بَعْضُ العُلَماءِ مِنْ عدّة مشايخ. فَفازَ الخَواجه أبو سعيدٍ بمقَامِ الرّجاء مِنَ الشيْخِ الرّازي، ومَقَامِ الغيرة مِن

الشاه شَجاع الكَرماني، ومَقامِ الشُفقةِ من أبي حفصٍ الحداد.

**الدليل العشرون:** يقولُ الشيخُ أبو علي الروباري رحمه اللّٰه تعالى: أستاذي في التصوّف الشيخُ جُنيْد البغداديّ رحمه اللّٰه تعالى، وفي عِلْم الفِقْهِ الشيخُ أبو العباس ابن شُريْح رحمه اللّٰه تعالى، وفي النَّحو ثعْلَبٌ رَحِمَه اللّٰه تعالى، وفي الحَديث الشَريف إبراهيمُ رحمه اللّٰه تعالى، وكَفى بِهذه العُلوم لإصْلاح النَّفْسِ. فتبيَّن مِنْ هذه الحَقائقِ أنّ كلّ واحدٍ من مَشاهيرِ الأمّةِ وَجَد مَنازلَ عاليةً بالتربّي تحت ظلّ شيخٍ كاملٍ، وإنْ أراد اليومَ سالكٌ أن يبلغَ إلى هذه المنزلةِ فلا بدَّ أن يَسْلُكَ هذه المَسالِكَ التي وَجَدَ بها السلفُ الصالحون نعمةَ الوصولِ إلى اللّٰه تعالى.

## عَلاماتُ الشيخِ الكامِلِ:

لَا بدَّ للجَالِسين على مِسْندِ الإرشادِ منْ وجُودِ صِفَاتٍ حَسنةٍ.

قال الشاعرُ:

في إحْدَى اليَدَيْنِ كأسُ الشريعةِ ... وفي الأُخْرى قِلّةُ حُبّ اللّٰه

كلّ متّبع أهواء النفس ... لا يعرفُ اسْتِخْدَامَ أحد هذين

قال بعضُ العلماءِ: (لا بدّ للشَّيْخ الكَامِل مِنْ وجُودِ هذه الأوصَافِ الآتية كاملةً: التَّجافِي عَنْ دارِ الغُرورِ، والإنابةُ إلى دَارِ الخُلُودِ، والاسْتِعْدادُ للمَوْتِ قَبلَ نُزولِه). والحَقيقةُ أنّ طَالِبَ الدُّنْيا الدنيئة ليس بأهْلٍ ليكونَ شيخَ الطَّريقةِ، قال شاعرٌ:

سلّمْنا أنّكَ أُسْتاذُ العَصْرِ وشَيْخُ الهُدَى

ولَكِنْ أخْبِرْنِي هَلْ أنتَ ربّانِي

وذَكَر بعضُ العلماءِ للشيخ الكاملِ علاماتٍ هي:

١ ـ أنْ يكونَ صَاحِبَ نِسبةٍ. (مجازاً من شيخٍ منَ المَشايخِ مأموراً بنشرِ السّلسلة).

٢ ـ أنْ يكونَ صَاحِبَ عِلمٍ. (الجاهِلُ كالأعْمَى ومَنْ يتّخِذ الأعْمَى دليلاً يهْوي في الحُفْرة).

٣ ـ أن يكونَ صَاحِبَ تصرّفٍ (أي يَصْدُقُ عَليهِ) ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

٤ ـ أنْ يكونَ صاحبَ إرشادٍ (وهذه الصّفة ليستْ لازمةً بلْ هي أوْلى).

ومَنْ لمْ يتّصِفْ بهذه الصّفاتِ الأربعِ فليسَ بشيخٍ أبداً. قال شَاعِرٌ:

فَهُنَا ألفُ نكاتٍ أدقّ من الشّعْرِ
وليسَ كلّ مَنْ يَحْلِقُ رأسَهُ يَعْرِفُ الإصْلاحَ

ذَكَرَ الشيخ ابن عَربي للشيخِ الكامِلِ ثَلاثَ صفاتٍ: ١ ـ له دِينٌ كَدِينِ الأنبياءِ. ٢ ـ لَهُ تدبيرٌ كتدبيرِ الأطبّاء. ٣ ـ لَهُ سياسةٌ كَسياسةِ المُلُوكِ. قال شَاعِر:

هذا هو إمامُ زَمَانِكَ حَقيقةَ الذي
يبرئكَ عَنْ كلِّ حَاضِرٍ ومَوْجُودٍ
يريكَ في مرآةِ المَوتِ وجْهَ الحبيبِ
يَجْعَلُ حياتَكَ أشدَّ صُعُوبةً
يُشْعِرُكَ إحْسَاسَ الفِقْدانِ ويحرّكُ دَمَكَ
يحلُّكَ بالفَقْرِ ويَجْعلُكَ سَبْقاً

الشيخُ الكَامِلُ في بَادي الرّأيِ كَعامّةِ النّاسِ، ولَكِنْ يَخْتَلِفُ عَنْهُم كَثيراً في البَاطِنِ، كالماءِ المُرِّ، والماءِ الحُلْوِ، الصورةُ واحدةٌ والسّيرةُ مُخْتلِفةٌ. أكَلَ الفاسِقُ والصّالحُ خُبزاً واحداً يَنْشأ في أحَدِهما الشّهوَةُ، وفي الثّاني العِشْقُ الإلهي. أنْبتتِ الأرضُ

قَصَبيْنِ: أحَدُهُما صَارَ قَصَبَ القَلَمِ، والثاني قَصَبَ السّكر. أكَلَ الظبيانِ عُشْباً واحداً حَدَثَ في الواحِدِ البَعَراتُ، وفي الثاني المِسْك. مَصّتِ الذّبابُ والنّحْلُ مِنْ وَرْدٍ واحِدٍ صَارَ في الواحدِ السمّ، وفي الثاني العَسَلُ، الشيخُ الكَامل في الظاهر كعامّةِ الناس وفي الحقيقةِ يختلف عنهم. قال شاعر:

لا فَرْقَ في الألْفاظِ والمَعَاني ولَكِنْ
أذان المطوّع شيء وأذان المجاهد شيء آخر
يطيران في فضاءٍ واحِدٍ ولَكِن
للنسر عَالَمٌ وللشاهين عَالَمٌ آخر

فإن تيسّر لسالكٍ شيخٌ فيه هذه الصفاتِ فعلَيْه أنْ يتمسكَ بذيلِهِ وأنْ يَرَى صُحْبَتَه كالكيمياء الأحْمَر.

قال الشاعر:

إن تيسّر لأحدٍ شُعيبٌ فالمسافةُ
بين الرّعْي والكليمية قَدَمَان

## الباب السادس

# في آدابِ الشَّيخ

قال اللّه عز وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]. وقال في مقام آخر: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]. المقصود من الآياتِ البيناتِ توجيه المؤمنين إلى الآدابِ. قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «أدَّبني ربِّي فأحْسَنَ تأديبي».

[الجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ٥١]

فعُلِمَ مِنْ هذا الحديثِ أنّه لا بُدَّ للسّالكِ مِنْ رِعايةِ الآدابِ. قال قائلٌ:

خموش اے دل بھری محفل میں چلانا نہیں اچھا

ادب پہلا قرینہ ہے محبت کے قرینوں میں

تَرْجَمَتُه: اهدأ يا قَلْبُ فإنَّ الجَهْرَ لا يحسنُ في المَجْلِسِ الحَافِلِ إذِ الأدبُ أولُ درجةٍ مِن دَرَجاتِ المحبّةِ.

قالَ الشيخُ أبو حَفْصٍ رَحِمَه اللّه تعالى: (التصوّفُ كلّه أدبٌ).

وقال شاعِرٌ:

أدّبوا النَّفْسَ أيُّها الأصحابُ　　طَرِيقُ العِشْقِ كلُّها آدابُ

نذكُرُ فيما يلي عدّة آدابٍ، لا بُدّ للسّالِكِ مِنَ المُحافظةِ عليها، وأيُّ سالكٍ يتأدبُ بها سَوْفَ يَرْتقي بسرعةٍ، وإن تغفّلْ بعد معرفةِ الآدابِ حرمَ مِنَ النعماءِ الباطنةِ. رُوِيتْ هذه الآدابُ عنِ الشَّيخِ عبد المالك الصّديقي رحمه اللّه، وأُخِذتْ كما هي من

الشجرةِ الطَّيبة، ثم أُضيفت إليها أشياءُ لاضطرارِ الحاجةِ إليها بعنوانِ الفائدةِ لشرحِها لتيسيرِ تفهيمِها على السالكينَ كأنَّما رُقعت السجادةُ بالطَّلس.

**الأدبُ الأولُ:** لا ينظرُ السالكُ إلى ظاهرِ حالِ المُرشدِ وأُسرتِهِ ووجاهتِهِ ومهنتِهِ ولا يحتقرَنَّه، بَلْ ينظرُ إلى تلكَ النِّعمةِ والفيضانِ اللذَيْنِ وهبَهُما اللّه تعالى للشَّيْخِ وسيلتَيْنِ لمعرفةِ اللّه تعالى، ويستفيدُ مِنْ صُحْبتِهِ بكمالِ الصِّدْقِ واليقينِ.

**فائدة:** مَريضٌ يأخذُ العِلاجَ من الطَّبيبِ لمَهارتِهِ في الطِّبِّ لا ينظرُ إلى ظَاهِرِ حَالِ الطبيبِ، ولا إلى وَجاهتِهِ. هَكَذَا يَنبغي للسالكِ أن يَنْظرَ إلى نِعْمَةِ الشيخِ الباطنةِ لا إلى شيءٍ آخرَ مِنه. عَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ السَّاعديِّ رحمه اللّه أنه قال: مرَّ رَجُلٌ على رَسُولِ اللّه ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» فقال رَجُلٌ من أشرافِ النَّاسِ: هذا واللّه حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ أنْ يُنكحَ وإن شَفَعَ أنْ يُشَفَّعَ. فسكتَ رسول اللّه ﷺ، ثم مرَّ رَجُلٌ آخر، فقال له رسول اللّه ﷺ: «ما رأيك في هذا؟» فقال: يا رسول اللّه، هذا رَجُلٌ من فقراء المسلمين، هذا حريٌّ إن خَطَبَ أنْ لا يُنكَحَ، وإنْ شَفَعَ أنْ لا يُشفَّعَ، وإن قَالَ أن لا يُسمعَ لقوله. فقال رسول اللّه ﷺ: «هذا خيرٌ من ملءِ الأرضِ مِثْلَ هذا».

[بخاري مع حاشية السندي ج ٣ ص ١٢١ باب فضل الفقر من كتاب الدعوات، وقال النووي: متفق عليه ـ انظر رياض الصالحين مع شرح نزهة المتقين ج ١ ص ٢٦٥]

وعنْ أبي هريرةَ رضيَ اللّه عنه قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «إنَّ اللّه لا يَنْظرُ إلى صُوَرِكُم وأموالِكُم ولكنْ ينظرُ إلى قُلُوبِكُم وأعمالِكُم».

[مسلم ج ٣ ص ١٩٨٧ بتحقيق فؤاد عبد الباقي]

كان عُمَرُ رضي الله عنه يقولُ: أبو بَكْرٍ سيدُنا، وأعْتَقَ سَيِّدَنا، يعني بِلَالاً.

[صحيح البخاري مع حاشية السندي ج ٢ ص ٣٠٦]

وكان يَقُوم عندما يَرَى بلالاً في زَمَنِ خِلَافَتِهِ ويقولُ: جاء سَيِّدُنا بلالٌ رضي الله عنه، فعلمَ أن الظاهِرَ مِنَ البهاءِ والعَظَمةِ والكَرَامةِ ليس بشيءٍ عند الله تعالى، فعلَى السَّالكِ أنْ لا ينظرَ إلى ظَاهِرِ أحْوالِ الشَّيْخِ، بل ينظرُ إلى نِعْمَتِهِ الباطنةِ والحقّ أنَّ غَرَضَ العَطْشانِ الماءُ البَارِدُ، فلا يبالي أنَّ الماءَ في كأسِ الترابِ أو إناءٍ لامعٍ من الفضةِ. وأما القومية فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

حُكِيَ أنَّ الشيخَ مَهر علي شاه بايَعَ على يدِ الشَّيْخِ شَمْسِ الدين السيالوي رحمه الله، فقال رجل: كيفَ بايَعْتَ على يَدِ بدويّ وأنتَ شريفٌ؟ فأجابَ الشاهُ: رأيتُ أرْضَ الزَّارعِ خَضْرَاءَ فبايَعْتُه.

**الأدبُ الثاني**: ليعتَقِدِ السَّالكُ أنَّ مرشدَه أنفعُ النَّاسِ له، وأنَّ أمْرَ إصلَاحِ البَاطِنِ وحُصُولَ المَعْرِفةِ يتيسّر مِنْ هذا المُرْشِدِ ولا يكن آفاقاً، وإنِ التفتَ إلى جِهَةٍ أخْرَى يُحْرَمْ من الفُيُوضِ والبَرَكَاتِ.

**فائدة**: قال الله تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦].

فنقولُ: إنَّ الشيخَ قدْ لا يكونُ أعْلَمَ لكنّه في حقّ السَّالكِ أنفعُ البتةَ فما يتيسّر للطفلِ مِنَ الحبِّ والشَّفقةِ مِنْ أمّهِ لا يتيسّر من امرأةٍ أخرى، مع أنَّ النساءَ الأُخَرَ يمكنُ أنْ يكنَّ أفْضَلَ من أمّهِ عَقْلاً وأحْسَنَ خُلُقاً وأطْيَبَ في صفاتٍ أُخَرَ.

## وما أحْسَنَ ما قيل:

إنَّ حُبَّ الأمِّ جَبَلُ هَمَلَايا لم يَسْتَطِعْ أحدٌ أنْ يبلغَ شَامِخَاتِها.

إنّ حُبَّ الأمّ هو بَحْرٌ عَميقٌ لا يمكنُ أنْ يَصِلَ أحدٌ إلى عُمْقِها.

حَنَانُ الأُمّ زَهْرٌ دَائِمُ البَهْجَةِ لا يؤثّر عليه الخَرِيفُ والرَّبيعُ.

هكذا السّالكُ ما يَجِدُ مِنَ النّفعِ عِنْدَ المُرْشِدِ لا يَجِدُه عِنْدَ غَيْرِه.

السّالكُ يُفْتَحُ له بَابُ الإفاضَةِ قَدْرَ حُسْنِ ظَنّه في مُرْشِدِه. كَانَ مُرْشِدُ مجدّد الألف الثاني الشيخ الباقي بالله رحمه الله هادئاً قليلَ المَقالِ جدًّا. مرةً قالَ له شَخصٌ: عِظْ لنا يا سيّدي حتى يَسْتَفِيدَ السّالكونَ، فقال: مَنْ لَمْ يَسْتَفِدْ شيئاً من سُكُوتِنا لنْ يَنْتَفِعَ شيئاً من كَلَامِنا.

قالَ حَضْرَةُ مجدّد الألفِ الثاني رَحِمه اللّه تعالى: (كُنْتُ أنا وسَالِكَانِ ثَلاثَةَ أُخوة في الطّرِيقَةِ وظُنُونَنا في حقّ المرشد مُخْتَلِفةٌ. كانَ أَحدُنا يَظُنّ أنّ الشيخَ كَامِلٌ في نَفْسه غيرُ مكمّلٍ للآخرين، وكان يظنّ الثاني أن المرشدَ كاملٌ ولَكِن ليس بِصَاحِب إرْشادٍ، وكان ظنّي أنه إن تيسّر لأحَدٍ من هذه الأُمّةِ شيخٌ كَامِلٌ فهو الصّدّيقُ الأكبرُ تيسّر له النّبي ﷺ، أو تيسّر لي بعده شيخ كامل، فمن حُسْنِ ظنّي هذا اجتباني اللّه تعالى لتجديد هذا الدين فصارَ مجدداً للألف الثاني، فعلى السّالِكِ أنْ لا يكونَ أفّاقاً ولا يَلْتَفِتَ إلى غَيْرِ مُرْشِدِه لِكَسْبِ الفَيْضِ، ويُمْكِنُ أن يَسْتَشْهِدَ على هذا بقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢].

**الأدبُ الثالثُ:** وليَكُنْ كَامِلَ الإطَاعةِ لمُرْشِدِه لأنَّ بَابَ الفَيَضَانِ لا يُفْتَحُ بغَيْرِ حبّهِ وحُسْنِ اعتقادِه ومُقتَضَى الحُبِّ الطّاعة والخِدْمَة.

**فائدة:** سَفَرُ الهِجْرةِ لسيّدنا الصّدّيقِ الأكبرِ رضي الله عنه مِثَالٌ نادرٌ عِنْدَ الصّوفية لِطَاعَةِ المرشِدِ وخِدمتهِ وحبّهِ وحُسْنِ اعتِقادِهِ. جاءَ النّبيُّ ﷺ لَيْلَةَ الْهِجْرَةِ إلى بَيْتِ الصّدّيق رضي الله عنه فقال: «إنّ اللّه قد أذِنَ لي في الخُرُوجِ والهِجْرَةِ». فقال أبو بكر رضي الله عنه: الصُّحبةَ يا رَسُولَ اللّه.

قال: «الصُّحبة». قالت عائشة رضي الله عنها: فواللهِ ما شعرْتُ قطّ قبْلَ اليومِ أنَّ أحداً يَبْكي مِنَ الفرَحِ حتّى رأيتُ أبا بكْرٍ يَبْكي يومئذٍ، ثم قال أبو بكر: يا نبيَّ الله! إنَّ هاتين رَاحِلتانِ قد كنتُ أعْدَدْتُهما لهذا، وأمَرَ أبو بكر ابنه عبْدَ الله بنَ أبي بَكْرٍ أن يَتَسمَّعَ لهما ما يقولُ الناسُ فيهما نَهارَه، ثمّ يأتيهم إذا أمْسَى بما يكونُ في ذلك اليومِ مِنَ الخَبَرِ، وأمَرَ عَامِرَ بنَ فُهَيْرَةَ مَوْلاهُ أن يَرْعَى غَنَمَه نَهارَه ثمّ يُرِيحَها عليْهِما (يأتيهما) إذا أمْسَى في الغَارِ، وكانَتْ أسماءُ بنت أبي بَكْرٍ تأتيهما مِنَ الطَّعامِ إذا أمْسَتْ بما يُصْلِحُهُما. ولما انْتَهى رسولُ الله ﷺ وأبو بَكْرٍ رضي الله عنه إلى الغَارِ لَيْلاً دَخَلَ أبو بَكْرٍ رضي الله عنه قَبْلَ رسولِ الله ﷺ فلَمَسَ الغارَ لينظرَ أفيهِ سَبُعٌ أو حَيَّةٌ؟

قالَتْ أسْماءُ بِنتُ أبي بَكْرٍ رضي الله عنهما: لمّا خَرَجَ رسولُ الله ﷺ وخَرَجَ أبو بكرٍ معه احْتَمَلَ أبو بكرٍ مَالَه كلَّه معه، خَمْسَةَ آلافِ دِرْهَم أو ستةَ آلافِ دِرْهَم، فانْطَلَقَ بها معه، قالت: فدَخَلَ علينا جَدّي أبو قُحَافةَ، وقد ذَهَبَ بَصَرُه، فقال: والله إني لأراه قد فَجَعَكُم بمالِه مَعَ نَفْسِه، قالَتْ: قلتُ: كَلّا يا أبتِ، إنه قد تَرَكَ لنا خيراً كثيراً، قالت: فأخذتُ أحْجاراً فوضَعْتُها في كُوَّةٍ في البيتِ كان أبي يضعُ مالَه فيها، ثم وضعتُ عليها ثوباً، ثم أخذتُ بيدِه، فقلتُ: يا أبتِ ضَعْ يَدَكَ على هذا المالِ، قالتْ: فوضَعَ يدَهُ عليه، فقالَ: لا بأسَ إذا كانَ تَرَكَ لكُم هذا فقدْ أحْسَنَ، وفي هذا بَلاغٌ لَكُم، ولا واللهِ ما تَرَكَ لنا شيئاً، ولكنّي أردتُ أنْ أسكّنَ الشيخَ بذلك.

أُصيبَ الشيخُ دوست محمّد القَنْدَهارِي رَحِمه الله مرةً بمَرَضٍ فكانَ الشيخُ محمّد عُثْمَان الدَّامَاني رَحِمه الله يخرجُ من قريةِ مُوسى زَئي الشريفةِ ماشياً على قَدَميهِ إلى بلدةِ درابن وبينهما قريب من ثلاثين كيلومتراً فيأخذ الدواء ويرجع، ثم يشتغلُ في تمريضه طول الليل. فَعَلَ ذلك أياماً مُتواصلةً. اشتغلَ الشيخُ عبدُ المالكِ مِن سُكّانِ شَوْنْكَ قريشي

في رَعْيِ غَنَمِ الشَّيخ فَضْل علي القريشي رحمه الله قريباً من اثنتي عشرة سنةً حتى صار معروفاً باسم (بكر والِ) ومعناه (راعي الغنم). أَخْبر مُرْشِدُ العَالَم رحمه الله أنّ الشيخَ عبد المالك الصديقي رحمه الله تعالى اشْترى مرةً شَنْطَةً ثمينةً جداً وقال بعد ما سئل: سأضعُ فيها أحْجاراً لاستنجاء مُرْشدي. تقولُ العربُ: إنَّ المحبَّ لِمن يحبُّ مطيعٌ، وهذا الحُبُّ والخِدْمَةُ أسْبَابُ جَلْبِ الفَيْضَانِ.

**الأدبُ الرابعُ**: ليَخدُم الشَّيخَ ما استَطَاع خِدْمةً ماليةً وخدمةً بدنيةً ولا يمنّ عليه، بلْ يعترفُ بإحسانٍ منَ الشَّيخ أنه تفضَّل بقبولِ الخِدْمةِ ولا يطلبُ مُقَابِلَه شيئاً ولا يَطْمَعُ، وليَخْدِمْه ما استطاعَ لوَجْه الله تعالى حتى يفوزَ بكَمَالِ الإيمانِ.

**فائدة**: قَالَ السّيوطِي: أخْرَجَ ابنُ شاهينَ في السُّنَّةِ، والبَغَويُّ في تَفْسيره، وابنُ عَسَاكِرَ عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: كنتُ عند النبيِّ ﷺ وعنده أبو بكرٍ الصِّدِّيق وعليه عَبَاءةٌ قد خلَّلها في صَدْرِهِ بخِلَالٍ، فنَزَلَ عليه جبريلُ عليه السَّلام، فقالَ: يا محمدُ ما لي أرَى أبا بَكْرٍ عليه عباءةٌ قد خلَّلها في صَدْرِه بِخلَالٍ؟ فقال: يا جِبْريلُ أنْفَقَ مَالَه عليَّ قَبْلَ الفَتْحِ، قال: فإنَّ الله تعالى يقرأُ عليْهِ السَّلام ويقولُ: قُلْ له: أراضٍ أنْتَ عنّي في فَقْرِكَ هذا أمْ سَاخِطٌ؟! فقال أبو بكر: أسْخَطُ على رَبِّي؟ أنا عَنْ ربِّي راضٍ، أنَا عَنْ ربِّي راضٍ، أنا عن ربِّي راضٍ.

[تاريخ الخلفاء ص ٣٩]

قال سعيدُ بن المسيّب: وكانَ رسولُ الله ﷺ يقْضِي في مَالِ أبي بَكْرٍ كما يَقْضِي في مَالِه نَفْسه.

[تاريخ الخلفاء ص ٣٨]

سبحان الله، يا حبّذا سالِكٌ يَخْدُمُ الشَّيخَ ويعترفُ له بإحْسانٍ.

كما قَالَ قائلٌ:

منت منہ کہ خدمت سلطان ہمے کنی منت ازو شناس کہ بخدمت گزاشت

ترجمته:

لا تَمْنُنْ على السُّلطانِ إنَّكَ تخدُمُهُ
اعْتَرِفْ منه بإحْسانٍ إنَّه قَبِلَكَ لخِدْمَتِهْ

**الأدبُ الخامسُ**: ليُسْرِعْ في اتباعِ أمْرِ المُرشِدِ، ولكِنْ لا يَقْتدِ بفِعْلِه بغَيْرِ إذْنِه، لأنَّه قد يَعْمَلُ حَسْبَ حالِه ومرتبتِه، وفيه ضَرَرٌ للسَّالِكِ لارتفاعِه من مُسْتَواه، ولكِنْ يَقْتدِي بِقَوْلِه لينشأَ المحبَّةُ والمناسبةُ بالشَّيخِ.

**فائدة**: هذا الأدبُ مَأخُوذٌ مِنَ الحَديثِ الشَّريفِ. رَوَى أنَسٌ، وعبدُ اللَّه بنُ عُمَرَ، وأبو سَعيدٍ، وعائشةُ، وأبو هُريرة رضي اللَّه عنهم؛ أنَّ النبيَّ ﷺ نَهى عَنِ الوِصَالِ، وفي روايةٍ: شَفَقَةً لهم، فقال رَجلٌ مِنَ المُسلمينَ: إنَّكَ تُواصِلُ يا رسولَ اللَّه، قال: «وأيُّكُم مِثْلِي؟ إنِّي أبيتُ يُطْعِمُني رَبِّي ويَسْقِيني»، وفي روايةٍ: «فاكْفَلُوا مِنَ العَمَلِ ما تُطِيقُونَ».

[البخاري رقم ١٩٦١ إلى ١٩٦٧ ج ١ ص ٣٨، ٣٩ بتحقيق فؤاد عبد الباقي]

يَنْبغِي للسَّالِكِ أنْ يُسْرِعَ في امْتِثالِ أمْرِ المُرْشِدِ وإنْ رآه يَشْتَغِلُ في عَمَلٍ خَاصٍّ يستأذِنُه ويتخذُه بَعْدَ إذْنِه، إنْ لَمْ يؤذَنْ له يظُنَّ نفسَه ضعيفاً ناقِصَ الهِمَّةِ ويعترِفُ بلسانِه أنَّ عَمَلَ المُرشِدِ أقْوَى لينشأَ الحُبُّ والمُناسبةُ بالمُرشِدِ.

**الأدبُ السادسُ**: وفي مَجْلِسِ المُرْشِدِ يلتفتُ إليه بحذافيره، فلا يقرأُ وِرْداً ولا يُصَلِّي نافلةً بغير إذْنِهِ إلا الفَرائِضَ والسُّنَنَ، بل يَغْتَنِمُ صُحْبَتَه المؤثِّرةُ أثَرَ كيمياءٍ ليجِدَ منه نظرةَ الشَّفقةِ وليأخذَ نصيبَه من نِعْمَتِهِ الباطِنَةِ. قَالَ مشايخُ الطَّريقةِ النقشبنديةِ رَحِمهم اللَّه: إنَّ

رَبْطَ القَلْبِ بِقَلْبِ الشَّيْخِ عِنْدَ حُضُورِهِ أَنْفَعُ مِنَ الوقُوفِ القلبِيِّ.

**فائدة**: الحِكْمَةُ عَنِ النَّهيِ عَنِ النَّفْلِ والوِرْدِ بين يَدَي الشيخِ أنَّ للسَّالِكِ أنْ يَعْمَلَ هذا في غَيْبَتِهِ أيضاً، فَلْيَسْتَفِدْ من صُحْبَةِ الشَّيْخِ الفَائِدَةَ الباطِنِيَّةَ، ولْيَلْتَفِتْ إليه التفاتاً تامًّا سَمْعاً وفِكْراً.

یک چشم زدن غافل ازاں شاه نباشی     شاید کہ نگاہے کند آگاہ نباشی

ترجمته:

لا تَغْفَلْ عَنْ ذلك المَلِكِ طَرْفَةَ عَيْنٍ
عَسَى أن يَنْظُرَ إليكَ وأنتَ لا تَلْتَفِتُ إليْهِ

إنابةُ القَلْبِ إلى اللهِ يُقالُ لها: الوقوفُ القَلْبِي، وأمَّا الرَّابِطَةُ القلبيَّةُ فهي أنْ يظنَّ السالِكُ نفسَهُ خالياً ويربطُ قلْبَه بقلْبِ الشَّيْخِ ويحسبُ أنه يأتيهِ الفَيْضُ في قَلْبِهِ مِنْ قَلْبِ الشيخِ، يرتقِي السَّالكُ بالذِّكْرِ أيضاً وبعناياتِ المُرْشِدِ أيضاً. والسَّبيلُ الذي يعبرُ بدونِ مُرْشِدٍ في سنواتٍ يمكنُ أن يَعْبُرَ بعناياتِ المُرْشِدِ في ساعاتٍ.

ولذا قيل:

یک زمانہ صحبت با اولیاء     بہتر از صد سالہ طاعت بے ریا

ترجمته: مُجالَسَةُ الأولياءِ حِيناً مَا خَيْرٌ مِنْ عِبادة مائةِ سَنَةٍ خاليةٍ من الرِّياءِ.

قال الشيخ محمد معصوم رحمه الله:

سایہ رہبر بہ است از ذکر حق

ترجمته: ظِلُّ الشَّيْخِ أنفعُ للسَّالك من ذِكْرِ الحَقِّ.

قال عَارِفٌ: إذا جَلَسْتُم في مَجَالِسِ العُلَمَاءِ فأمْسِكُوا ألْسِنَتَكُم، وإذا جَلَسْتُم في مَجَالِسِ أوْلياءِ اللهِ فأمْسِكُوا قُلُوبَكُم، وإذا جَلَسْتُم في مَحَافِل

المُلُوكِ والسّلاطينِ فأمْسِكُوا أبْصارَكُم، وَجَدَ الصَّحابَةُ رضي الله عنهم مِنْ صُحْبَةِ النبيِّ ﷺ عدّة ساعاتٍ ما لَمْ يَجِدْ غيرُهم من مُجاهداتِ ألف سَنَةٍ. ومِن آينَ إلى أينَ أبلغت خبازاً نظرة واحدة من الشيخ الباقي بالله رحمه الله تعالى.

**الأدبُ السابع**: ليَجْلِسْ في صُحْبَةِ الشَّيْخِ متأدباً متواضعاً ساكتاً ولْيَسْتَمِعْ كَلامَه الطَّيِّبَ بغايةِ فِكْرٍ، ولا يَنْظُرْ يميناً وشِمالاً، ولا يتكلّمْ بغيْرِ إذْنِهِ، ولْيَتَكَلَّمْ عند الضرورةِ بكلامٍ موجزٍ، ولْيَنْتَظِرْ جوابَه بغايةِ التَّوجّهِ، وَلْيَتَكَلَّمْ بهدوءٍ ورِفْقٍ، ولا يَرْفَعْ صَوْتَه على صوتِ المُرْشِدِ، ولا يَتَكَلَّمْ بكَلِمَةٍ تكُونُ سَبَبَ ضِيقٍ أو خِفَّةٍ لِلْمُرْشِدِ.

**فائدة**: عندما يَسْتَمِعُ السّالكُ إلى مَوْعِظَةِ الشَّيْخِ بطَلَبٍ صَادقٍ يتأثر قَلْبُهُ يقيناً. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

والحِكْمَةُ في الإنْهاءِ عَنِ التَّكَلُّمِ بغيْرِ إذْنِهِ أنه يمكنُ أن يكونَ الشَّيْخُ مُفَكّراً يفكّرُ في نُكْتَةٍ عِلْمِيّةٍ، أو يلقي توجّهاتِهِ الباطنية على قَلْبِ أحدٍ، أو يردّ عليه الإلْهامَ أو يَكُونُ مُتفكّراً في أمْرٍ هامّ، فالكَلامُ بدونِ الإذن حينئذٍ يؤدي إلى انقباضِ الطّبعِ.

وأيضاً لا يرفَعُ صوتَه أثناء الكَلام على صوتِ المُرْشد. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢].

واستدلّ الإمامُ البخاريُّ مِنْ أحاديثِ الإنصاتِ للنبيِّ ﷺ على حُكْمِ الإنْصَاتِ للعلماءِ في كِتَابِ العِلْمِ مِنْ صَحيحِ البُخَاري. لِيَسْتَمِعْ إلى كَلامِ المُرشِدِ بغايةِ فِكْرٍ، وقال بعضُ المشايخ: لِيكنِ المرشدُ لِساناً والسَّالكُ أُذُناً.

**الأدبُ الثامن:** لا يميزُ نفسَه بحضرةِ الشيخِ، بَلْ يُظْهِرُ نفسَه حَقيرةً محتاجةً ممتلئةً بالطَّلَبِ والشوقِ.

**فائدة:** لا يتكلَّمُ بين يدي المُرشِد بكلامٍ يظهرُ به التفوّقُ العلميّ على الحاضِرين، ولا يظهرُ جلالته أو هيبته الدنيوية، ولا يظهر بعَمَلِه أنه مُستشارُ الشيخِ أو صاحِبُ سرِّه، ولا أنَّ المرشدَ عَطوفٌ عليه، فجميعُ هذه الأمورِ تسمنُ النفسَ وتدلّ على الأنانية، فليلتزمِ الطّاعةَ والتواضعَ ما استطاعَ.

زمیں کی طرح جس نے عاجزی وانکساری کی خدا کی رحمتوں نے اس کو اٹھا یا آسماں ہو کر

ترجمته:

مَــنْ تــواضــعَ مِــثْــلَ الأرضِ وتــذلَّــلَ
تــصـبـحُ لـه رَحَـمـاتُ ربّـه سَـمـاءً وتـغـمّـدتْـه

**الأدبُ التاسعُ:** لا يَقْعُدُ مَقْعَدَ المُرْشِدِ، ولا يَضَعُ قَدَمَهُ على سجّادَتِه.

**فائدة:** أصلُه عَمَلُ سيّدنا الصّدّيق رضي الله عنه. رُوي أنَّ النبيَّ ﷺ كان يَخْطُبُ على الدّرجةِ الثالثة أي العالية من المِنْبَرِ، وكانَ الصّدّيق رضي الله عنه زَمَنَ خِلافتِه يخطبُ على الدّرجةِ الثانيةِ، وهذا مِنَ الأدبِ. وإنّما ينهى عَنِ الصّلاة على سجّادةِ المُرْشِدِ، لأنَّ فيه ادّعاءَ المُساواةِ ظاهِراً.

**الأدبُ العاشر:** لا يأكلُ ولا يشربُ ولا يتوضأُ بين يَدَيْه بغيرِ إذْنِه، ولا يَسْتَعْمِلُ إناءَه، ولا يتطهّرُ ولا يتوضأُ مقامَ طهارتِه ووضوئِه، ويحترمُه في غَيْبتِه كما يحترمُه بحضرتِه حتّى يفوزَ بالإخلاصِ.

**فائدة:** لا يَشْتَغِلُ بين يَدَيِ المُرْشِدِ في الأكلِ والشُّرْبِ بغيرِ الإذْنِ حتى يأذنَ للجُلوسِ فيجلسُ على المائدةِ، وإن لم يأذنْ تأخر بطيبِ

القَلْب. تنظرُ عينُ المرشد ما لا تنظره عينُ السَّالكِ. دُستورُ مشايخِ السِّلسلةِ الشَّاذلية العالية أنهم يلقُونَ الفُيُوضَاتِ والتَّوجُهَاتِ في المأكولاتِ والمشروبَاتِ ويُطعِمُونَها للسَّالكينَ، وبعْضُ المَشَايخِ مِنْهُم يأخذونَ الميثاقَ مِنَ الخُلَفاءِ عندَ التَّخليفِ أنَّكُم سَوفَ تُلقُونَ التَّوجُهاتِ في المَأكولاتِ والمَشْرُوباتِ وتُقدِّمُونَها للسَّالِكِينَ.

رُوِيَ في كُتُبِ التَّصوفِ المعتبرةِ أنَّ بعضَ المَشَايخِ أطْعَمَ السَّالكَ شيئاً عند التَّخليفِ. كانَ الشَّيْخُ مُرْشِدُ العَالَمِ رحمه اللّه تعالى يتابعُ جميعَ السَّالِكِينَ المُجْتَمِعينَ على المَائِدةِ متابعةً دقيقةً، وكان يربِّي زَجْراً وتوبيخاً وكانَ يقولُ: رأيتُ شَيْخَ الحَديثِ مَوْلَانا محمّد زكريا رحمه اللّه كانَ قويَّ السيطرةِ على المَائِدَةِ حتى مَنْ حَضَر مائدتَه عدةَ مراتٍ اعْتَدَلَتْ عدَّة تَعوّجَاتِه.

ولا يبدأُ بالأكْلِ قَبْلَ الشَّيْخِ، فعَنْ جابرٍ رضي اللّه عنه أنَّ الصَّحابةَ رضي اللّه عَنهم أجمعينَ كانوا لا يَضعُون أيْدِيَهُمْ في الطَّعَامِ حتَّى يكونَ رسولُ اللّه ﷺ يبدأُ.

[مسند أبي يعلى الموصلي ج ٢ ص ٣٢١ حديث رقم ٢١١٨]

**حكاية**: وُضِعَتْ للشَّيْخِ الحَاجِّ أمْدَاد اللّه المُهَاجِرِ المكيِّ رحمه اللّه تعالى مَائِدَةٌ مُشْتَمِلَةٌ على أطْعِمَةٍ لَذِيذَةٍ، وكانَ مَوْلَانا رَشِيد أحْمَد الكَنْكُوهِي رَحِمَه اللّه حَاضِراً في خِدْمَتِهِ، فوضَعَ الشيخُ الحاجُ خبزاً وعَدَساً قليلاً في الطَّبَقِ ووَضَعَهُما في يَدِ الكَنْكُوهي رَحِمه اللّه وقال: اجْلِسْ بِجَنْبِ المَائدةِ وكُلْ هذا الطَّعامَ فَجَعَلَ الكَنْكُوهي رَحِمه اللّه يأكُلُ بكلِّ رَغْبَةٍ وسُرورٍ. قال الحَاجُّ بعد لَحْظَةٍ زاجراً: أي رَشيد أحمد! كُنْتُ أريدُ أنْ أُجْلِسَكَ في مَوْضِعِ الأحْذِيَةِ، ولكِنْ أكْرَمْتُكَ وأجْلَسْتُكَ على المَائِدَةِ، ثم تَابَعَ الحَاجُّ انْطِبَاعاتِ وَجْهِهِ، فقالَ الكَنْكُوهي رحمه اللّه بغايةِ أدبٍ: نَعَمْ يا سيِّدي إنِّي أهلٌ أنْ أجْلِسَ في مَوْضِعِ الأحذيةِ، وهذا

فَضْلٌ مِنْكَ وإحْسَانٌ. فلمّا رأى الشَّيْخُ الحاجُ أنّه ما ثارتْ نَفْسُه بِسمَاعِ هذا الكَلَامِ المرّ، قالَ: الحَمْدُ لله، ظَهرَتْ ثَمَرَاتُ الذِّكْرِ.

**الأدبُ الحادِي عشر:** لا يَبْسُطُ رِجْلَيْه إلى المَقَامِ الذي يَجْلِسُ عليه المُرْشِدُ ولا يَبْصُقُ إليه وإنْ لم يكنِ الشَّيْخُ حينئذٍ بين يَدَيهِ.

**فائدة:** كَرِهَ الفُقهاءُ بَسْطَ الرِّجْلَيْنِ والبَصْقَ إلى الكَعْبةِ المُشرَّفةِ، وإنْ لم تَكُنْ بين يَدَيهِ، لأنّ بيْتَ الله مركزٌ للأنوارِ والتجليّاتِ، هكذا قَلْبُ المُرْشِدِ مَوْرِدٌ للتَّجلّيَاتِ الذاتية، فوجَبتْ مُراعاةُ تلك الآدابِ للمُرْشِدِ. رَوَى ابنُ مَاجه عَنْ عبدِ الله بنِ عمرٍو رضي الله تعالى عنهما أنه قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَطُوفُ بالكَعْبةِ ويقولُ: «ما أطْيَبَكِ وأطْيبَ رِيحَكِ، ما أعْظَمَكِ وأعْظَمَ حُرْمَتَكِ، والّذي نَفْسُ محمّدٍ بيدِه لَحُرْمَةُ المُؤمِنِ أعْظَمُ عِنْدَ الله حُرْمَةً مِنْكِ مَالهُ ودَمُه وإنْ نَظُنّ به إلّا خَيْراً».

[سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٢٩٧]

**الأدب الثاني عشر:** لا يَضَعُ قَدَمَيْهِ على ظِلّ المُرْشِدِ ولا يَقُومُ ما اسْتَطَاعَ في المَكَانِ الذي يَقَعُ به ظِلّه على المُرْشِدِ.

**فائدة:** وَطْءُ شيءٍ تحتَ القَدَمِ يدلّ على اسْتِحْقَارِه، فلا يَنْبغِي للسّالكِ أنْ يَضَعَ قَدَمَه على ظِلّ المُرْشِدِ لئلّا يُشْتَبه اسْتِهْتَارُه، فيُحَاوِلُ أنْ لا يَقَعَ ظِلُّه على المُرشِد، لأنّ انْقِطَاعَ الضّياءِ قد يسبّبُ الاضطرابَ الطّبيعي. ولا يحسبُ هذه الآدابَ بسيطةً، لأنّ الذراتِ الصغيرةَ عندما تَجْتَمِعُ تصبحُ كثبةَ رَمْلٍ، وقد قِيلَ: إنّ حبةً لا تملأُ كومةً، لَكِنْ تُسَاعِدُ حُبوباً تملأُ كومةً.

قال الحَافِظُ ابنُ القيّمِ: لا تَسْتَصْغِرُوا ذَنْباً بَلِ انْظُرُوا إلى عَظَمَةِ مَنْ تَعْصُونَه. وبِنَاءً على هذا يُمْكِنُ أنْ يُقَالَ: لا تَسْتَحْقِرُوا أدَباً بلْ رَاعُوا ذاتَ المُرْشِدِ الذي أصْبَحَ وسيلةً للوصُولِ إلى المَالِكِ الحَقِيقيّ. حَكَى الشيخُ

مُرْشِدُ العَالَم رحمه الله أنّ طالباً صَادِقاً حَضَر في خِدْمَةِ الشَّيْخ فَضْلِ علي القريشي رَحِمه الله تعالى وقال: إنّ لَطَائِفي توقَّفَتْ مُنْذُ أيَّام لا أدْرِي ما سببُه؟ فقال الشَّيْخُ: انْظُر لا بدَّ أن يكونَ هناك ارْتِكَابُ سُوءِ أدَبٍ ويكونُ هذا جَزَاءه، ففكَّر طَويلاً حتى تذكَّر أنّ عَصَا الشَّيْخ كانت مَوْضُوعةً قَبْلَ أيامٍ وهذا السَّالِكُ جَاوَزَ عَلَيْهَا فَجَرَتْ لَطَائِفُه بعد التَّوبةِ والاسْتِغْفَارِ.

**الأدبُ الثالثَ عشر**: لا يَمْشِي أمَامَ الشَّيْخِ ولا يَسْتَحْيِي في المَشْيِ خَلْفَه بلْ يَحْسَبُه سَعَادَةً.

**فائدة**: المُرَادُ بالنَّهي عن المَشْيِ أمَامَهُ ألّا يَتقدَّمَه في النَّهارِ بلا حَاجةٍ، فإنِ اضطرّ إلى المَشْي أمَامَه لِحَاجةٍ فلا بأسَ، بَلْ قَدْ يكونُ التَّقدمُ أولَى كالمَشْي أمَامَهُ لَيْلاً مَخَافَةَ أن يكونَ في الطَّريقِ حَيَوانٌ مؤذٍ أو حُفْرَةٌ أو حَجَرٌ يزلُّ به الإنسَانُ أو يأمرُ الشَّيْخُ بالتقدم لسببٍ، فالتَّقدّمُ حينئذٍ عَيْنُ أدبٍ، إذِ الأمرُ فوقَ الأدبِ. خَرَجَ حَضْرَةُ مُرْشِدِ العَالَم رحمه الله مِنَ الحَرَمِ المَكّيّ الشَّرِيفِ لِزيارةِ شَخْصٍ فقالَ للمُضِيفِ: امشِ أمَامَنا فإنّا لا نَعْرِفُ الطَّريقَ فقالَ: لَا بَلْ تَقَدّمْ أنْتَ يا سَيّدي وأنا أدلّ على الطَّريقِ، فَكُلّما يأتي لَفّةٌ في الطَّريقِ احْتَاجَ الشيخُ أن يَنْثَنِيَ إلى الخَلْفِ ويسألَ: إلى أيّ جهةٍ نَذْهَبُ؟ فأمر الشَّيْخُ بعد قليلٍ مرةً ثانيةً أن يتقدّمَ فاعْتَذَرَ وقالَ: لا يا سَيّدي أنَا بالتّخلّفِ أجْدَرُ. فلمّا رَدّ أمره مرةً ثالثةً بهذا الجواب رَفَعَ الشَّيْخُ عَصَاه غَاضِباً وقال: هَلْ أنْتَ شَيْخي أو أنَا شَيْخُكَ فحِينئذٍ أدْرَكَ الحقيقةَ وتقدّمَ.

الأصْلُ في عَامّةِ الأحْوالِ ألّا يَتقدّمَ المُرِيدُ الشَّيْخَ بلا ضَرُورَةٍ، ففي عُيُونِ الأخْبارِ، أنه سُئِل عُمَرُ بنُ زيدٍ عن تعليم وتربيةِ ابنِهِ وحسن تأدّبه فقال: ما مَشَيْتُ نهاراً إلا وهو خَلْفِي ولا مَشَيْتُ ليلاً إلا وهو أمَامِي ولا صَعَدَ سَقْفاً أنا تَحْتَه. قَالَ مُرْشِدُ العَالَمِ رحمه الله تعالى: كُنْتُ أمْشِي خَلْفَ شَيْخي كالكَبْشِ الأليفِ.

**الأدبُ الرابعَ عشر**: يقومُ المُريدُ إذا قامَ الشَّيْخُ ويَقْعُدُ بعد قُعُودِهِ.

**فائدة**: مِنَ الإكْرامِ أنْ يَقُومَ المُرِيدُ عِنْدَما يَقُومُ الشَّيْخُ، ويَجْلِسَ عِنْدَما يَجْلِسُ الشَّيْخُ. بَعْضُ النَّاسِ يَسْأَلُونَ أنَّ النبيَّ ﷺ نَهَى أصْحَابَه مرَّةً عَنِ القِيَامِ، فَلِمَاذا يَقُومُ النَّاسُ إكراماً في مَجَالِسِ الشُّيُوخِ؟ هؤلاءِ مَا يَقُومُونَ في هذا المَوْضِعِ، وَمَا يَسْتَحْسِنُونَ الذين يَقُومُونَ، وهذا السؤالُ نَاشِئٌ عَنْ قِلَّةِ العِلْمِ. مِنْ حُسْنِ الشَّرِيعةِ المُحَمَّدِيَّةِ أنه إذا كانَ في قضيَّةٍ فَرِيقَانِ يُؤْمَرُ كلٌ مِنْهُما بأداءِ حقوقِ الفريقِ الثاني حتى تَسْتَمِرَّ الأمورُ بأسلوبٍ حسنٍ، وَتَقُومَ بينهما عَلاقَةُ الحُبِّ والإكْرامِ، ففي جَانِبٍ واحِدٍ أَمَرَتِ الشَّرِيعةُ المُرِيدَ بِالقِيَامِ لتقديرِ الشَّيْخِ والامتثالِ بالحديثِ: «أنزِلُوا النَّاسَ مَنازِلَهُم».

[الجامع الصغير ج ١ ص ٤١٩]

وبِجَانِبٍ آخرَ أَمَرَ الشَّيْخُ أنْ يكْرَهَ أنْ يَقُومَ له النَّاسُ حتَّى يَسْلَمَ مِنَ العجبِ والكِبْرِ، فيزعمُ المُرِيدُ القِيامَ كالواجِبِ، ويأمُرُ المُرْشِدُ بالرِّفْقِ بالقُعُودِ حتى يبقى ارتباطُ الحبِّ والاعْتِقَادِ.

أحاديثُ النَّهْيِ عَنِ القِيَامِ مَعْرُوفةٌ، ولْنَذْكُرْ هَهُنا ثَلاثَةَ أحاديثَ عَنِ القِيَامِ:

**الأول**: رَوَى أبو دَاودَ والنسائي عَنْ أبي هُرَيرة رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَجْلِسُ معنا في المَسْجِد يحدّثنا فإذا قامَ قُمْنَا قِياماً حتى نَراهُ قَدْ دَخَلَ بَعْضَ بُيُوتِ أزْوَاجِهِ».

[رواه أبو داود رقم ٤٧٧٥ في الأدب باب في الحلم، والنسائي ٨/ ٣٣، ٣٤ في القسامة، جامع الأصول ج ١١ ص ٢٥٣، وبذل المجهود ج ٥ ص ٢٣٥]

**الثاني**: رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ رضي اللّه عنه فأرسَلَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلى سَعْدٍ رضي الله عنه، فأتاه على حِمَارٍ فلمّا دَنا قريباً مِنَ المَسْجِدِ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ للأنصارِ: «قُومُوا إلى سَيِّدِكُم».

[رواه مسلم ج ٣ ص ١٣٨٩ واللفظ له والبخاري ج ٣ ص ٤٤]

فقامَ الأنصارُ إكراماً لسَعْدٍ رضي الله عنه، فينْبغِي أنْ يَقُومَ المُرِيدُ لشَيْخِهِ عَمَلاً بهذا الحَدِيثِ النبويِّ الشريفِ على صَاحبِهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

**الثالث**: عَنْ أمِّ سَلَمَةَ رَضي الله عنها قالت: كُنّ نساءٌ يُصلِّينَ على عَهْدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فإذا سلَّم النبيُّ ﷺ انْصَرَفْنَ وثَبَتَ النبيُّ ﷺ ومَنْ صلّى معه ما شاء الله، ثمّ يقُومُ.

[مسند أبي يعلى الموصلي ج ٦ ص ٢٤٨]

وفي روايةٍ أُخْرَى عنها قالَتْ: كُنَّ النّساء في عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إذا سَلَّم مِنَ المَكْتُوبةِ قُمْنَ، وثَبَتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ومَنْ صلّى خَلْفَهُ مِنَ الرِّجَالِ، فإذا قامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قامَ الرِّجَالُ.

[مسند أبي يعلى الموصلي ج ٦ ص ٢٧٥]

**الأدبُ الخامسَ عَشَر**: لِيَكُنْ سَواءٌ بِحَضْرةِ الشَّيْخِ وبِغَيْبَتِه ولْيَجْعَلْ ظَاهِرَه كبَاطِنِه أي لا يَكُن أي اخْتلافٍ بَيْنَ ما في قَلْبِهِ وما يَقُولُ بلسانِه.

**فائدة**: المُرِيدُ الذي لا يكونُ مُسْتقِيماً أمَامَ الشَّيْخِ وخَلْفَه هو كمَرِيضٍ يُخْفِي عَنِ الطَّبِيبِ مَرَضَه، ولا شَكَّ أنَّ هذا المَرِيضَ لَنْ يَبْرأَ مِنَ المَرَضِ. كانَ مُرْشِدُ العَالَمِ يقولُ: (على المُرِيدِ أن يُبَيِّنَ كلَّ ما عِنْدَه لمُرْشِدِه كَمَا تُبَيِّنُ البِنتُ كل مَا لَها لأمّها). فإنَّ الشَّرِيعةَ كما أباحَتْ كَشْفَ السَّتْرِ عند الطَّبِيبِ للعِلاَجِ كذلك أبَاحَتْ بل أوْجَبَتْ كَشْفَ جَميعِ أعْمَالِهِ لِلْعِلاَجِ الرُّوحَانِي أمَامَ المُرْشِدِ. فإنْ أخْفَى المُرِيدُ على المُرْشِدِ يَتَحَمّل هو الخَسَارة.

قَالَ قائلٌ: إنْ أغلقتُمُ البابَ لإخفاءِ العُيُوبِ لا يَزالُ الصِّدْقُ خَارجاً ولا يُفِيد الذِّكْر حينئذٍ.

وقَالَ شَاعِرٌ ما مَعْنَاهُ: ما زِلْتُ ذَكَرْتُ حتى سَحِقَ لِسَانِي لَكِنْ لَمْ يَتَوطَّنِ الذِّكْرُ مِنْ قَلْبِي فقدْ وقَعْت في مصيبةٍ أُلقِيَتْ في عُنُقِكَ عُقُوداً ثقيلةً وسُبْحَةً ولَكِنْ قَلْبُكَ مَعْقُودٌ بالآثامِ فكيف يؤثر عليك الذِّكْرُ؟

**الأدبُ السَّادسَ عشر**: يَرى جميعَ أقوالِ المُرْشِدِ وأفْعَالِه سَدِيدة ولا يُخطِئه ولا يأتِي في القَلْبِ بشُبْهةٍ أو شَكٍّ، وإنْ لَمْ يفهمْ شيئاً يذكُر قصَّة سيِّدنا مُوسَى وسيِّدنا خِضر عليهما الصلاة والسلام.

**فائدة**: العَلاقَةُ بين المُريدِ والمُرشِدِ ليست كعَلاقَةِ التلميذِ والأستاذِ، بَلْ كعلاقةِ المَرِيضِ والطَّبيبِ، كَمَا أنّ المريضَ ليس لَهُ أنْ ينسبَ الخطأَ إلى أي شيءٍ مِنَ الطَّبيبِ كذلكَ ليس للمُريدِ أنْ ينسبَ الخَطَأَ إلى أيِّ شيءٍ مِنَ المُرْشِدِ. قال الشيخُ قاضي ثناء الله الفاني فتي رحمه الله في إرشادِ الطالبين: «المرشدُ إن كَانَ مَوْصُوفاً بالاستِقامةِ والتقْوى، فَلا يوجهُ إليه الاعْتِراضُ إنْ صَدَرَ منه أحياناً أمْرٌ يُخَالِفُ الشَّرعَ، بلْ ينبغي تأويلُه وحَمْلُه على الاضطرارِ أو الاسْتِغراقِ أو عَدَمِ وقُوفِهِ عليه، وإنْ كَانَ رَجُلاً غير متصفٍ بأوصافِ الشَّيخِ الكَامِلِ وطريقه طريق فِسْقٍ، فهذا الرَّجلُ لَيسَ بوليٍّ قطّ ولا ينبغي تأويل أفْعَالِهِ وأقْوالِه».

كانَ الشيخُ عبد الله الأندلسي رحمه الله مُرْشِدَ الشَّيخ الشبلي رحمه الله مِنْ حفّاظ القُرآن والحَديث كَانَ قد بَايَعه مئاتُ ألوفٍ مِنَ السَّالكينَ وكَانَتْ مِئاتُ الزَّوايا عامِرةً ببركتِه. كان يَمُرّ مع جَماعتِه بقريةٍ مسيحيَّةٍ فوقَعَ بَصَرُه على بِنْتٍ مَسِيحيةٍ ففقَد نِعْمَتَه الباطِنة فودَّع الشَّيخُ الشَّيخَ الشِّبلي وأعادَ السَّالكين، وطَلَبَ مِنْ والِدِ البِنْتِ نكاحها، فقال: أنتَ غريبٌ. نَعَمْ لو تُقِيمُ عِندنا وتَرْعَى خَنازيرَنا سَنَةً أو سَنَتَيْنِ بِسهلٍ

الأمرُ. فوافقَ الشَّيخُ فكانَ يخرجُ صَبَاحاً ويَرْعَى الخَنَازيرَ ويَعُودُ ليلاً، وكذلكَ مَضَتْ سَنَةٌ كَامِلَةٌ وكانَ حبُّ الشيخِ راسِخاً في قَلْبِ الشيخِ الشِّبلي كانَ يعرفُ أنَّه شيخٌ كَامِلٌ بلا شكٍّ ولَكِنْ وَقَعَ في بَلَاءٍ. فَذَهَبَ الشيخُ الشِّبلي بعد سَنَةٍ إلى شيخِه فلمّا وصَلَ إلى تلك القريةِ رأى أنَّ الشيخَ قائمٌ وعليه جبةٌ وعمامةٌ كانَ يَخْطُبُ فيهما للجُمُعَةِ آخذاً بيدِه تلك العَصَا يحرُسُ القَطِيعَ، فدَنَا إليه وسألَه عن الأوضَاعِ وقال: يا سيّدي هَلْ أنْتَ إلى الآن حافِظ لجميعِ القُرآن. فَسَكَتَ الشَّيخُ قليلاً، ثم قال: أحفظُ آية واحِدة فقط: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨] ثم سأل هل تَحْفَظُ الأَحَادِيثَ؟ فقال: أحفظ حديثاً واحداً فقط: «مَنْ بدَّل دينَه فاقْتُلُوه».

[رواه البخاري جامع الأصول ج ٣ ص ٤٨١]

ثُمَّ أعْوَلَ الشيخُ ونَظَر إلى السَّماء وقال: اللّٰهمّ ما كنتُ أظنُّ منك هذا الظَّنّ، فبكَى الشيخُ الشِّبلي بكاءً عويلاً. بَعْدَ لأيٍ رَجع الشيخُ الشِّبْلي إلى وَطَنِهِ. وَصَلَ في الطَّريق إلى جَانِبِ نَهْرٍ فرأى شَيْخَه عبد اللّٰه الأندلسيّ رحمه اللّٰه متبسّماً ضَاحِكاً بشوشاً، فسرّ الشيخُ الشّبلي رحِمَه اللّٰه سروراً لا نهاية له، فقال: يا سيدي! ما هذه المعضلة؟ فقال الشيخ: حينما كنت مررتُ بِقريةِ المسيحيين وَقَعَ في قَلْبي: ما أجْهلَ هؤلاء المسيحيين حيث جعلوا المَسِيحَ عليه السّلام ابناً للّٰه تعالى، فأوخذت فوراً ونوديت: إن كنتَ مُسْلماً فهل هذا صَنِيعك أو هِي مَوْهِبة منا، وسلبت معه النعمة البَاطِنة وأَلْقَاني اللّٰه في البَلَاء.

(عُلِمَ من هذه القصّةِ أنَّ هناك أموراً ليس لها عِنْد العَوامّ أهميةٌ قد يؤاخذ المقرّبون بتركِها). رجع الشبلي بشَيْخِه وعاد رونق الزوايا.

وللسَّالكين في هذه القصة عبر:

١ ـ أنْ لا يَنْسِبوا كَمالَاتِهم إلى أنْفُسِهِم.

٢ - لَوْ صَدَر من شيخ صاحبِ الاستقامةِ أمرٌ يُخالِفُ الشّرعَ فلْيَحمِلُوه على البَلاء.

٣ - أنْ لا يُفتَنُوا بأحوالِهم وارداتِهم وكيفياتِهم.

٤ - أنْ لا يَقْنَطُوا من رَحْمَةِ الله تعالى في أيّ حالٍ.

حُسْنُ اعتقادِ الشَّيخ الشبلي رحمه الله وحبّه له مَنارةُ ضوءٍ للسّالكينَ.

الأدب السابع عشر: لا يضيقُ صدره بشدةِ الشَّيخ وَعِتابِهِ ولا يتركُ لسوءِ الظنّ طريقاً إليه، فإن شِدّةَ الشَّيخِ للطَّالبِ تعملُ عَمَلَ التلميع.

فائدة: كما أنّ بستانيًا يقطعُ مِنَ الشجرةِ أجزاءها الزائدة فيطيبُ نَماؤها وتكونُ جميلةَ المَنظرِ، أو كَمَا أنّ طبيباً قد يفصِدُ الجراحاتِ ويخرجُ المادّةَ الفاسِدَةَ وقد يضمّده حتى يشْفَى المريضُ، كذلك المُرْشِدُ الكامِلُ قد يعاملُ المريدَ معاملةَ الحُبّ والرَّحمةِ، وقد يُعاتِبُه ويزجُرُه حتى يُنشيء فيه الأخلاقَ الحميدة. عِتابُ المُرْشِدِ يعملُ لأمراضِ المريدِ الباطنةِ عَمَلَ الترياقِ. ولأنّ المُرشِدَ يزجُرُ بالإخلاصِ لأجلِ التربيةِ فيعتبرُ المُريدون هذا الزّجرَ والتّوبيخَ قطعَ سُكرٍ في غِلافٍ مملّحٍ فيزدادُ حبُّهم.

كان مُرْشِدُ العَالَم يقول: لا يَنْبغي للمُرْشِدِ أنْ يَكُونَ ملتزمَ السُّكوتِ، فإنْ سَكَتَ المُرْشِدُ على تقْصيراتِ المُريدينَ ولا يَنْصَحُهُم في ذلك الوقْتِ ولا في الخَلْوةِ، فكيْف يتمُّ إصْلاحُ المُريدينَ. رؤيةُ أخطاءِ وتقصيراتِ المُريدين وَعَدَمُ الجُهْدِ لإصلاحهم مداهنة بيِّنة تتلالأ به المُرشِديّة. ولَكِن لا تَتِمّ تربيةُ المريدينَ. كانَ مُرشِدُ العَالَم يقولُ: إن الحَلْوى تَعْمَلُ للشيخِ والعالِمِ عَمَلَ الإسمَنْتِ أي يَنْغلِقُ الفَمُ بعدَ أكْلِ الحَلْوَى. يَجِبُ ذَبْحُ الأغنياءِ خاصّة بسكّين الاستِغْناء وكان يقولُ: ما لم يكُنْ غضبٌ لَم يتعلمْ أدب. وكان يَقولُ: إنْ أقامَ المُرْشِدُ المُريدَ على

مُلْتَقَى الطُّرُقِ وضَرَبَه بالنَّعْلِ بلا ذَنْبٍ، فعلى المُرِيدِ أن يأخُذَ النَّعْلَ ويعطيَهُ للشَّيْخِ. عِتابُ المُرْشِدِ بلا سَبَبٍ لا يَخْلُو عَنْ حِكْمَةٍ. يُمْكِنُ أنْ يَكُونَ الغَرَضُ مُلاحظَةَ أنه هَلْ تَشْتَعِلُ نَفْسُ المُرِيدِ أمْ لا؟ المُرْشِدُ يُعَاتِبُ المُرِيدَ باعْتِقادِ أنَّه كحَسْناء مُسْوَدٍ وجْهُها بالحِبْرِ الأسْوَدِ ما أن تَغْسِلَ الحِبْرَ يَظْهَرُ وَجْهٌ كالقَمَرِ على أنَّ الغَرَضَ بالعِتاب والغَضَبِ إصْلاحُ الأحْوالِ لا تَواجُدُ الحِقْدِ في القَلْب. وإنْ مُرْشِدٌ يَحْقِدُ المُرِيدِينَ لأخطائهم وتقصيراتِهم فلَمْ يَبْقَ في قَلْبِه إلّا الحِقْدُ. غَضَبُ المُرْشِدِ عارِضٌ يتحوّلُ محبةً ورحمةً إنْ صَلُحَ المُرِيدُ. المُرْشِدُ عِنْدَما يُعاتِبُ المُرِيدَ لا يَحْسِبُ نَفْسَه حِينئِذٍ أفْضَلَ وَلَا يَحْسِبُ المُرِيدَ أدْنَى وأخَسَّ، وتكونُ حَالَةُ المُرْشِدِ عند زَجْرِ المُرِيدِ كجَلّادٍ يأمُرُه السُّلطانُ أنْ يجلدَ أميراً لأجْلِ الخَطَأ الفُلانِي، فالجلّادُ يجلدُ الأميرَ امتثالاً لأمْرِ السُّلْطانِ، ولَكِنْ قَلْبَه مليءٌ بحبِّ الأمير وتوقيرِهِ دُونَ البُغْضِ والتَّحْقِيرِ. فالمُرْشِدُ يزجُر ويُلْقِي التَّوجِيهاتِ ويدعُو للمُرِيدِينَ باسِطاً يَدَيه في خَلَواتِ نِصْفِ اللَّيلِ. وثَبَتَ في الأحَادِيثِ أنّ النبيَّ ﷺ عِنْدَما يُعاتِبُ أحداً يَدْعُو له أيضاً. عَن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «اللّهم إنّي أتّخذُ عندكَ عَهْداً لن تخلفيه، إنما أنا بَشَرٌ فأيّ المُؤمنينَ آذيته أو شَتَمْتُه، أو جَلَدْتُه أو لعَنْتُه، فاجْعَلْها له صَلَاةً وزَكَاةً وقُرْبَةً تقربُ بها يومَ القيامةِ».

[شرح السُّنة ج ٥ ص ٨]

المُرْشِدُ إنْ تَوَجّهَ إلى أحَدِ المُرِيدِينَ أكثَرَ ممّا يتوجّهُ إلى آخَرَ، فلا يَضِيقُ صَدْرُ الثّاني، بَلْ لِيَعْتَقِدْ أنه كمَا يدخلُ الطّبيب بعضَ المَرْضى في شُعْبَة العِنايةِ المركّزةِ، ويدخُلُ البَعْضَ في الشُّعبةِ العامّةِ، كذلك المُرِيدُونَ يَرَوْنَ لتوجّهِ الشَّيْخِ فَرْقاً ظاهراً ولَكِنْ لا تَفَاوتَ في قَلْبِه.

**الأدبُ الثّامن عَشَر:** إنْ وَقَعَ في قَلْبِهِ شُبْهةٌ فلْيَعْرِضْها له بطريقٍ

مناسبٍ، وإنْ لمْ تُحلَّ الشُّبهةُ يَحمِلُه على قُصُورِ فَهمِهِ، وأنه غيرُ صالحٍ للجوابِ.

**فائدة:** السَّالِكُونَ الذين يقرُونَ عَلاقةَ الحُبِّ والاحتِرام بِمُرشِدِهِمْ، لم يُوجَدْ فيهم سُوءُ الاعتِقادِ، وإنْ وَقَعَ سُؤالٌ في نُفوسِهِم يُلْقَى جَوابُه في نُفوسِهِم أيضاً بِبَرَكَةِ توجُّهاتِ المُرْشِدِ، وإنْ لم يَكُنْ فاللّٰه سُبْحَانَه وتَعالى يُجْري على لِسانِ المُرْشِدِ خِلالَ التَّحادُثِ جَواباً يتحيَّر منه السَّالكون. قال شاعرٌ ما مَعْناه:

يا مَنْ لِقاؤكَ حلَّ كلَّ سُؤالِ
بِكَ تُكْشَفُ الشُّبُهاتُ بلا قيلَ وقالِ

وجُودُ شُبْهَةٍ في قَوْلِ المُرْشِدِ أو فِعْلِهِ أكْبَرُ كَيْدٍ شَيطانِيٍّ للسَّالِكِينَ يَقَعُ فيها المُبتَدِئونَ لأجْلِ قلَّةِ المحبَّةِ والاحتِرامِ وَرابِطَةِ الشَّيْخِ. وَيَنْبَغي أنْ يَعْلَمَ أصلٌ هو: أنه إذ حققتْ قَبْلَ البَيْعةِ في المُرْشِدِ جميعَ الصِّفاتِ والعَلاماتِ التي يَجِبُ أن تكُونَ في شَيْخٍ كامِلٍ فلا تُعْطِ الشيطانَ فرصةً لإلقاءِ سُوءِ الظَّنِّ. مِنْ أسبابِ الحِرْمانِ أنْ يظنَّ الإنسانُ نَفْسَه أعْقَلَ النَّاسِ وينظُرَ إلى المُرْشِدِ نَظَرَ نَقْدٍ وفَحْصٍ.

كَانَ أبو جَهْلٍ يَرَى النبيَّ ﷺ طُولَ حَيَاتِهِ مُحمَّدَ بنَ عَبْدِ اللّٰه، ولوْ رَآه مَرَّةً محمداً رَسُولَ اللّٰه ﷺ لَنَجا. وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ يَنْظُرُ بِسُوءِ الظَّنِّ والشَّكِّ إلى مَنْ هو سَبَبٌ لإيصالِه إلى الله تعالى. والحَقِيقَةُ أنَّ المَرِيضَ هو ذِهْنُه ويَظْهَرُ القُصُورُ في شَيْخِهِ. اعْلَمُوا أنَّ المُرْشِدَ كالمِرآةِ يَرَى فيه المُريدُ صُورَةَ تَقْصِيراتِه وفقاً لقول النبي ﷺ: «المُؤْمِنُ مِرْآةُ المُؤمِنِ».

[رواه أبو داود والترمذي، مشكاة المصابيح ص ٤٢٤]

فَلَوْ حَدَثَتْ شُبْهَةٌ يجِبُ اطِّلاعُها للمُرْشِدِ بِطَرِيقٍ مُناسِبٍ. حضر إلى الشيخ الميرزا مظهر جانِ جانان رحمه اللّٰه تعالى كاهن هندوسي وقال:

أُرِيتُ كَشْفَ القُلُوبِ مِنْ سِنِينَ وأرى قَلْبَكَ أسودَ حالِكاً، فسأله الشَّيْخُ: وكَيْفَ حَصَلْتَ على هذا؟ فقال: بمخالفةِ النَّفسِ في كل شيءٍ. فقال الشَّيْخُ أثناء الكَلَامِ: لماذا لا تُسْلِمُ؟ فقال: لا أرْغَبُ فيه، فقال الشيخ: خَالِفْ نَفْسَكَ بهذا العَمَلِ أيضاً، فتابَ الكَاهِنُ الهِنْدُوسيّ وأسْلَمَ. فقال الشيخ: انظر إلى قلبي الآن كيف تجده؟ فقال: الآنَ يَظْهَرُ لي نُورٌ على نُورٍ. فقال الشَّيْخُ: ظَهر لَكَ أوّلَ مرّةٍ صُورةُ قَلْبِكَ فيّ.

أما السُّؤالُ عن القَضايا العِلْمِيّة وحلّ الإشكَالاتِ فينبغي السُّؤالُ عنها بطريقٍ مُناسبٍ ومحلٍّ مُلائِم. هذا هو المَقْصُودُ مِنْ قوله تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

ولَكِنْ لَيْسَ بِمَعْقُولٍ أنْ يَدُورَ دائماً في دَائِرَتَي «لِمَ» و«لا».

**الأدبُ التاسعَ عشر**: لا يَتَّخِذْ صُورَةَ البَحْثِ والجَدَلِ، ولا يَرُدّ كَلَامَ المُرْشِدِ وإن كان الحَقّ إلى جَانِبِ المُرِيدِ، بَلْ لِيَعْتَقِدْ أنّ خَطأَ المُرْشِدِ خَيْرٌ مِنْ صَوَابِه.

**فائدة**: هذا الأدبُ أشْبَهُ بِأحْوالِ المُرِيدِينَ القُدَماء، فإنْ وَقَعَ الاخْتِلَافُ مَعَ المُرْشِدِ في الأمُورِ العِلْمِيّةِ فلا يَجُوزُ تَرْكُ ذَيْلِ الأدَبِ. أمَرَ الشّاه عَبْد العزيز الشّيخ سيد أحمد بتصوّرِ الشَّيْخِ فاعتذر إليه بغاية أدب. فأنشد الشاه عبد العزيز بيتاً معناه:

لَوِّنْ سجّادتَكَ بخَمْرٍ إن أمَرَكَ به شَيْخٌ كَامِلُ

فإنّه ليسَ للطَّالبِ عِلْمٌ بآدابِ وطُرُقِ المَنْزِلِ

فقال: يا سيّدي يمْكِنُ لي أنْ أشْرَبَ الخَمْرَ بأمْرِكَ ثمّ أتوبَ، ولكِنْ تَصَوّر الشيخ عندي شُعبة مِنَ الشِّرْكِ لا أستطيعُ أنْ أفْعَلَهُ، فقامَ الشَّيْخُ وَعَانَقَ السَّيد وقالَ: الحَمْدُ لله، غَلَبَكَ التّوحيدُ فسَنَمْشِي بكَ عَنْ طَرِيقٍ آخَرَ.

**الأدبُ العشرون:** لا يعرضُ المُريدُ ما يُخالِفُ رأيَ الشَّيخِ في صُورَةِ البَحْثِ والجَدَلِ، وإنْ كانَ الحَقُّ إلى جَانِبِ المُريدِ. كانَ رأيُ النبيِّ ﷺ في غَزْوَةِ بَدْرٍ أن يُطْلِقَ سَراحَ الأسَارَى بشُرُوطٍ، بَيْنَما كَانَ رأيُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه أنْ يَضْرِبَ أعناقَ هؤلاءِ الأسْرَى. فَنَزلَ الوَحْيُ كان موافِقاً لرأيِ عُمَرَ بن الخَطَّابِ رضي الله عنه، وحُكْمُ الشَّرعِ أنَّ المُجْتَهِدَ إذا اجْتَهَدَ فأصابَ فَلَهُ أجْرانِ، وإنْ أخطأَ فلَهُ أجْرٌ واحِدٌ لا مَحَالَةَ، فخطأ الشَّيخِ له حكمُ خطإ اجتهاديٍّ. فعلى المُريدِ أن يظنَّ أن خطأَ الشَّيخِ خيرٌ مِنْ صوابه.

سَهَا النبيُّ ﷺ مرَّةً فسلَّم على تَمام رَكْعَتَيْنِ في رُباعيَةٍ فأصْبَحَ هذا السَّهْوُ رَحْمَةً للأمَّةِ وتبينَتْ مَسَائِلُ سَجْدَةِ السَّهوِ وكان الصِّدِّيقُ رضي الله عنه يقول: يا لَيتني كُنتُ سَهْوَ محمَّدٍ ﷺ. أي وجد النبي ﷺ على هذا السَّهْوِ مِن الأجْرِ ما لا يُساويه أجُور جميع حياته رضي الله عنه.

**فائدة:** كَشْفُ عُيوبِ النَّاسِ ونَقْدُهم والتَّعليق عَلَيْهِم عَادَةُ مَنْ هُوَ مَحْرُومٌ مِنْ قُرْبِ اللهِ تعالى، وإلّا فمتى يكونُ للصِّدِّيقِ فرصةٌ لأنْ يترُكَ ذِكْرَ الحَبيبِ ويضيِّعَ وَقْتَه فيمَا لا يَعْنيه. قالَ الشَّاهُ غُلامُ عليٌّ الدِّهلويُّ رَحمه الله تعالى: الشيخُ السعديُّ ذكَرَ التصوُّفَ في بيتين وقال ما معناه:

وصّاني شَيْخي المُرْشِدُ الكاملُ الشهاب
وصيتين اثنتين على متنِ ماء
الأولى أن لا تنظرَ إلى حسناتك
والثانية أن لا تنظرَ إلى سيئات غيرك

فيمكنُ أنْ يُقالَ: عِطْرُ التَّصوُّفِ يذكرُ في كَلِمَتَيْنِ: أن لا يكونَ حسن الظنِّ في نفسه، وأن لا يكونَ سيء الظن في غيره. أي لا ينظر إلى محاسنه ولا يلاحظ عيوب غيره.

**الأدبُ الحادي والعشرون**: أن يحبَّ أقرباء المرشد وأهل قرابته ويلين لأصدقائه وأحبائه وأيضاً يلين لإخوان الطَّريقة والطَّالبين، ويجتنب عن غيبته وعن مخالفيه حتى يفوزَ بالاستقامة.

**فائدة**: آيةُ حُبِّ المُرْشِدِ أن يُحِبَّ المُريدُ أهْلَ المُرْشِدِ وأقرِبائه، وهذا مُستَفادٌ من الكِتَابِ والسُّنَّةِ، قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

رَوَى عليٌّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أدبُوا أوْلَادكُم على ثَلاثِ خِصَالٍ: حبِّ نبيِّكم، وحبِّ أهل بيته، وقراءة القُرآن».

[الجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ٥١]

**الأدب الثاني والعشرون**: يعرِضُ على المُرْشِدِ أحْوالَه الباطِنَةَ (حسنة أو سيئة) لأن المُرْشدَ طَبِيبٌ روحانيٌّ يصلح بعد العِلْم والاطِّلاعِ، ولا يَلْتزِمُ المُريدُ السُّكوتَ ثقة بكشف الشيخ.

**فائدة**: كما أنَّ المَريضَ يُخبرُ الطَّبِيبَ الجِسْمانِيَّ عن أحْوالِه إنْ لم يخبره يتقدَّم إلى الموت، كذلك ينبغي للسَّالكِ ألَّا يزالَ يطلع المُرْشِدَ وَهُو طبيبه الروحاني على الكَيْفِيَّاتِ والوارداتِ وألَّا يَمُوتَ قَلْبُه. ويجب في هذا الأمر الاجتناب عن الإفراط والتفريط. أمَّا الإفْراطُ فهو أن يُخْبِرَ عن كيفيَّاته كلَّ صغيرٍ وكبيرٍ سوى شيخه. والوارداتُ والكيفياتُ عرائسُ باطنةٌ ونِعَمٌ خفيَّة وهل يظهرُ أحدٌ غيره على عَرُوسِه؟

والتَّفْرِيطُ ألَّا يُخبِرَ شَيْخَه عَنْ أحْوالِه ويَزْعَمَ أنَّ مُرْشِدَه صَاحِبُ كَشْفٍ يَعْرِفُ بنفْسِهِ. فالطَّرِيقُ السَّوِيّ أنْ يُخبِرَ دائماً شَيْخَه عَنْ أحْوالِه. قالَتِ الصُّوفيَّةُ: إنِ اتَّخذَ السَّالِكُ الاتِّباعَ والاطِّلاعَ دُسْتوراً فلا يَحُول دون تقدُّمِه شيءٌ.

**الأدبُ الثالثُ والعشرون:** ما رآه في المَنام يذكُرُه للمُرْشِدِ وإنْ جَاء في ذهنه تَعبيرٌ يذكُرُه أيضاً.

**فائدة:** بَعْضُ السّالِكينَ يكونُ لَطِيفَ الطَّبْعِ وبَعْضُهُم يكونُ كَثِيفَ الطَّبْعِ قليلَ رُؤيا المَنامِ. وكَثْرةُ الرؤيا لَيْسَتْ دليلاً على الفَضِيلَةِ، وقلَّةُ الرّؤيا لَيْسَتْ دليلاً على النَّقصِ. والرؤيا ثلاثٌ:

١ - حديثُ النَّفسِ وهُو كلّ ما يَفْعَلُه السّالِكُ في النّهارِ أو يُفكّر فيه ويجتَمِعُ في ذهنه فيرَاهُ في المَنامِ.

٢ - أضغَاثُ أحْلامٍ وهي الخَيالاتُ المُنتَشِرَةُ يَرَاهَا في المَنَام مصوّرةً.

٣ - الرّؤيا الصّالِحَة وهي الرّؤيا الصّادقة. وقِيلَ: إنَّها جُزءٌ من سِتّةٍ وأربعينَ جُزءاً مِنَ النّبوّة.

والتّمييزُ بين أقْسام الرؤيا هذه صَعْبٌ، لا يحِلّ هذه المُشْكِلَةَ إلا صَاحِبُ البصيرةِ البَاطِنةِ، ينبغي للسّالكِ أنْ يذكرَ للشّيخِ كلّ ما رَأى في المَنام مِنْ غيرِ زيادةٍ ولا نُقصانٍ. فإنْ عبّر المُرْشِدُ فيها، وإلّا يَسْكُتْ، ولْيَعْلَمْ أنّ إظْهارَ تأويلِها لا يفيدُني، أو أنّ هذه الرؤيا ليستْ صالحةً للتعبيرِ.

## ذِكْرُ أمورٍ هامّةٍ لتعبيرِ الرؤيا:

١ - تعبيرُ بَعْضِ الرؤيا يكونُ كما تُرَى في المَنام تماماً.

٢ - بعضُ الرؤيا تعبيرُها على ضِدّ ما تُرَى، كأنْ رَأى شَخْصاً أنه مَاتَ فإنّه يحيا مدةً طويلةً.

٣ - تعبيرُ بعضِ الرؤيا موقوفٌ على التّمثيلِ، رَأى المَلِكُ سَبْعَ بَقراتٍ سِمانٍ وأُخرَ عِجَافٍ، ففسّر سيدُنا يوسُفُ عليه السلام عَنِ البَقَراتِ السِّمانِ بِسَنَةٍ خَصْبةٍ وعَنِ البقراتِ العجَافِ بِسَنَةٍ مُجْدِبةٍ.

٤ ـ رؤيا يَرَاها رَجُلانِ يختلفُ لهُما تَعبيرانِ، رأى رَجُلٌ صالحٌ أنه يؤذِّنُ فوجَد العزّة تحت قوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧].

ورأى فَاسِقٌ أنه يؤذِّن فأخَذ سارِقاً وحَصَل له ذلّة تَحتَ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠].

٥ ـ ترَى في فصْلَين رُؤيا واحِدة يختلفُ تعبيرُها. [إنْ] رأى في الشِّتاء ناراً أصَابَهُ خيرٌ، وإنْ رآها في الصَّيْف أصابَهُ شرٌّ.

٦ ـ قد تَكُونُ الرّؤيا فَاسِدةً في الظّاهِر، ولَكِنّها رُؤيا صَالِحةٌ. رأتِ السيّدَةُ زبيدةُ زَوْجَةُ هَارُونَ الرّشيدِ أنّها غَزِيانةٌ وأنّ الإنس والحيواناتِ والطيورَ تزني بها فَحَزِنَتْ واستَيقَظَتْ وخَافَتْ أنْ لا يصيبَها خِزْيٌ، ولَكِنْ كَانَ تعبيرُها أنّها سَتُنْشِئ نَهراً يَشْرَبُ مِنه النّاسُ والحيواناتُ والطيورُ والدواجِنُ وتكونُ لها صَدَقةٌ جاريةٌ. رَأى شَخصٌ أنّه يَزْني بأمّهِ فَحَزِنَ حُزْناً شديداً ولَكِنْ كَانَ المُرادُ بالأمّ الأرْضَ وبالزّنا الاسْتِمْتاعَ بالأرْضِ فَوَجَدَ نَفْعاً عَظِيماً مِنْ أرْضِهِ.

وعلى السَّالِكِينَ أن يُحَافِظوا على أصْلٍ أنّه لو رَأى رُؤيا صَادِقَةً فَما لم يَظْهرْ فَمَاذا تُفيدُ؟ فلوْ رَأى في المَنامِ أنه أصْبَحَ مَلِكاً ولَكِنْ أي فَائِدةٍ مَا لَمْ يَتَمَلّكْ في الخَارجِ. رَأى سيدُنا يوسُفُ عليه السلامُ الشّمسَ والقمرَ والنجومَ له سَاجدينَ، ولَكِنْ وَقَعَ في البئرِ وبِيعَ في مِصْرَ وَعَمِلَ خَادِماً في بَيْتِ عَزِيزِ مِصْرَ، وَوَقَعَ في بَلاءٍ وَمَكَثَ في السّجْنِ تِسْعَ سَنَوَاتٍ ثم وَجَدَ مُلْكاً وتمّت رُؤياه. ولَمّا كانَ هذا حَالَ الرؤيا الصّادِقَةِ فما مَعْنَى الفَرَحِ على الرّؤيا الفَاسِدَةِ؟ وهُناكَ بعضُ السَّالِكِينَ يَشْتَغِلُونَ دائماً في ذِكْرِ رُؤياهُم كأنّهم مُلُوكُ عَالَمِ الرُّؤيا. إنّ الشّيْطَانَ يُسقِطُ بالرّؤيا كِباراً عِظاماً ويَفْتِنُ الإنْسَانَ بالعُجْبِ والافْتِخارِ، فَذَاتُ المُرْشِدِ هو الذي يُنبّه الإنْسَانَ على هذِهِ المَكَائِدِ من الشّيطانِ مُحَافِظَةً على الإيمَانِ.

**حكاية**: كَانَ لِجُنَيْدٍ البَغْدَادِيِّ مُرِيدٌ يَرَى كلَّ يومٍ في المَنَامِ أنه يَسيرُ في الجنَّةِ، ويذكُر في النَّهارِ هذه الرُّؤيا للناسِ، حتى اشتُهِرَتْ قِصَصُه ومَضَتْ سَنةٌ كذلك، حَضَرَ في خِدْمَةِ الشَّيْخِ مَرّةً فرأى الشَّيْخُ أنه واقعٌ في شَبَكَةِ المَكْرِ والخَدِيعةِ والعُجْبِ. فقال: إنْ رأيتَ الجنّةَ بعد هذا فَقُلْ: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا باللّه. فظنَّ الطالبُ أنّ الشيخَ يحسدُه، وفي الليلة الثانية لما رآه يسير في الجنة تذكَّر أنَّ الشَّيْخَ أوصَى له بقراءة (لا حَوْلَ ولا قوّةَ إلّا باللّه) (وهذا بركة توجّه الشيخ حقيقة) فقال: (لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا باللّه) فلمّا قالها انتهتْ جَمِيعُ المَنَاظِرِ، ورأى هُنَالِكَ عِظاماً مَوْضوعةً، فعَلِمَ أنّ الشَّيْطَانَ يريدُ أنْ يَنْهَبَ إيمانَهُ.

بَعْضُ السَّالِكِينَ يَرَى في المَنَامِ شُيُوخاً ويظنّ أنه يجِدُ فائدةً باطِنِيَّةً (مِنْ ذَلِكَ الشَّيخِ بدُون توسّط شَيْخِهِ) ولكنها خَدِيعةٌ شَيْطَانِيَّةٌ والشَّيْطانُ يريدُ أن يَقْطَعَ رابطَتَه بشَيْخِهِ، وهُنَاكَ بعضُ السَّالِكِينَ يَرَوْنَ في المَنام رُؤًى كثيرةً بَعْضُها أَعْجَبُ مِنْ بَعْضٍ، ولَكِنّهُم في التِزَامِ الشَّريعةِ يَتَكَاسَلُونَ، وهذه آياتٌ بيّناتٌ على وقُوعِهِم في الفِتْنَةِ. قالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ رَآني في المَنَامِ فَقَدْ رَآني فإنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ بِي».

[رواه أحمد والبخاري والترمذي] [الجامع الصغير ج ٢ ص ٦٠٢]

يقولُ الشَّيْخُ مُجَدِّدُ الألفِ الثّاني في مَكْتُوبَاتِه: إنَّ الشَّيْطَانَ لا يَسْتَطِيعُ أنْ يأتِيَ في صُورةِ النَّبيِّ ﷺ التي هُوَ مَوْجُودٌ بها في المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ ويَسْتَطِيعُ أنْ يُخَادِعَ في كُلِّ صُورةٍ سِوَاها، سواءٌ أكانَتْ صُورَةَ وليٍّ مِنْ أولياءِ اللّه أو صُورَةَ أحَدٍ مِنْ آبائهِ أو أجْدَادِهِ، فالسَّالِكُونَ الذين يَضَعُونَ أساسَ رُوحَانِيّاتِهِم على الرُّؤيا في خَطَرٍ عَظِيمٍ. خُلَفَاءُ بَعْضِ الزَّوَايا يَبْدأُونَ الكَلامَ بالرُّؤيا ويَخْتِمُونَ بالرُّؤيا. قال شاعِرٌ ما مَعْناه:

العُشُّ الذي يُصْنَعُ عَلَى فَرْعٍ ضَعِيفٍ غيرُ قَوِيٍّ

جاء في بَعْضِ الرِّواياتِ: إنَّ النبيَّ ﷺ كانَ قرأَ بمكَّةَ النَّجْمَ، فلمَّا بَلَغَ إلى هذا المَوْضِعِ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] ألقى الشَّيْطانُ على لِسانِه تلكَ الغَرانِيقُ العُلَى وإنَّ شَفاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجى، قالُوا: ما ذُكِرَ آلهتنا بخَيْرٍ قبْلَ اليوم، فَسَجَدَ وسَجَدُوا، فأنْزَلَ اللّٰه عزَّ وجلَّ هذه الآيةَ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

[تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٦٧]

قال ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَه اللّٰه: إنَّ الشَّيْطانَ أوْقَعَ في مَسامِعِ المُشْرِكِينَ ذلكَ فتَوَهَّمُوا أنَّه صَدَرَ عَنْ رَسُولِ اللّٰه ﷺ، ولَيْسَ كَذلِكَ في نَفْسِ الأمْرِ، بَلْ إنَّما كانَ مِنْ صَنِيعِ الشَّيْطانِ لا عَنْ رَسُولِ اللّٰه ﷺ، واللّٰه أعْلَمُ.

[تفسير القرآن العظيم لعماد الدين ابن كثير ج ٣ ص ٣٦٩]

فعُلِمَ أنَّ الشَّيْطانَ جَعَلَ صَوْتَه كَصَوْتِ النبيِّ ﷺ وقَرأَ هذه العِبارَةَ حتّى يَنْخَدِعَ الصَّحابَةُ رضي اللّٰه عنهم. فهذا مَقامُ فِكْرٍ وتدبّرٍ فإنَّ الشَّيْطانَ لَمْ يَنْتَهِ مِنْ خَدِيعَةِ الرِّجالِ الطّاهِرِينَ، كالصَّحابَةِ رضي اللّٰه عنهم، وبِحَضْرَةِ رَسُولِ اللّٰه ﷺ فَماذا نَحْنُ مِنْهُم حتّى نَدَّعِي دَعْوَى كَبِيرَةً، وسَالِكُ اليَوم ما أضعفَ رُوحانِيَّتَهُ وما أبْعَدَه مِنْ مِشْكاةِ النُّبُوَّةِ، وهَلْ مِنْ صُعُوبَةٍ في إضْلالِ الشَّيْطانِ في عَصْرِ الفِتْنَةِ وفي حالةِ النَّوْمِ. فَلْيُفَكِّرِ السّالِكُ أنَّ الشَّيْطانَ يُضِلُّنا مُنْتَبِهِينَ أيقاظاً فكَيْفَ يكونُ له إضْلالُنا بالمَنامِ صَعْباً. فلا يَثِقَنَّ على المَنامَاتِ وكلّ ما رَأى في المَنامِ يَذْكُرُه لمُرْشِدِه ويَدْعُو بِهذا الدُّعاءِ: (اللّٰهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ وأعُوذُ بِكَ رَبِّ أنْ يَحْضُرُونِ).

**الأدبُ الرابع والعشرون:** كلّ وِرْدٍ ودُعاءٍ يُعَلِّمُه المُرْشِدُ يَتَّخِذُه عادَةً

ويتركُ كلَّ وِرْدٍ سِواه. سَواءً بَدَأه بنَفْسِه أو علَّمَهُ أحَدٌ. نَعَمْ، الأعْمَالُ المَسْنُونَةُ مُسْتَثْنَاةٌ.

**فائدة:** تَقُولُ العامَّةُ: لا يأخذُ المَريضُ في وَقْتٍ واحِدٍ إلا دَواءَ طَبيبٍ واحِدٍ، فَكَذَلِكَ لا يَعْمَلُ السَّالِكُ إلا بالأوْرَادِ التي عَلَّمَهُ إياها شَيْخُه وأصْلُه ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ [القصص: ١٢]. لو اتَّخَذَ أوْرَاداً أُخْرَى بنَفْسِه أو بتَعْلِيمِ غَيْرِهِ يَخْسَرُ. الأوْرَادُ للمبتدئ كالدَّواء، وللمُنْتَهي كالغِذاء ونيةُ الأجْرِ في الأوْرَادِ لَيْسَت بقَبِيحَةٍ: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وعلى السَّالِكِ ألَّا يَسْتَكْثِرَ عَمَلَه فيَفْتَخِرَ ولا يَسْتَنْقِصَه فيَيْأَسَ. وهذا السِّرُّ مَكْنُونٌ في قَوْلِه: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]. الدَّليلُ على الأوْرَادِ صَباحاً ومَساءً قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦].

**الأدبُ الخامسُ والعشرون:** لا يَشْتَغِلُ بالأوْرَادِ بحضْرَةِ الشَّيْخِ فإنْ كانَ لا بدَّ مِنَ القِرَاءةِ فليَجْلِسْ حيثُ لا يَرَاهُ.

**فائدة:** ما يستفيدُ السَّالِكُ بحَضْرَةِ المُرْشِدِ بالرَّابِطَةِ القلبيَّةِ لا يَجِدُ بالذِّكْرِ والأوْرَادِ. مَثَلُ المُرْشِدِ كَمَثَلِ الشَّمْسِ، ومَثَلُ المُريدِ كَمَثَلِ الوَرْدِ والفَاكِهَةِ، فكَمَا يحسنُ لذَّةُ الفَوَاكِهِ بحرارةِ الشَّمْسِ، أو يحصلُ الرَّوعة للأوْرَادِ كذلك تأتي الأنْوارُ في قَلْبِ السَّالِكِ بتوجُّهِ المُرْشِدِ، وإنْ أرَادَ السَّالِكُ أنْ يَشْتَغِلَ في وِرْدٍ فلْيَشْتَغِلْ فيه بحيثُ لا يَرَاهُ المُرْشِدُ.

**الأدبُ السادس والعشرون:** كلّ فَيْضٍ باطنيٍّ يَصِلُ إليه يَعْتَقِدُه بَرَكةَ مُرْشِدِهِ، ولو رَأى في المَنَامِ أو المُرَاقَبَةِ أنه يَصِلُ الفَيضُ مِنْ شيخٍ آخرَ، فليزْعَمْ أنَّ لَطِيفَةً مِنْ لَطَائِفِ المُرْشِدِ تمثَّلَتْ في صُورةِ ذلك الشَّيْخِ.

**فائدة:** كَمَا أنَّ مِصْباحاً مُرْتَبِطاً بسِلْكٍ فما تَصِلُ إليه مِنَ الكَهْرباء

تَصِلُ بواسطةِ ذلك السِّلْكِ سواءٌ تأتي مِنَ السدِّ العالي بتربيلا، أو السدِّ العالي بمنجلا، كذلك كل فَيْضٍ باطنيٍّ يجدُه المُرِيدُ يَصِلُ إليه مِنْ قَلْبِ الشَّيْخِ وإن كَانَ يَأْتي مِنْ شَيْخٍ آخرَ. فإنْ رَأى سَالِكٌ أنه يَصِلُ إليه الفَيْضُ من شَيْخٍ آخرَ، فلْيَعْلَمْ أنَّ لَطِيفَةً مِنْ لطَائِفِ شَيخِه يوصِلُ إليه الفَيْضَ مصورةً بِهذه الصّورةِ وتجِبُ أنْ تكُونَ جِهَةُ قَلْبِ المُرِيدِ واحدةً.

وهذا كَمَا قِيلَ: خُذْ واحِداً خُذْ مُحْكَماً.

سَافَرَ الشَّيْخُ محمّد سَعيد القرشيّ مرةً إلى مَقْبَرةِ حَضْرةِ المجدّد رَحِمَه اللّه تعالى، وكَانَ مَعَه في هذا السَّفَرِ عدّةٌ مِنْ مُريديهِ وخُلَفائهِ مِنْهُمْ الشيخُ زوّار حُسَيْن الشريف، والشَّيخ محمد سعيد الكوهاندي رحمه اللّه تعالى، اشتغلوا في المُراقبةِ طويلاً، حتى كلّم الشيخُ المجدّد في عدّة أمورٍ، ثم طَلَب الشَّيْخُ المجدّدُ أن يَتْرُكَ خُلفاءه (الشَّريف زوّار حُسين شاه والشَّيْخ محمّد الكوهاندي وغيرهم رحمهم اللّه) لعدّة أيامٍ، فقال الشيخ لخلفائهِ: إنّي أريدُ السَّفَرَ فاقْضُوا ماذا أنْتم فَاعِلُون؟ فقال الشَّيْخُ محمد سعيد الكوهاندي: يا سيّدي هل تأمُرُنا أنْ نَمكُثَ هَهُنا أو هُو مفوّض إلى رأينا، إنْ نشأْ نمكثْ وإنْ نشأْ نُسافِرْ مَعَكَ؟ فقال المُرشِدُ: هذا على رأيكُم إني بلّغتُ رسالَةَ حَضْرةِ المُجَدِّدِ، فقَالَ الشَّيْخُ الكُوهانْدِي: يا شَيْخَنا نَذْهَبُ مَعَكَ. مجدّدنا أنْتَ فَقَطْ لا غَيْرُ.

سُبْحَانَ اللّه! هكذا يكُونُ ارْتِبَاطُ المُرْشِدِ. الدَّعْوةُ مِنَ المُجَدّد الذي هو سَيّد السّلسلة ويبلّغ الرّسالة شَيْخُه ومُرْشِدُه، فمَا أعْجَبَ مَعَ هذا كلّه أنْ يَقُولَ: يا سيّدي إنَّ مُجَدّدنا سِيادَتُكَ. فكَانَ هؤلاء يُعْطَونَ كيفيّات لا يَصِلُ سَالِكُ اليومِ غُبَارَ طَرِيقِه إلا ما شَاءَ اللّه.

**حكايةٌ:** كَانَتْ في أُسْرةِ الشَّيْخِ أبي سَعيد الخَرّاز خرقةٌ موروثةٌ من الأجْدادِ، واشْتهر أنَّ مَشَايخَ هذه الأسْرَةِ أَلْقَتْ توجّهاتِهم في تِلْكَ الخِرْقَةِ،

وقد ظَهرتْ منها البَرَكَاتُ مِراراً، ولمّا أجازَ الشّيخُ مُرشِده مَنَحَه خِرقةً، وكانَ الشّيخُ يتبرّكُ بالخرقَتيْنِ، فلمّا ابتُلِي بمَرَضِ المَوْتِ قالَ لِخادِمِه: ألقِ عليَّ الخُرْقةَ حتّى أستَفيدَ مِنْ بَركَاتِه. فسأل الخادِمُ: أيّ الخُرْقَتَيْن؟ فَقالَ الشيخُ: أنا أكرِمُ كثيراً خُرقَةَ آبائي وأجْدادِي، ولَكِنْ أُرِيدُ الآنَ خُرْقَةَ شَيْخي، فإنّي أريدُ أنْ أمُوتَ مُستغرِقاً في أنْوارِ شَيْخِي ومُرْشِدي في آخِرِ أيّامِي.

**الأدبُ السّابعُ والعشرون:** يُروَى للنّاسِ مِنْ كَلامِ المُرْشِدِ ما يَفهمُونَه. وما يَرَاهُ فَوْقَ فَهمِ العَوَامّ لا يذكُره أبداً، فَبَعْضُ الكَلامِ يكونُ للخواصّ فقط.

**فائدة:** لا يَليقُ بالسّالكِ أن يَنقُلَ ما يَسْمَعُه مِنْ حَضْرَةِ المُرْشِدِ مِنْ أُمُورِ المَعْرفةِ لكلّ أحدٍ، فبعضُ الأمورِ يحتاجُ لفَهْمِها إلى كَفاءةٍ وبدونِ الكَفَاءةِ لا يَنْفَعُ مِثْلُ هذا الكَلام بَلْ قد يضرّ.

قال ابنُ حَجَرٍ رحمه اللّه تعالى: وقال عليٌّ رضي اللّه عنه: «حدّثوا النّاسَ بما يَعرِفونَ، أتحبّونَ أن يكذّبَ اللّه ورسوله». رواه البخاري، وقال ابن مسعودٍ رضي اللّه عنه: (ما أنتَ محدّثاً قوماً حديثاً لا تبلغُه عُقُولُهم إلّا كانَ لبَعْضِهم فِتْنَة).

رواه مسلم؛ [فتح الباري ج ١ ص ٢٢٥ ملخصاً]

**الأدبُ الثامن والعشرون:** إن أُعْطِيَ جَاهاً أو مَنْصِباً فليَقْبَلْه لِرِضَا اللّه تعالى ولا يُقبِلُ إلى أمْرٍ دنيويّ.

**فائدة:** إنْ وُهِبَ الشيخُ مَنْصِباً أو رُتبةً فليحسبْه نعمةً غيرَ مترقّبة، وليقبَلْه رُوحاً وقلْباً وليشْكُرِ اللّه عَلَيْه، فالشّرْط عند اللّه تعالى القَبُوليّةُ لا الكَفَاءةُ. إنْ شاء يبلغ من التّراب إلى الأفلاكِ، مَنْ يَقْدِرُ أن يَقُولَ: أهؤلاء مَنَّ اللّه عليهم من بيننا. اجْتَبَى فُضَيْلَ بنَ عِيَاضٍ من طائفةِ قُطّاعِ الطّرِيقِ

وجَعَلَه رئيسَ الأولياء، وأخرَج خالداً مِن عبّاد الأصنام وألبَسَه تاجَ سيفِ الله. قال قائل:

إنْ لفتَ نظرُ كرَمٍ فجميعُ العيوبِ فنونُ

قالَ للطّينِ القليلِ المُلْقى تحتَ الأقدامِ: إنّي جاعِلٌ في الأرضِ خَلِيفَةً. تجري رِيحُ الرحمَةِ الإلهية فلا تتأخر صيرورة المَردُودِ مَقبولاً والتراب ذهباً. إنْ شاء أجلَسَ كَلْباً في صفِّ الأولياءِ وذَكَرَهُ في القرآن بقَوْله: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ [الكهف: ١٨] ويزيدُ في الرّتبة. إنْ فارَ مشربُ الرَّحْمَةِ يجذب المَطْلُوب نَفْسَ الطالب فأيّ سَبَبٍ للحِرْمانِ بل سَيَصْبِحُ التّرابُ ذهباً. وأمّا أن يظنَّ السّالكُ أنّه ليسَ بأهلٍ له فسَوْفَ لا يكون أهلاً إلى مَوْته. ومَن زَعَم أنه صَارَ أهْلاً له فهذا دليلُ عدمِ أهليّته.

**الأدبُ التاسع والعشرون:** لا يَقْصِدُ إلى شَيْخٍ آخر بِدُونِ إذْنِ شَيْخِه لأجلِ البَيْعَةِ حتى يفُوزَ بثروةِ السّعادةِ.

**فائدة:** الأوضاعُ المُمْكنةُ لاستفادةِ السّالكِ مِن مشايخ غير شيخه هي:

١ ـ أنْ يَكُونَ مع شيخٍ علاقةُ البَيْعةِ ولكِنِ احتاجَ للسّفرِ إلى بَلَدٍ آخرَ، لأجلِ المَعاشِ أو طَلَبِ العِلْمِ، وأوضاع ذلك البَلَدِ سَيّئةٌ جِدّاً، والاتّصالُ بالشّيخِ صَعْبٌ ولكِنْ تيسّر له صُحْبَةُ شَيْخٍ هُناك مِن نَفْسِ السّلسِلة، فحينئذٍ يتخذُ بإذنِ مُرْشِده هذا الشّيْخَ مرشداً، فيكُونُ الشيخُ الأوّلُ شَيْخَ الطّرِيقةِ، والثاني شَيْخَ التّعْليم. فالعلاقةُ بشيخَيْنِ اثنَيْنِ مذكورةٌ في كُتُبِ القَوْمِ.

٢ ـ امتدّت علاقةُ البَيْعَةِ مدّة طويلَة، ولكِن لم يَجِد أي فائدةٍ فيبايع شَيْخاً آخرَ بإذْنِ الشّيْخِ الأوّلِ، إذِ المَقْصُودُ الإصْلاحُ.

٣ ـ يكونُ شيخٌ مِن أكابِرِ شيخه حيّا ويريدُ أن يُبايعَه لحصُولِ البَرَكَةِ بإذن

الشَّيْخِ بيعةَ بركةٍ. الشَّيْخُ محمّد عبد المالك الصّديقي أعْطَى الشَّيْخ مُرْشِدَ العالِمِ الدّروسَ، ثم بَعَثَه إلى مدينةِ شَيْخه مِسْكين فور حتى ينالَ توجّهات أُخْرَى، فأعْطَى لهُ الشَّيْخُ السيّدُ فَضْلُ علي القُرَيشي التوجّهات عدّة أيام وأعْطَى له الإجازة والخِلافة وبايَعَه، فتحقّقت هذه البَيْعَةُ الثانية برضَى الشيخ.

**الأدبُ الثلاثون**: إنِ انْتَقلَ الشَّيْخُ من هذه الدّارِ الفانيةِ فليدْعُ له ويوصلْ له الأجْرَ والثوابَ حتى تَدُومَ علاقةٌ روحَانيّةٌ.

**فائدة**: جَمِيعُ أعْضَاء السّالكِ مستغرقٌ في إحْسَاناتِ مَنْ كَانَ له ذريعةً للوصُول إلى اللّه تعالى، فإنْ توفّي فليعتبِرْ إيصالَ الثّوابِ كأنه يُهْدَى له كل يوم، ويُمْكِنُ إيصالُ الثّوابِ بقِرَاءةِ القُرْآنِ والصّلاةِ النّافِلَةِ والصّدَقَةِ وبناءِ المَسَاجِدِ والمَدَارِسِ.

قال العلّامَةُ الشّامي في بابِ صَلَاةِ الجَنائزِ، وفي بَابِ الحَجِّ عنِ الغَيْرِ يمكنُ إيصالُ ثوابِ جَميعِ العِبَاداتِ النّافِلَةِ سِوَى الفرائضِ والواجِبَاتِ، وقال العُلَماء: مَنْ يَحُجّ عَنْ غيرِه يكونُ حَجّ بَدَلٍ عَنه يبشر به رُوحُه في السّماءِ ويجعلُ هذا الحَاجّ عَنِ الغَيْرِ مِنَ القَانِتِينَ عِنْد اللّه تَعالى.

## الباب السابع

# إنشاء الزوايا

رؤيةُ عَيْنِ الظَّاهِرِ مِنَ الإنسانِ يُقالُ له: بصارةٌ، ورؤيةُ عَيْنِ الباطِنِ يُقالُ له: بَصِيرةٌ. تُسْلَبُ بَصِيرةُ الإنسانِ باتِّباعِ الشَّهواتِ وبعمَى القلْبِ. قال اللّه تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. قال الإمامُ النسفيُّ رحمه اللّه في التفسير تحت هذه الآية: أي فما عَمِيَت أبصارُهم عن الإبصارِ، بلْ قلُوبهم عنِ الاعْتِبارِ، ولكلِّ إنسانٍ أربعُ أعينٍ: عَيْنان في الرأسِ وعَيْنان في القلْبِ، فإذا أبْصَر ما في القلْب وعَمِي ما في الرأسِ لم يَضُرّه، وإن أبْصَر ما في الرأسِ وعَمِي ما في القلْب لم يَنْفَعْهُ.

والحق أنّ الأعينَ اللّامعةَ لا تُفِيد إذا كانَ القلْبُ أعْمَى قالَ شاعرٌ:

دل بینا بھی کر خدا سے طلب    آنکھ کا نور دل کا نور نہیں

ومعناه:

اسألِ اللّه تَعالى القَلْبَ البَصيرَ    إذْ نُورُ العَيْنِ ليْسَ بنُورِ القلْبِ

ذِكْرُ الله تعالى هو التِّرياقُ الذي يُبصِرُ القلوبَ بل يُحْيِي القُلوبَ المَيّتةَ. قال اللّه تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧]. قال الإمامُ النَّسَفيُّ رحِمَه اللّه في تَفْسير هذه الآية: قِيلَ: هذا تَمْثِيلٌ لأثرِ الذِّكْرِ في القُلُوبِ وأنه يُحْيِيها كما يُحْيِي الغَيْثُ الأرْضَ.

[تفسير النسفي ج ٣ ص ١٧٦١]

واعْلَمْ أنَّ البِقاعَ التي يعلمُ فيها ذِكْرُ اللهِ تنبيهاً للقُلُوبِ الغافِلَةِ يَعْنِي إبْصاراً للقُلُوبِ العُمْيِ، وإحْياءً للقلُوبِ المَيْتَةِ يُقالُ لها زَوَايا. وَسَيُذْكَرُ على شرعيَّةِ إنشائِها أدلَّة من القُرْآنِ والسُّنَّة.

## أدلّة من القرآن المجيد:

**الدَّليلُ الأولُ**: قالَ اللهُ تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧]. قال الشَّيْخُ مَوْلانا محمّد إدريس الكانْدْهَلوي رحِمَه اللهُ وهو يذكُرُ مُناسَبَةَ هذه الآيةِ بما قبْلَها: الآنَ يقولُ عزّ وجلّ مَنْ أهلُ الهِدَايَة؟ وأينَ يُوجَدُ هذا النورُ أيْ نُور الهِدَاية؟ فيقولُ: يوجَدُ النّورُ في مَساجِدَ وَزَوَايا يُذْكَرُ فيها اسْمُ اللهِ بُكْرة وأصِيلاً... إلى أنْ قالَ... ويُذْكَرُ فيها اسْمُهُ، دَخَلَ فيه جَميعُ الأذْكارِ مِنَ التَّسْبيحِ والتَّهْليلِ والتِّلاوةِ، والمُرادُ بهذه البُيُوتِ مَساجِدُ وزَوَايا.

[معارف القرآن للشيخ الكاندهلوي ج ٥ ص ١٣٢]

**الدَّليلُ الثاني**: قولُ اللهِ تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٧٣] قالَ المُفَسِّرونَ لتوضيحِ مَعْنى هذه الآية: ﴿ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٧٣] هُمُ الذين أحْصَرَهُمُ الجِهادُ فَمَنَعَهُم مِنَ التَّصَرُّفِ لا يستطيعونَ لاشْتِغالِهِم به ضَرْباً في الأرْضِ للكَسْبِ، وقيلَ: هُمْ أصْحابُ الصُّفَّةِ.

[تفسير النسفي ج ١ ص ١٩٠]

وقالَ الشيخُ عبد الحقّ الحقّاني الدهْلَوي رحمه الله: ﴿ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ مثلُ كثيرٍ مِنَ الصَّحابَةِ رضي اللهُ عنهم تَرَكُوا أهْلَهُم والتَزَمُوا الحُضُورَ في خِدْمَةِ رسولِ اللهِ ﷺ نوّرتْ فُيُوضُهم جميعَ العالَم بعده ﷺ.

[تفسير الحقاني ج ٦ ص ١٨]

وقالَ الشيخُ مولانا محمّد إدريس الكاندهلوي رحمه الله: ﴿ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي الذينَ اشتغلُوا في خِدمَةِ الدِّين وتَحصِيلِ العُلومِ الظَّاهِرة والباطِنة، يَحفَظُونَ القُرآنَ الكَرِيمَ، ويتعلَّمُونَ عِلْمَ الدِّينِ ويُجاهِدُونَ ضِدّ الأعْداءِ الظَّاهِرة والبَاطِنة، والمُرادُ مِنَ الأعْداءِ الظّاهِرة الكُفّار، ومِنَ الأعْداءِ البَاطِنة النّفس الأمّارة بالسُّوءِ، فكَما أنَّ الجِهادَ والقِتالَ للضَّرْب على رِقابِ الكُفّارِ أفضَلُ العِباداتِ هكذا المُجاهَدَاتُ والرِّياضَاتُ أفضَلُ العِباداتِ. وَرَدَ في الحَديثِ الشّريفِ: «والمُجاهِدُ مَنْ جاهَدَ نَفْسَهُ».

[معارف القرآن للكاندهلوي رحمه الله ج ١ ص ٤١٢]

وقالَ القاضي ثناءُ الله الفاني فتي رَحمه الله: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾: لِلفُقَراءِ الَّذِينَ حُبِسُوا في سَبِيلِ الله أي اشتَغلُوا في تَحصِيلِ العُلومِ الظّاهِرة والعُلُومِ البَاطِنة أو في الجِهادِ.

[تفسير المظهري ج ٣ ص ٧٧]

وَقالَ السَّيّدُ أمير عَلي في تَفسِيرِه مَواهِب الرَّحمٰن نَقلاً عَنْ عَرائِسِ التَّفاسِير قوله: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يدخُلُ فيهم الذين حَبَسُوا أنْفُسَهُم في مَجلِسِ مُراقَبةِ الله تَعالى لا يَستَطِيعُونَ ضَرْباً في الأرْضِ، أي لا يَبتَعِدُونَ مِنْ مَجالِسِ المُراقَبةِ لِطَلَبِ الرِّزقِ والحَوائجِ اللازمةِ مِنْ جِهَةِ أنْ يَغْلِبَ عَلَيْهِم الحَالُ، وَيَغلُوهُم ذِكرُ الله تعالى، ويستَغرِقُونَ في مُشاهَدَةِ مَولاهم، ويَطرَى عليهم الحبُّ شدَّةً والعِشقُ كثرةً فلا يستطيعونَ الجهدَ في كَسْبِ المَعاشِ.

الدَّليلُ الثّالث: قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

أمَرَ الله تعالَى في هذه الآية بِمُجالَسةِ ومُدَاراةِ فُقراء دِينِ الإسْلامِ

وأهلِ الخرقةِ لابِسِي أكسيةٍ صُوفيَّةٍ مثل أصْحابِ الصُّفَّةِ أولئكَ هُمُ المشتغِلُونَ في ذِكْرِ الله والدُّعاءِ غُدُوًّا وعشيًّا، وعبادُنا المُخْلصون كأنهم أصْحابُ الكَهْفِ. أخْرَجَ ابنُ جَريرٍ والطَّبَرانيّ وابن مَرْدَويه عن عَبْدِ الرَّحْمٰن بنِ سَهْلِ بنِ حَنيفٍ رحمه الله قالَ: نزلتْ على رسولِ الله ﷺ وهو في بعضِ بيوتِه: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ فخرجَ يلتمِسُهُم فوجَدَ قَوْماً يذكرونَ الله فيهم: ثائِرُ الرَّأسِ وجافُّ الجِلْدِ، ذو الثَّوبِ الواحِدِ. فلمَّا رآهم جَلَسَ وقال: «الحَمْدُ للَّه الذي جَعَلَ في أمّتي مَنْ أمَرَني أنْ أصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُم».

[الدر المنثور ج ٥ ص ٣٨١]

وفي حَديثٍ آخرَ عليهِ الصَّلاة والسَّلام قال: «مَعَكُمُ المَحْيا والمَمَات».

[الدر المنثور ج ٥ ص ٣٨٠]

يَعْني إنَّكم رُفَقائي في الحَياةِ والمَمَاتِ، وعَنْ ثابتٍ قال: كانَ سَلْمانُ في عِصَابةٍ يذْكُرونَ الله تعالى، فَمَرَّ النبيُّ ﷺ فكفُّوا فقال: «ما كُنْتُم تقُولُونَ» قُلْنا: نَذْكُرُ الله قال: «فإنّي رأيتُ الرَّحْمةَ تنزلُ عليكُم أحبَبْتُ أنْ أشارِكَكُم فيها».

[الدر المنثور ج ٥ ص ٣٨٢]

ومِنْ مثلِ هذه الرِّواياتِ استنبطَتِ الصُّوفيَّةُ ضَرُورَةَ إنشاءِ الزَّوايا، يجْلِسُ فيها السَّالِكُونَ يذكُرونَ الله تعالى، كما كانَ أصْحابُ الصُّفَّةِ يَفْعَلُونَ. وعن ابنِ عباسٍ رضيَ الله تعالى عنهما وَقَفَ رسولُ الله ﷺ على أصْحابِ الصّفة فرأى فَقْرَهُم وجهدَهُم وطِيبَ قُلُوبِهم فقال: «أبْشِرُوا يا أصْحابَ الصُّفَّةِ فَمَنْ بَقِيَ مِنْ أمّتي على النَّعْتِ الذي أنتُم عليه رَاضِياً بما فيه فإنّه مِنْ رُفَقائي في الجَنَّة».

[كشف المحجوب]

فهنيئاً للّذين يعيشون في الزوايا ويقيمون فيها كأصحاب الصُّفّةِ العاملين بآية: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١] وقوله: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٨].

ولا شكّ أنّ لجمعية القلوب تدخُلاً خاصًا وأثراً عظيماً في استِلْفاتِ رَحْمةِ اللّه ورأفتِه، ولذلك شُرِعَتِ الصّلاةُ بجماعةٍ ولأجْلِه يوجّه جميع الحُجّاج إلى اللّه تعالى على هَيْئةٍ واحدةٍ في عَرصةٍ واحدةٍ عرصة عرَفاتٍ، ولذا أمَرَ المشايخُ ألّا يُقصّروا في المُجالَسَةِ مع مِثل هؤلاء الطّالبين.

قال الشّيخُ الكاندهلوي رَحِمه اللّه في تفسير هذه الآية: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ وجَبَ على عالِمِ الشّريعةِ وشيْخِ الطّريقةِ أن يَغْتَنِمَ مُجالَسَةَ الفُقَراءِ وصُحْبَتَهم ويأذَن للجميعِ في الدّخولِ في مَجْلِسه.

[معارف القرآن للشيخ الكاندهلوي رحمه اللّه ج ٤ ص ٤١٢]

فثبَتَ أنّ المَقْصُودَ من إنشاء الزّوايا العَمَلُ علَى هذه الآيةِ المَذْكُورةِ. قَالَ قَائلٌ:

خوشا مسجد ومدرسہ وخانقاہ کہ در وے بود قیل وقال محمد

ومَعْناه:

حَبّذا المَسْجِدُ والمدرسةُ والزّاويةُ يكُونُ فيها قِيلَ وقَالَ محمد ﷺ.

(يَرِدَادُ أحاديثِ النّبي ﷺ) أدلّة مِنَ الحَدِيثِ.

**الدَّليل الأوّلُ**: عَنْ أبي هريرة وأبي سعيد رضي اللّه عنهما أنّهما شَهِدا على رَسُول اللّه ﷺ أنه قالَ: «لَا يَقْعُدُ قومٌ يَذْكُرون اللّه إلّا حفّتهُمُ المَلَائِكةُ وغَشِيَتْهُمُ الرّحمةُ ونَزَلَتْ عليهمُ السّكينةُ وذَكَرهمُ اللّه فيمَنْ عنده».

[أخرجه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه، الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٤٠٦ المشكاة حديث رقم ٢٢٦١]

الدليل الثاني: عَنْ أنسٍ رضي الله عنه عَنْ رسولِ الله ﷺ قال: «ما مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرونَ اللهَ عزَّ وجلَّ لا يُرِيدُونَ بذلك إلا وَجْهَهُ إلّا نَادَاهُم مُنَادٍ مِنَ السَّماءِ أنْ قُومُوا مَغْفُوراً لَكُم قَدْ بُدِّلَتْ سيئاتُكُمْ حَسَناتٍ».

[رواه أحمد والطبراني؛ الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٤٠٣]

في هذا الحَديثِ بِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ للذينَ يُقيمُونَ في حُدُودِ الزّاويةِ.

الدليلُ الثالث: عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليبعثنَّ اللّهُ أقواماً يَوْمَ القِيامةِ في وُجُوهِهِمُ النّورُ على مَنابِرِ اللؤلؤِ يَغْبِطُهُمُ النّاسُ ليسوا بِأنْبِياء ولا شُهَدَاء». قال: فجثا أعْرَابيٌّ على رُكْبَتَيْهِ فقالَ: حلِّهِمْ لنا نَعْرِفْهُمْ. قالَ: «هُمُ المُتَحابُّونَ في اللّه مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى وبِلادٍ شتى يَجْتَمِعُونَ على ذِكْرِ اللّهِ يَذْكُرونَه».

[أخرجه الطبراني بإسناد حسن؛ الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٤٠٦]

قال شيخُ الحَديثِ مَوْلانا محمّد زكريا رحمه الله آخِذاً مِنْ هذا الحديثِ: اليومَ يطْعَنُ على المُقيمينَ في الزّوايا مِنْ كلِّ جِهَةٍ ويتهمُون بكلِّ تُهمةٍ يلومُهُمُ اللائمُونَ حقَّ اللّومةِ. قولُوا فيهم اليومَ ما تُرِيدُونَ، فإذا استيقظَتِ العَيْنُ غداً انكشفَ الغطاءُ عمّا كَسَبَ هؤلاءِ الجالِسُونَ على الحَصَائدِ وهُمْ على المَنابِرِ والغُرُفاتِ.

فَسَوْفَ تَرى إذا انْكَشَفَ الغُبَارُ أفَرَسٌ تَحْتَ رِجْلِكَ أمْ حِمَارُ

الدّليلُ العقليّ: إنْ لَمْ يبقَ في الدّنيا تَعْليمُ طبٍّ جِسْمَانيٍّ ولا مَدْرَسةٌ لم يُوجَدْ طَبِيبٌ ولا مُعَالِجٌ، فتملأ الدُّنيا بالأمراضِ الجسمانيةِ، هكذا إنْ لَمْ يكُنْ مكتبٌ للطبِّ الرُّوحانيِّ تملأ الدّنيا مِنَ المُصَابينَ بالأمْراضِ الرُّوحانيَّةِ من الكُفرِ والإلحادِ، فالزوايا مستشفياتٌ مِنَ الأمْراضِ الروحانيَّةِ يحصلُ منها الدواء لِلْقَلْبِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ عِلَاجَ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ شِفَاءٌ لِجَمِيعِ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ. قال شاعرٌ:

دل مردہ دل نہیں اسے زندہ کرو دوبارہ      کہ یہی ہے امتوں کے مرض کہن کا چارہ

ومعناه:

الْقَلْبُ الْمَيِّتُ ليس بِقَلْبٍ اجْعَلْه حيّاً

إذْهو العِلاجُ الوحيدُ لأمراضِ الأمة القديمة المزمنة

نَعَمْ، لو أنَّ شَخْصاً لا يَرَى الْكُفْرَ والمَعْصِيَةَ مَرَضاً فلا نُخَاطِبه، ومِثْلُ هذا الشَّخْصِ لا تَنْفَعُه الطَّوامِيرُ. فاللّٰه يَجْزِي خَيْرَ الجَزَاءِ لِمِثْلِ هؤلاء الأولياءِ الذينَ يبقونَ اليومَ في عَصْرِ الظُّلْمَةِ والمَعْصِيَةِ، الأعمال الخالقاهيَّة الدقيقة. اللّٰهمّ ثبِّتْنا على طَرِيقَتِهِمْ، وارْزُقْنا مِنْ بَرَكَتِهِمْ، واحْشُرْنا في زُمْرَتِهِمْ.

## الباب الثامن

# في المعتقدات
# معتقدات المريدين

١ ـ **مسألة**: تَنْقِيصُ رُتْبَةِ أَهْلِ اللّٰه تعالى والْتِمَاسُ عُيُوبِهِم، وَعَدَمُ رِعَايَةِ آدابِهِم حَرَامٌ.

**فائدة**: الَّذِينَ يَلْتَحِقُونَ بِالمَقْبُولِينَ عِنْدَ اللّٰه تعالى بطيِّ مَنَازِلِ القُرْبِ بالتَّقْوَى والطَّهارةِ والذِّكْرِ والعِبَادةِ، يُقَالُ لهؤلاء الإلهيين: أولياء اللّٰه وأهل اللّٰه، فهؤلاء إراحتُهم إرضاء اللّٰه تعالى، وإيذاؤهم كأنه إيذاء اللّٰه تعالى.

يستدلّ على رِعَايةِ آدابِ أَهْلِ اللّٰه تعالى ومُواجَهَتِهم مِنَ الاحْتِرَامِ والمحبّة بأدلةٍ ثلاثةٍ:

١ ـ قال المُفَسِّرُونَ في تَفْسِيرِ شَعَائِرِ اللّٰه تعالى: إنّه كَمَا يَدْخُلُ في شَعائِرِ اللّٰه تعالى رسُولُ اللّٰه، وكَلَامُ اللّٰه عزّ وجلّ، وبيتُ اللّٰه تعالى، يَدْخُلُ الأولياءُ الكَامِلُونَ في شَعَائِرِ اللّٰه تعالى، بَلِ الأَمَاكِنُ التي تَصِلُ إليها أقدامُهم تَدْخُلُ في شَعَائِرِ اللّٰه تعالى. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٧].

ومَعْلومٌ أنَّ الصَّفَا والمَرْوَةَ موجُودَتَانِ منذ وُجِدَتِ الدُّنيا، ولَكِنْ عُدَّتا مِنْ شَعَائِرِ اللّٰه عِنْدَما وَصَلَتْ إليهما قَدَمَانِ مُبارَكَتانِ لأَمَةٍ صَالِحَةٍ صَابِرَةٍ، هَاجَرَ رضي اللّٰه عنها، فَعُلِمَ أنَّ الكَامِلِينَ المَقْبُولِينَ حيث وَصَلَتْ

أقدامُهم تعدّ هذه الأماكنُ مِنْ شعائرِ اللّه تعالى، فليعدّ هؤلاء مِنْ شعائرِ اللّه بالدرجةِ الأولى. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

٢ ـ في الحديثِ الشريفِ: «إنَّ العَبْدَ يَتقرّبُ إلى اللّه تَعالَى بالنّوافلِ». ثمّ يَحْصُلُ له مِنَ الكيْفِيّةِ ما يقولُ اللّه تبارك وتعالى فيما رواه عنه نبيّه ﷺ: «كُنْتُ سَمْعَه الذي يَسْمَعُ بهِ وبَصَرَه الذي يُبصِرُ به ورِجْلَه التي يَمْشِي بها» فإكْرامُ رِجالٍ يَقُولُ اللّه فيهم هذا القولَ، إكرامُ أوامرِ اللّه تعالى.

٣ ـ الوقيعَةُ في أهْلِ اللّه تَعالى مَكْروهٌ وإيذاؤهم قَبيحٌ، وفي الحديث القدسيّ: «مَنْ عادَى لي وَليًّا فَقدْ آذنْتُه بالحَرْبِ».

[البخاري مع حاشية السندي ج ٤ ص ١٢٩]

فإيلامُ أولياءِ اللّه تعالى كأنّه إيذانُ اللّه بالحَرْب، وعندما يغضبُ اللّه تَسْقطُ العَمائمُ مِنَ الرؤوسِ وتَزالُ الخُمُرُ ويذلّ الإنسانُ في بيتِهِ ولا يَبْقى أهلاً لمقابلَةِ النّاس، اللّهمّ احفَظْنا مِنْ غَضَبِكَ.

والعُلَماء المتشدّدون المُنْحرِفونَ الّذين يَقِيسونَ أولياء اللّه عَلى أنفسِهم، والّذِينَ لَيْسَ لَهم فُرْصَةٌ مِنْ سُوءِ الظّنّ وسوءِ اسْتِعْمَالِ اللّسانِ، عليهم أنْ يَتفكّروا أنّ التوحيدَ بدونِ أدَبٍ والأدبَ بدونِ تَوْحيدٍ داخلٌ في الإفْراطِ والتّفْريطِ، الأدبُ مع التوحيدِ دليلُ كَمالٍ.

٢ ـ **مسألة**: الغُلوّ في تَعْظيمِ أوْلياء اللّه تعالى أيضاً مَعْصِيةٌ.

**فائدة**: بعضُ النّاسِ يَغْلُونَ في آدابِ المَشايخِ وتعظيمِهِمْ حتى يسْجُدُوا لهم تَعْظيماً، وهذا حَرامٌ داخِلٌ في الشّرْكِ، غَلَبَ على اليَهُودِ والنّصارَى حبّ أنبيائِهم، فاتّخذوهم أبناء اللّه لِغَلَبةِ الحُبّ، وصرّحَ القُرآن الكريمُ بقَباحَتِهِ وشَناعَتِهِ، وهناك أناسٌ يَتّخِذُونَ الشّيْخَ إلهاً صَغِيراً

ويزعمونَ أنه يَمْلِكُ النَّفْعَ والضرّ. وعن عبد اللّٰه بن عباسٍ رضي اللّٰه عنهما، أنّ رسولَ اللّٰه ﷺ قال:

«يا غُلامُ إنّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ: احْفَظِ اللّٰه يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللّٰه تَجِدْهُ تِجاهَكَ، إذا سَألْتَ فاسْألِ اللّٰهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ باللّٰه، واعْلَمْ أنّ الأمةَ لو اجْتَمَعَتْ على أنْ يَنْفَعُوكَ بشيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلّا بشيءٍ قدْ كَتَبَهُ اللّٰه لكَ، وإنِ اجْتَمَعُوا على أنْ يَضُرُّوكَ بشيءٍ لمْ يَضُرُّوكَ إلّا بشيءٍ قدْ كَتَبَهُ اللّٰه علَيْكَ، رُفِعَتِ الأقْلامُ وَجَفّتِ الصُّحُفُ».

[مشكاة المصابيح ج ٣ ص ١٤٥٩]

## إيضاحُ شناعةِ الغُلوّ في تعظيمِ أولياء اللّٰه تعالى بمثالٍ:

رَجُلٌ يقول لزَوْجَتِهِ: اخدُمي والدي وأكْرِميه، فَمَهْما تَخْدُم الزَّوجَةُ والدَه رضي زَوْجُها، وإنْ غَلَتْ بالخِدْمةِ حتى تُعامِلَه كما تُعامِلُ الزَّوجَ لا يَرْضَاهُ الزوجُ أبداً ولا يَغْفِرُ لَها هذا الذَّنْبَ، وكذلكَ أمَرَ اللّٰهِ تَعالى باحْتِرامِ أوليائه ولَكِنْ بقُيُودٍ وحُدُودٍ، وإن غَلا أحَدٌ في التَّعظيمِ يستحقّ العَذابَ وسَخَطَ اللّٰه عليه.

**٣ ـ مسألة:** كلّ طَريقةٍ ردّتها الشّريعةُ فهي زَندقةٌ وإلحادٌ.

عَزْلُ الطّريقةِ عنِ الشّريعةِ لا يَجُوزُ بلِ الحَقيقَةُ أنّ الطّريقةَ خادمُ الشّريعةِ. بعضُ المَشايخِ الجُهّالِ لكِتْمانِ أعْمالِهِمُ القَبيحةِ يقولون بالتّفريقِ بين الشّريعةِ والطّريقةِ. قدْ ضَلّوا وأضَلّوا أصْحابَهم، وبَعْضُهم لا يُصَلّون ويقولون: صَلاتكم خَمْسَةَ أوقاتٍ وَصَلاتُنا كُلّ وقتٍ. ذُكِرَ لسيِّد الطّائفة الشّيخ الجُنَيد البَغْدادي رحمه اللّٰه أنّ طائفةً مِنَ الصّوفيةِ الجُهّال تقول: نَحْنُ وَصَلْنا فلا حاجَةَ لنا إلى الصّلاة والصيام فقال الشيخُ:

(صَدَقُوا في الوُصُولِ ولَكِنْ إلى سَقَرٍ)

٤ ـ مسألة: قد يَعْرِفُ أولياء اللّه تعالى بَعْضَ الأمورِ بالكَشْفِ والإلْهامِ خَرْقاً للعَادَةِ.

فائدة: لا يَعْنِي هذا أنّ أولياءَ اللّه تعالى يَعْلَمُونَ الغَيْبَ. لا يَعْلَمُ الغَيْبَ إلّا اللّهُ، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

نَعَمْ، يخبر اللّه تعالى بأنْباء الغَيْبِ ما شاء ومَنْ شاء مِنْ أنبيائهِ وأوليائهِ، واعْتِقادُ أنَّ الشَّيْخَ يَعْلَمُ كلَّ شيءٍ كلَّ وقْتٍ ضَلالَةٌ بيِّنةٌ. بَلَغَ الجَهْلُ اليومَ إلى مُنْتَهاهُ حتى يقولَ البَعْضُ: إنَّ سَنانيرَ بيتِ شَيْخِنا تَعْلَمُ الغَيْبَ أيضاً. والحقيقةُ أنَّ مَنْ رُزِقَ كَشْفَ القُلُوبِ لا تَتَبيّن له الحَقيقَة كلَّ وَقْتٍ متى أرادَ اللّه تعالى كَشْفَ الحِجَابِ، على أنّ الكَشْفَ لا يجبُ أن يكونَ دائماً صحيحاً، بل يَحْتَمِلُ الخطأ.

حكاية: كَانَ الشيخُ مَوْلانا محمّد قاسم النانوتوي رَحِمه اللّه تعالى يَذْهَبُ مع النّاسِ إلى عمارةٍ، فلمّا أن بَقِي مَسَافَةٌ قليلةٌ سألَهُ رَجُلٌ فقالَ: إنّ كُشُوفَ الأولياءِ قد تتأخّرُ عَنْ وقْتِها، وأَخْبارُ الأنبياء لا تتأخّرُ عَنْ وَقْتِها، فهلْ يخطِئ كَشْفُ الأولياءِ؟ فسأل الشَّيْخُ: أيّ عَمارةٍ قُدّامَنا؟ فقال: السّجْنُ، فقالَ: أفيهِ شكٌّ أم هو يَقِيني؟ فقالَ السّائلُ: لا، بلْ هو السّجْنُ بلا رَيْبٍ، فقال: كَمْ يبعُدُ السّجْنُ مِنْ ههنا؟ فقالَ: قَريبٌ مِنْ مائةِ قَدَمٍ، فقال: هَلْ يُمْكِنُ أن يكونَ بَدَلَ المائةِ مائةٌ إلّا خَمْسَةً أو مائةٌ وخَمْسَةٌ؟ فقال: نَعَمْ. إنّه ظَنٌّ وليسَ بيقينٍ، فقالَ: هَكذا كَشْفُ الأولياءِ يَحْتَمِلُ الخَطأَ إذْ هُمْ يَرَوْنَه مِنْ بعيدٍ.

فلمّا انْتَهى إلى بابِ السّجْنِ ولَمْ يَبْقَ مِنه إلا قَدَمانِ، قال الشّيْخُ: أي عَمَارةٍ هذه؟ فَقالَ السّائلُ: هي السّجنُ. فقال: كَمْ مَسَافَةٌ بَيْنَك وبَيْنَ السّجْنِ؟ فقالَ: قَدَمانِ. فَقالَ: هل يُمْكِنُ أنْ يكُونَ بَدَلَ قَدَمَيْن ثَلاثَةٌ

أقْدام أو قَدَم واحِد؟ فَقال: لا. فَقالَ الشَّيْخُ: هكذا حالُ كَشْفِ الأنبياءِ يَرَوْنَه حَقّاً ويَرَوْنَه مِنْ قَريبٍ.

[الأرواح الثلاثة ص ٢٥٨]

٥ ـ مسألة: عِبادَةُ غيرِ الله حَرامٌ لا يجوزُ اسْتِغاثَتُهم.

فائدة: عِبادةُ غَيْرِ اللّٰه حَرامٌ. قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

الإشْراكُ في ذات اللّٰه تعالى وصِفاتِه هُوَ الشِّرْكُ وهو جَريمَةٌ لا تَحْتَمِلُ العَفْوَ. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

حكايةٌ: كَانَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ يقولُ: تَعَلّمْنا التَّوحيدَ من امْرأةِ قَصّارٍ، فقال رجُلٌ: وكَيْفَ يا سيِّدي؟ فقال: كُنْتُ مُشْتَغِلاً يَوماً في العِبادَةِ، إذْ قَصّارٌ وامرأته بِجواري يَخْتَصِمانِ. كانَ القَصّارُ يريدُ نِكاحاً ثانياً وكانَتِ امرأتُه تقولُ: تحمّلْتُ لأَجْلِكَ العُسْرَ والشِّدّةَ إنْ وجَدْتُ الطَّعامَ أكلتُ وإنْ لم أجدْ صَبَرْتُ. تحمّلتُ كلَّ مشقَّةٍ وأسْتَطيعُ أنْ أتحمّلَ لأجْلِكَ مشقّةً فوْقَ ذلك، ولكِنْ لا أسْتَطيع أن تُشْرِكَ أحداً في حبّي. قال الحَسَنُ البصريُّ: فنَظَرْتُ في القُرْآن فإذا هذه الآية أمامي: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

حكايةٌ: كَانَ شَيْخٌ كَثيراً يقُولُ: تَعَلّمْنا التوحيدَ مِنَ امرأةٍ فقالَ رجُلٌ: وكيف يا سيّدي؟ فقال: جاءتْ سَائِلةٌ امرأةٌ وقالت: أفتِني أنّه لا يجوزُ لِزَوْجي إنكاحُ امرأةٍ أخْرَى عليّ فقلتُ: وكيف أفتي بهذا وقد أباحَتْ له الشّريعةُ؟ فما زالَتْ تُصِرّ وأنا أرْفُضُ وأخيراً تنفّسَت نَفَساً بارِداً وقالَت: يا سيدي! أمر الشّريعةِ حاجِزٌ وإلّا أكْشِفُ لكَ وجْهي فتَرى حُسْني وجَمالي فتضطرّ أنْ تُفْتِيَ أنّ مَنْ كَانَتْ له زَوْجةٌ مثل هذه حُسْناً

وجَمالاً لا يُبَاحُ له الزَّوجةُ الثانيةُ؟ ثم ذَهَبْتُ، ولَكِنْ بَعْدَ أن عَلَّمَتْنِي التَّوحيدَ فقلت: إنْ امرأةً تَفْتَخِرُ هَكَذا بحُسْنِها الفَانِي ولا تُبِيحُ أن تَرَى مَعَها امرأةً أُخرَى، فاللّه سُبْحانه وتعالى وهو مَالِكُ المُلْكِ وأَحْكَمُ الحَاكِمِينَ، كَيف يُحِبُّ أنْ يُشْرِكَ في ذَاتِه وصِفَاتِه، فلا يجوزُ استعانةُ غَيْرِ اللّه تعالى، ولذا يُؤْخَذُ كل يوم ميثاقُ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] عدة مرات.

وينبَغِي للمؤمنينَ أن يُعلِنُوا بـ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] و: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠].

٦ ـ **مسألة**: السجودُ للقُبُورِ ووضعِ الجَبْهَةِ لها والطَّوافُ بالقُبُورِ شِرْكٌ.

**فائدة**: جَعَلَ اللّه سُبْحانه وتَعالى للأنْعامِ والطُّيُورِ والسِّباعِ صُوَراً تخضعُ رؤوسها لأكْلِ الغِذاء، بينما وَهَبَ اللّه تعالى لأشْرَفِ المَخْلُوقَاتِ الإنسانِ صُورةً يبلغُ غذاؤه إلى فَمِه بواسِطَةِ الأيْدِي لا يَحْتَاجُ للأكْلِ إلى وَضْعِ رأسِه كي لا يَخْضَعَ لغَيْرِه تعالى، جَبْهَةُ خُلِقَتْ لتَخْضَعَ له فَقَطْ، ولذلك نَهَى عن سُجُودِه لغيرِ اللّه ولو تَعْظِيماً في الشَّريعةِ المحمَّديةِ كما نَهَى عَنْ سجودِه للقُبُورِ ووضْعِ الجَبْهَةِ عليها، ولا يَجُوزُ ما يفعله بعضُ النَّاسِ من تَقْبِيلِ جُدْرانِ المَزَارَاتِ. وأدَّى شاعِرٌ هذا الكَلامَ في بَيْتٍ له ومعناه:

لِتَقْبِيلِكَ أَنْتَ تُقَبِّلُ أَسْوَدَ الحَجَرِ
وإلّا فَمَا لِلْمُسْلِمِينَ في حَجَرِ

٧ ـ **مسألة**: الدُّعاءُ بتوسُّلِ الأولياءِ جَائِزٌ.

**فائدة**: التوسُّلُ: أنْ يَدْعُوَ هكذا مَثَلاً: اللَّهمّ اقضِ حَاجَتِي كَذا بحُرْمَةِ الخَواجَة غُلام حَبيب رَحِمَه اللّه. ويُمْكِنُ أن يَدْعُوَ هكذا: اللَّهمّ

إنَّ الخَواجَةَ غُلامٌ حبيبٌ عَبْدٌ لكَ صالحٌ وأنا أُحبّه فببركَةِ حبّي له اقضِ حاجتي. ومِثْلُ هذا التوسّلِ مُباحٌ جائزٌ والتعبُّدُ حرامٌ غيرُ جائزٍ. وحالُ العامّةِ أنّهم يَحسَبُونَ الشِّركَ توسّلاً بينما العُلماء المتشدِّدُونَ يَرَوْنَ التوسّلَ شِرْكاً. والحَقيقَةُ لا تُدْرَكُ إلّا بِصُحْبَةِ أهْلِ اللّه تعالى.

**٨ ـ مسألة:** طَلَبُ الحاجاتِ مِنَ الأولياء أحياءً كانُوا أو أمْواتاً غيرُ جائزٍ.

**فائدة:** لا يَجُوزُ طَلَبُ الحَوائجِ إلّا مِنَ اللّه تعالى. بَعْضُ النّاسِ يَقْصِدُونَ المَقابِرَ ويقولون: نَحْنُ نَدْعُوكُم وأنتم تَدْعُونَ اللّه، دُعاؤنا مِنكم ودُعاؤكُم مِنَ اللّه. وبعْضُ الجُهّال يعلّقونَ في بُيُوتِهِم صُوَرَ الشُّيوخِ يسلّمونها مُبَكّرينَ كلَّ صَباحٍ ويقولون: يا سيّدنا نأكلُ مما ترزقُوننا. وبأمثالِ هؤلاء الجُهّال أنزلت: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

**٩ ـ مسألة:** الوليُّ مَهْمَا تقدَّمَ لا يَصِلُ إلى دَرَجةِ نبيٍّ.

**فائدة:** الوِلايةُ أمرٌ كَسْبِيٌّ أي يُمْكِنُ حُصُولها بالارْتِياضِ والمُجَاهَدَةِ، بينَما النّبوّة وَهْبِيّةٌ وعَطاء الحَبيبِ أفْضَلُ مِنْ كَسْبِ نَفْسِه، فالنبوّة أفْضَلُ مِنَ الوِلايَةِ وإنْ كانَتْ ولايةَ النبيِّ نفسه.

**١٠ ـ مسألة:** لا يَسْتَغْني نبيٌّ عَنْ أوامِرِ الشّرعِ سِوَى المَجْذُوبِ، فإنّه يُسْلَبُ عَقْلُه.

**فائدة:** لا يأتي في مَقاماتِ الوِلايَةِ مَقامٌ يُعفى فيه الإنْسانُ عَنْ أوامِرِ الشّرعِ مَعَ بَقاءِ عَقْلِه وصَحْوِهِ، أمَرَ النبيُّ ﷺ نَفْسَهُ بقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

ويُقَالُ اليومَ: لِعَرْيَانِ النّصفِ نِصْفُ وليٍّ، ولِعَرْيَانِ الكُلِّ وليٌّ كامِلٌ. بَعْضُ الجُهّال يعلّمُونَ مُريديهِم هذا الدرسَ: نحنُ وإن كُنّا مذنبينَ ولكِنْ سَوْفَ نُنْجيكُمْ مِنَ النّارِ، ويستدلّون بأنَّ البَوْلَ وإنْ كانَ نَجِساً ولكِنْ

يُطْفِئ النَّارَ وبِنسَى هؤلاء أنَّهم يُؤتون مَقْبُوضِينَ بالسَّلاسِلِ لِسُوءِ أعْمَالِهِم فَكَيْفَ يُنْجُونَ الآخَرِينَ وكيف تُقْبَلُ شَفَاعَتُهُم.

**حكاية**: كَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ القَادِرِ الجِيلَانِيّ رَحِمَه الله تعالى مَرَّةً جَالِساً يُرَاقِبُ في الغَابةِ، إذْ ظَهَرَ له ضَوْءٌ وجَاءَهُ صَوْتٌ: إنَّا رَضِينا بِعِبَادَتِكَ وغَفَرْنَا لَكَ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تأخَّرَ، سَوَاءٌ عليكَ الآنَ أنْ تَعْمَلَ أو لَمْ تَعْمَلْ. فقالَ الشيخُ في قَلْبِهِ: إنَّ هذه البِشَارَةَ لم تَنْزِلْ لِمِثْلِ أبي بَكْرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما فكَيْفَ بُشِّرْتُ بِها؟ لا شَكَّ أنَّهُ شَيْطَانٌ فقَالَ: لَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللهِ.

فلمَّا سَمِعَ هذا فَرَّ الشَّيْطَانُ وطَعِنَ طَعْنَةً أُخرَى وهُو يَفِرُّ، قَالَ: يا عبدَ القَادِرِ الجيلانيّ، إنِي أضْلَلْتُ كَثيراً بِهذه المَكِيدةِ امْتَنَعْتَ أنتَ بِعِلْمِك، فقال مباشرةً: لَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بالله. وقَالَ: يا رَجِيم إنِّي لَمْ أمْتَنِعْ بِسَبَبِ عِلْمِي بَلِ امْتَنَعْتُ بِفَضْلِ الله تَعالى فَقَطْ.

وإذْ يَسْتَعِيذ مِثْلُ هذا الشَّيْخِ الكَامِلِ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أنْ يدَّعِي أنه رُفِعَ عنه قَيْدُ الشَّرِيعةِ؟ أما المَجْذُوبُ فهو كالمَجْنُونِ رُفِعَ عنه القَلَمُ، والشَّرِيعةُ تَنْهَى الجُمْهُورَ عن اتِّباعِ المَجَانِينِ والمَجَاذِيبِ، فلْيتدَبَّرِ الذينَ يَتْبَعُونَ المَجَانِينَ أنَّه لا يُمْكِنُ الوصولُ إلى المَنْزِلِ في الدُّنيا باتِّبَاعِ المَجَانِينِ، فكَيْفَ يَصِلُ إلى المَنْزِلِ سَالِكُ الآخرةِ بِاتِّبَاعِ مَجْذُوبٍ؟

هذا خَيَالٌ وَمحَالٌ وجُنُونٌ.

**١١ ـ مسألة**: الأنبياء مَعْصُومُونَ عَنِ المَعَاصِي والأولياءُ مَحْفُوظُونَ عَنْها.

**١٢ ـ مسألة**: الصَّحَابَةُ أفْضَلُ مِنْ سَائِرِ أولياءِ الأمَّةِ.

**فائدة**: هؤلاء جَمَاعَةٌ مُخْتارةٌ مِنْ عِبادِ الله المُصْطَفَينَ. قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ [الفتح: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [البينة: ٨].

وكانت عَلامَاتُ هذه الجَماعةِ موجُودةً في التَّوراةِ والإنْجِيلِ. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩].

ومِيزةُ هذه الجَماعةِ أنَّه لما كَانَ يقولُ رسول الله ﷺ: «سَمِعَ اللّه لِمَنْ حَمِدَه». كانُوا يقولون: «ربَّنا لَكَ الحَمْدُ».

قالَ المُنافِقُونَ عنْ هذه الجَماعَةِ سُفَهاء في قولهم: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٣] فردَّ اللّه عليهم مَقُولَتَهم حيثُ قال: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٣].

يقولُ اللّه تعالى في مَدْحِ هذه الجماعةِ: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

هذه الجَماعةُ قَالَ فِيهِمْ أهلُ السُّنةِ والجَماعةِ: الصَّحابةُ كلُّهم عدولٌ.

[الإصابة ج ١ ص ٦]

بُشِّرَ أفرادُ هذه الجَماعةِ بقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «أَصْحَابي كالنُّجُومِ بأيِّهِمُ اقْتَدَيْتُم اهْتَدَيْتُمْ».

[مشكاة المصابيح ص ٥٥٤]

**١٣ ـ مسألة**: لِيُعْتَقَدْ في مُشَاجَرةِ الصَّحابةِ رضي اللّه عنهم أجمعين أن كِلا الفَرِيقَيْنِ على الحَقِّ والخَطَأ اجْتِهَادِيٌّ.

**فائدة**: سُئِلَ الإمَامُ الشَّافعيُّ رَحِمه اللّه عَنْ مُشَاجَرةِ الصَّحابة رضي اللّه عنهم أجْمعينَ. فقال: عَصَمَ اللّه أيْدِينا مِنَ التلوّثِ بدِمائِهم. فلِمَاذا نُلَوِّثُ بِها ألْسِنَتَنا؟ قال السيِّد عَبْد السَّتار نَجْم دامت بَرَكَاتهم شِعراً معناه:

الصَّحابَةُ ولو اقْتَتَلُوا سُعَدَاء هؤلاء شُهَداء وأولئك شُهَداء

ولْيَكُنْ نُصْبَ عَيْنيهِ كل حينٍ قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «اللّهَ اللّهَ في أصْحَابي، اللّهَ اللّهَ في أصْحَابي، لا تَتَّخِذُوهُم مِنْ بَعْدي غَرَضاً، فَمَنْ

أحبَّهُمْ فبحبّي أحبّهم، ومَنْ أبغضهم فبِبُغْضِي أبغضهم، ومَنْ آذاهُم فقد آذاني، ومَنْ آذاني فقدْ آذى الله، ومَنْ آذى الله فيوشكُ أنْ يأخُذَهُ».

[رواه الترمذي؛ مشكاة المصابيح ج ٣ ص ١٦٩٦]

**١٤ ـ مسألة:** قالَتِ الصُّوفيةُ: باطِنُ الشَّيْخِ في كُلِّ مَكانٍ.

**فائدة:** لا يَعْنِي هذا أنَّ الشيخَ حاضِرٌ وناظِرٌ في كلِّ مَكانٍ بَلْ مَعْناهُ أنَّ المُريدَ مَهْمَا يَكُنْ تَبْلُغه تَوَجهاتٌ مِنْ شَيْخِهِ.

**١٥ ـ مسألة:** كَرامةُ وليٍّ لا تَدُلُّ على أفضليتِهِ.

**فائدة:** الكَرَامةُ هي صُدُورُ أمرٍ فوقَ العَادَةِ ولَها أسبابٌ ثَلاثةٌ:

**الأول:** قَدْ تَصْدُرُ الكَرَامَاتُ مِنَ الكَامِلينَ حتى يَزْدادَ قَبُولُهم لَدَى الجُمْهُورِ.

**والثاني:** قَدْ يكونُ صُدُورُ الكَرَامةِ مِنَ الوليِّ لِتَقْصِيرٍ مِنْه حتى يتنبَّهَ الأولياءُ المُخْتَفُونَ يخفُونَ كَرَامَاتِهِم كَمَا تخفي العَامَّةُ عُيُوبَهُم.

**والثالث:** قَدْ تَصْدُرُ الكَراماتُ مِنَ النَّاقِصِينَ والتَّفْصِيلُ مَا يَلِي:

كُلُّ وليٍّ يَحْتَاجُ لِعُبُورِ مَرَاتِبِ القُرْبِ الإلهيِّ لأرْبَعِ خطوَاتٍ كُلُّ خُطْوَةٍ تُسَمَّى سَيْراً.

**الخطوة الأولى:** هي السَّيْرُ إلى اللهِ ويُقَالُ لها العُرُوجُ أيضاً ويَسِيرُ الوليُّ في هذه المَرْتَبةِ مِنْ عَالَمِ الخَلْقِ أي عَالَمِ الأسْبَابِ إلى عَالَمِ الأمْرِ.

**الخطوة الثانية:** هي السَّيْرُ في اللهِ ويُقَالُ لها الفَنَاءُ أيضاً ويَجِدُ الوليُّ في هذه المَرْتَبةِ السَّيرَ في ذاتِهِ تعالى وصِفَاتِهِ.

**الخطوة الثالثة:** هي السَّيْرُ مِنَ اللهِ تعالى ويُقَالُ لها النُّزُولُ أيضاً يَرْجِعُ فيها السَّالِكُ مِنْ عَالَمِ الأمْرِ إلى عَالَمِ الأسْبَابِ.

**الخطوة الرابعة:** هي السَّيْرُ في الأشياءِ، ويُقَالُ لها البَقَاءُ أيضاً

يَكْتَمِلُ فيها قُرْبُ السَّالِكِ فَيَعِيشُ في عَالَمِ الأَسْبَابِ، فَظَاهِرُهُ مَعَ الخَلْقِ وبَاطِنُه مَعَ اللَّه سُبْحَانه وتَعَالى، ويَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ السَّالكَ مَهْمَا اكْتَمَلَ عُرُوجُهُ اكْتَمَلَ نُزُولُه، ومَهْمَا اكْتَمَلَ نُزُولُه تكونُ حَيَاتُه الظَّاهِرَةُ تَحْتَ الأَسْبَابِ حتى يَصْعُبَ الفَرْقُ بنظرةٍ ظَاهِرةٍ بينَ الرَّجُلِ العَادِي وبينَ الوليّ، فالكَامِلون يَعِيشُونَ في العَوامّ، ولكنَّ النَّاسَ لا يَسْتَطِيعُونَ مَعْرِفَتَهم، ونظراً لأنَّ نُزُولَ الأنبياء أكْمَلُ نُزُولٍ كانَتْ حَيَاتُهُمُ الظَّاهِرِيَّةُ سَاذِجَةً في بادِئِ النَّظَرِ يَرَاهُمُ النَّاسُ ويقُولُونَ: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٧].

وحياةُ سيِّد الأنبياء ﷺ كانَتْ سَاذِجةً جدًّا حتى يَعْسُرَ في بَعْضِ الأحْيانِ إدْرَاكُ الحَقِيقةِ، بَلْ كانَ الكفَّارُ يقولون: ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾ [الفرقان: ٤١].

أَهْلُ المَدِينَةِ لم يَعْرِفُوا رسولَ اللَّه ﷺ يَوْمَ دَخَلَ المَدِينَةَ المنوّرة مُهَاجراً مِنْ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ، وجَعَلُوا يُصَافِحُونَ أبا بكرٍ الصِّدِّيق رضي اللَّه عنه، وجاءَ أعْرابيٌّ مرَّةً وكانَ النبيُّ ﷺ جَالِساً بينَ أصْحَابِهِ فَلَمْ يَعْرِفْه حتى سَأَلَ مَنْ مِنْكُمْ رسولُ اللَّه ﷺ؟ الكَامِلُونَ يعيشُونَ ظاهِراً تحتَ الأسبابِ، فيَتَعَامَلُون معاملةَ الأسْبابِ حَسَبَ أَصْلِ: «أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي».

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي؛ جامع الأصول ج ٤ ص ٤٧٦]

فيقلُّ صُدُورُ الكَرَاماتِ عنهم. فجَمَاعةُ الصَّحَابةِ رِضْوَانُ اللَّه عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ جَمَاعةٌ اخْتَارَها اللَّه تعالى، ولَكِنْ لَمَّا كان عُرُوجُهُم كَامِلاً كَانَ نُزُولُهُم أيضاً كَامِلاً، فكانَ صُدُورُ الكَرَاماتِ منهم قليلاً جدًّا حتى كأنَّها لا شيءَ بالنِّسْبةِ إلى كَرَامَاتِ أولياءِ الأمَّةِ، وهذا لا يَدُلُّ على النَّقْصِ بَلْ يَدُلُّ على الكَمَالِ.

وهُنَاكَ أَمْرٌ آخَرُ يَجِبُ مُلاحَظَتُه، وهُوَ أَنَّ أي سَالِكٍ مَهْمَا تَقُصَ

عُرُوجُه نَقَصَ نُزُولُه، ولَمَّا نَقَصَ نُزُولُه فقَدْ يتوقَّفُ أَمْرُه بما فَوْقَ عَالَمِ الأَسْبَابِ، فيَصْدُرُ عنه أُمُورٌ تُخَالِفُ الأسبابَ، وتُسَمَّى كَرَامَاتٍ؛ فهذا يدلّ على النَّقْصِ. وفيما يَلِي أمثلة توضح ما قلناه.

**المِثَالُ الأوَّلُ:** كَانَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَه الله مِنْ كَامِلِي أولياءِ هذه الأمّةِ، وحَامِلِي العِلْمِ الظَّاهِرِيِّ والبَاطِنِيِّ، سَبَقَ أَهْلَ عَصْرِه، أَخَذَ الخُرْقَةَ مِنْ سيّدنا عليٍّ رضي الله عنه، صَحِبَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ رضي الله عنهم أجمعين، كَانَ عُرُوجُه كَامِلاً ونُزُولُه أيضاً كَامِلاً، فكَانَتْ حَيَاتُه الظَّاهِرَةُ تحت الأَسْبَابِ. كَانَ حَبِيبُ العَجَمِيّ مِنْ مُرِيدِي الحَسَنِ البَصْرِيِّ رحمهما الله تعالى، لَمْ يكنْ له عِلْمٌ ظَاهِرِيّ ولَمْ يَكُنْ عُرُوجُه كاملاً ولا نُزُولُه، وقِصَصُ هذين الشَّيْخَيْنِ مُحْتَاجَةٌ إلى التَّحْقِيقِ.

كَانَتِ الشُّرطَةُ تَطْلُبُ الحَسَنَ البصريَّ رحمه الله تعالى حتى يُكَلِّفَ بوظيفةٍ حُكُومِيَّةٍ، ولَمْ يكنِ الشَّيْخُ يَرْغَبُ فيها، فهَرَبَ الشيخُ الحَسَنُ البصريُّ حتى اخْتَفَى في غُرْفَةِ حَبِيبٍ العجميّ وقال: يا حَبِيبُ لا تُخْبِرْ أحَداً أنّي اختفيتُ هنا، بَيْنَمَا كذلك إذْ جاءَتِ الشُّرطةُ فسألُوا حبيباً العجميَّ: هَلْ رأيتَ الحَسَنَ البصريَّ؟ فقال: نَعَمْ، اخْتَفَى في هذه الحُجْرةِ، وكَانَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ يسمَعُ كَلَامَهُم، فخَافَ كأنَّ الأرضَ خَرَجَتْ من تَحْتِ قَدَمَيْهِ. دَخَلَتِ الشُّرطَةُ في الحُجْرةِ فأَخْفَاهُ الله تعالى عَنْ أَبْصَارِهِمْ، فتَشُوا هنا وهناك فلَمْ يَرَوا الشيخ فرجعُوا. فخَرَجَ الحَسَنُ البصريُّ وقال: يا حبيبُ! لِمَ أخبرتَ الشرطَةَ أنّي في الحُجْرةِ؟ فقال: يا شَيْخُ هل اسْتَطَاعُوا أَنْ يَنْظُرُوا إليك؟ يَبْدُو ظَاهِراً أَنَّ رُتْبَةَ حَبِيبٍ العجميِّ عاليةٌ، ولَكِنْ كَانَ تَفَكُّرُ الحَسَنِ البصريِّ تابعاً لما تحت الأَسْبَابِ، وكَانَ تفكُّرُ حبيبٍ العجميِّ تابعاً لما فوق الأَسْبَابِ.

كانَ الشيخُ الحَسَنُ البصريُّ يمرّ في الشَّارِعِ فرأى قَبَاءَ حبيبٍ العجميِّ مَوْضُوعاً فتَحَيَّرَ أَيْنَ ذَهَبَ حبيبٌ ولِمَ تَرَكَ القَبَاءَ ههنا؟ فوقفَ

ينتظِرُه وبعدَ قليلٍ رَجعَ حَبيبُ العَجَميُّ، فسألَه الحَسَنُ البصريُّ: يا حبيبُ في ذِمّةِ مَنْ تَركْتَ هذا القباء؟ فقال الحَبيبُ: يا سيِّدي تَركْتُه في ذِمّةِ مَنْ أقامَك لِحِفْظِهِ، فظَهَرَ أنَّ تَفكّرَ حَبيبِ العجميِّ تفكّرُ ما فَوْقَ الأسْبابِ، وتفكّرَ الحَسَنِ البصريِّ تفكّر ما تَحتَ الأسْبابِ.

كانَ حَبيبُ العجميُّ يريدُ مرّةً أن يَعْبُرَ البَحْرَ، فلمّا وَصَلَ إلى الشّاطئِ وَجدَ الحَسَنَ البصريَّ جَالِساً فسألَه: لِمَاذا تَجلِسُ هنا؟ فقالَ: أنْتَظِرُ السّفينةَ لأعْبُرَ البَحْرَ فأخَذا يَتكلّمانِ، وبَعْدَ لأيٍ قالَ حبيبٌ: تَفضّلْ يا سيّدِي أريدُ الذّهَابَ، قال هذا وَعَبَرَ البَحْرَ مَاشِياً على المَاءِ، والحَسَنُ البصريُّ جالسٌ ينتظرُ السّفينةَ فجاءَتِ السّفينةُ فعَبَرَ البَحْرَ.

يَبْدُو مِنْ هذه القصَصِ أنَّ حبيباً شيخٌ كاملٌ عالي المَرْتبةِ، ولَكِنْ الحَقيقةُ خِلافُه. كانَ الحَسَنُ البصريُّ شَيْخاً والحبيبُ العجميُّ مريداً. كَانَ الحَسَنُ البَصرِيُّ كَامِلاً وكانَ حبيبُ العجميُّ نَاقِصاً، كَانَتْ حَيَاةُ الحَسَنِ البَصرِيِّ مُوَافِقةً لما تَحْتَ الأسْبابِ، وكانَتْ حَيَاةُ حَبيبِ العجميِّ موافقةً لما فَوْقَ الأسباب. كانَتْ حَيَاةُ الحَسَنِ البَصرِيِّ أقْرَبَ وأشْبَهَ بحياةِ نبي اللّٰه ﷺ. ولم يَكُنْ لحياةِ حبيبِ العجميِّ كمال مشابهةٍ بحياته ﷺ. فثَبَتَ أنَّ صُدُورَ الخَوَارِقِ لا يَدُلّ على الكَمَالِ.

**المثال الثاني**: عَلِمَ شيخٌ بوفاة ابنه فَلَمْ يَحْزَنْ ولم يُبَالِ وقال: اسْتَرَدَّ مَنْ كَانَ الولدُ أمانتَه. بينما تُوفِّي ابن رسول اللّٰه ﷺ فكَانَ يَسْتَعْبِر ويقولُ: «القَلْبُ يَحْزَنُ والعَيْنُ تَدْمَعُ، وإنّا بِفِرَاقِكَ يا إبراهيمُ لَمَحْزُونُونَ». كانَتْ حَيَاةُ سيِّدِ الأنبياءِ الظاهرةُ مُوافِقةً لما تحت الأسبابِ، ولهذا كان يَبْكي، بَيْنَما كَانَ أمْرُ الوليِّ في ذلك الوَقْتِ أمْرَ عَابِرِ الطَّرِيقِ فلَمْ يَحْزَنْ بفِرَاقِ الوَلَدِ.

**المثال الثالث**: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] بناء عليه أرشَدَ النبي ﷺ أمّتَه ليسألُوا اللّٰه الجَنّةَ ويقولوا: «اللّهُمّ إنّا

نَسأَلُكَ الجَنَّةَ ونَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ». بينما رَابِعَةُ البصريَّةُ حَمَلَتْ بإحدى يَدَيْها النَّارَ وبالأُخرَى الماءَ وَخَرَجَتْ تقولُ: أنا أحرِقُ الجَنَّةَ وأُطفِىءُ جَهَنَّم حتى يخلصَ الناسُ العبادةَ للَّه تعالى، ولا يَبْقَى لَهُم طَمَعٌ في الجَنَّةِ ولَا خَوفٌ مِنْ جَهَنَّمَ. فقولُ النبي ﷺ في جانبٍ، وعَمَلُ رَابِعَةَ البصريةِ في جانبٍ آخرَ. ولذلك قال الشَّيْخُ المجدِّدُ في مَكْتُوبَاتِهِ: لم يَكُنْ نُزُولُ رَابِعَةَ البصريةِ كامِلاً فكانَ فِكْرُها مُوافِقاً لما فَوْقَ الأسبابِ. رَابِعَةُ المِسْكِينَةُ إنِ اطَّلَعَتْ على هذا السرِّ لم تَخْرُجْ قابِضَةً بإحدى يديْها النَّارَ وبالأُخرَى الماءَ.

فتبيَّنَ مِنْ هذه الأمْثِلةِ الثَّلاثَةِ أنَّ بَعْضَ الأولياءِ لَمْ يَكُنْ نُزُولُه كامِلاً، فيكثُرُ منهم صُدُورُ الخَوارِقِ، ونَتِيجَةُ هذا التَّفْصِيلِ أنَّ إظْهارَ الكَرَاماتِ قد يكونُ لِوَضْعِ قَبُولِ الكَامِلِينَ في العامَّةِ، وقَدْ يَكُونُ لِلْعُقُوبَةِ والجَزاءِ، وقد يَصْدُرُ لناقصِ النزولِ، ولمَّا كانَ الفَرْقُ صعباً جُعِلَ الأصْلُ أنَّ كَرَاماتِ وليٍّ لا تدلُّ على فَضْلٍ.

**١٦ ـ مسألة**: الاسْتِقامةُ فَوْقَ الكَرَامةِ.

**فائدة**: الاسْتِقامةُ أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ كلَّ عَمَلٍ في كلِّ وَقْتٍ مُوَافِقاً للشَّريعةِ والسُّنةِ. والاسْتِقامةُ هي أكبَرُ كَرامة. مَكَثَ رَجُلٌ في صُحْبَةِ جُنَيْدٍ البَغْدَادِيّ عدَّةَ سَنَواتٍ، قال يوماً: يا سيِّدي! ائذن لي أرْجِعْ إلى شَيْخٍ آخَرَ، فقال: ولماذا؟ قال الرجُلُ: مَكَثْتُ في خِدْمَتِكُم عدةَ سَنواتٍ ولَمْ أُشاهِدْ أي كَرامةٍ. فقالَ الشَّيْخُ: وهَلْ شَاهَدْتَ عَمَلاً يُخالِفُ السُّنَّةَ النبويةَ؟ فقال: لا. فقال: وأي كَرامةٍ فَوْقَ هذا؟

أُخْبِرَ الشَّيْخُ أبو يزيدَ البسطامي بشيخٍ صَاحِبِ كَراماتٍ فذهب لِلِقائِهِ، فرأى مِنْ بعيدٍ أنه احْتَاجَ إلى إلقاءِ البصاقِ فتفَلَ إلى القِبْلَةِ فَرَجَعَ الشَّيْخُ أبو يزيدَ مِن غيرِ تَسْليمٍ عليه وقال: مَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ على مُسْتَحَبٍّ

كيفَ يكونُ من كِبارِ الأولياء؟ فعَلامَةُ كَوْنِ الرجلِ وليًا أنْ تكُونَ جميعُ أحْوالِهِ مُوافِقَةً للسُّنَّةِ والشَّريعةِ.

١٧ ـ مسألة: رُفِعَ بِناءُ قبورِ الأولياء فوق ما هو معروفٌ وبِناءُ السَّقْفِ عليها لا يَجُوز.

فائدة: لا يجوزُ البناءُ على القُبورِ كمّا هو في الحديث الصَّحيحِ، فبناء السَّقفِ ورَفْعُ بنائِهِ فوق ما هو مَعْروفٌ لا يجوزُ.

١٨ ـ مسألة: يظهر مِنْ بعضِ الأولياءِ التَّصرفاتُ والخَوارقُ بَعْدَ وفاتِهِمْ. لم يَنْقطِعْ فُيُوضُ أهلِ اللّٰه بعد الانتِقالِ مِنَ الدُّنيا، بَلْ لَا تَزالُ السِّلسلةُ الروحانيةُ فَلا يَبْعُدُ ظُهورُ التَّصرّفاتِ والخَوارِقِ مِنْ بَعْضِ الكَامِلينَ بعد وَفاتِهِم.

١٩ ـ مسألة: إنْ رَأى في المَنامِ أنَّ النبيَّ ﷺ رَضِيَ بأمرٍ يخالفُ الشَّريعةَ فلا عِبْرَة بهذا المَنامِ.

فائدة: قال النبيُّ ﷺ: «فإنَّ الشَّيطانَ لَا يتمثَّلُ بي». قال المُجَدِّد وهو يَشْرَحُ هذا الحَدِيثَ: إنّه حَديثٌ صَحيحٌ فَلا يَتمثَّل الشَّيطانُ بصُورَتِه التي هو مَوْجُودٌ بها في المَدينةِ المنوَّرَةِ، ولَكِنْ يُمْكِنُ أن يُرِيَه الشَّيطَانُ صُورَةً أخْرَى ويُوسْوِسَ في القَلْبِ أنَّكَ تَرى رَسُولَ اللّٰه ﷺ، فَمَنْ يحقق أنّه رَأى تلك الصّورةَ الحقيقيةَ أو غيرها؟ فالفارِقُ لنا بيْنَ الحقِّ والبَاطِلِ هو الشّريعةُ والسُّنةُ، وإن رأى في المَنَامِ وليًا يأمُرُ بما يُخالِفُ الشرعَ فلا حجّة في ذلكَ. بعضُ الناسِ يَرَوْنَ في المَنامِ أنَّ أحداً مِنْ آبائِهِ وأجْدادِهِ يأمُرُه بشيءٍ يُخالِفُ الشَّريعةَ فيقَعُونَ في أمورٍ ضدَّ الشّريعةِ. أسْتغْفِرُ اللّٰه هذا جَهْلٌ كُلُّهُ أنْ يُجْعَلَ الدِّينُ القويمُ أدْوَنَ وأهْوَنَ مِنَ الرؤيا.

٢٠ ـ مسألة: أعْمَالٌ لا يَجُوزُ مُباشَرتُها بالقُوَى الظَّاهِريةِ لا يَجُوزُ مُباشَرتُها بالقُوَى البَاطِنيةِ.

**فائدة:** العَمَلُ الذي لم تُبِحْهُ الشَّريعةُ لا يجوزُ بالقُوَى الظَّاهرةِ ولا بالقُوَى الباطِنَةِ. مِثالُ ذلك أنْ يُلقِيَ شخصٌ توجُّهاتِه على شخصٍ ويسخِّره لأمورٍ مُخالِفَةٍ للشَّريعةِ، فهذا لا يَجُوزُ، وكأن يَكُونَ له عَداوةٌ لِشَخْصٍ فلا يَجُوز أنْ يجنِّنه بالتصرُّف الباطنيِّ.

**٢١ ـ مسألة:** إنِ اتَّفَقَ صُدُورُ مَعْصِيَةٍ مِنْ وليٍّ لَمْ يخلَّ بولايته وكَرَامَتِه إذا لم يُصِرَّ عليها.

**فائدة:** صدورُ مَعْصِيةٍ اتِّفاقاً مُقْتَضَى البَشرِيَّة، ولكِنَّ الكَامِلين يَتُوبُونَ بعد مِثْلِ هذه المَعْصِية توبةً يَنالُونَ أجراً لا ينالُه العَامَّةُ على الأعْمالِ الصَّالِحَةِ، صُدُورُ المَعْصِية مِنَ الأولياء مُمْكِنٌ، ولَكِنْ لا يُصِرّون على الذُّنُوبِ لأنه دأبُ الفُسّاقِ.

**٢٢ ـ مسألة:** وَلَدُ الوليِّ بدونِ الأعمالِ لا يصير شيخاً.

**فائدة:** كَمَا لا يصِيرُ وَلَدُ الطَّبِيبِ طبيباً ما لَمْ يَتَعَلَّمْ فنَّ الطِّبِّ، كَذلِكَ لا يَصِير وَلَدُ الوليِّ وليًا ما لَمْ يَحْصُلْ على مَقاماتِ الولايةِ بالتَّقْوَى، والتَّزكِيَةُ مَناطُ الولايةِ لَدَى الجُهّالِ العَمَامَةُ والشَّجرةُ، فقَدْ أصْبَحَ الفسّاقُ الفجّار ذوو الأعمال السيِّئة مُرْشِدِي مِئاتِ ألوفٍ مِنَ النَّاسِ في الرُّوحانِيَّةِ مِنْ أجْلِ آبائِهِم وأجْدادِهِم، مَعَ أنَّهُم لم يَعْرِفُوا وراء الروحانيَّة وهؤلاء يَصْدُق عَلَيْهِم قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [مريم: ٥٩].

إنَّما عَمَلُهُم إضاءةُ النِّيرانِ في الأعْراسِ السَّنويَّة أو جَمْع الجُمُوع وتَوزيعُ الحلْوِيَاتِ لا يتبعونَ الشَّريعة ولا يَجِدُون توفيقاً للتبليغ إلى غيره، فهذا ضلالٌ كلّه كما قال قائلٌ:

وجَدُوا في الميراثِ مَنْصِبَ الإرْشادِ
وَقَعَتْ في يَدِ الغُرابِ أعْشاشُ العقابِ

**٢٣ ـ مسألة:** الإحْدَاثُ في الطَّرِيقَةِ كالإحْدَاثِ في الشَّرِيعَةِ في الإثم.

**فائدة:** بِدْعَةُ الطَّرِيقَةِ كَبِدْعَةِ الشَّرِيعَةِ إنْ رَسَخَ هذا القَلْبُ تيسّر الوِقَايَةُ مِن بدعَاتِ المشايخ الجُهّال.

**٢٤ ـ مسألة:** يُعطَى المُقَرَّبونَ ثَوابَ العِباداتِ أكثر من الأبرار.

**فائدة:** قالَ النبيُّ ﷺ: «لا تَسُبّوا أصْحابي فَلَوْ أنّ أحداً أنْفَقَ مِثل أُحُدٍ ذَهَباً ما بَلَغَ مُدَّ أحَدِهِم ولا نَصِيفَه».

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي؛ جامع الأصول ج ٨ ص ٥٥٢]

فثَبَتَ أنّ الوليّ مَهْمَا تَقَدَّمَ في القُربِ يزدادُ أجْرُ عِبادته، وأيضاً يؤاخَذُونَ فوقَ ما يؤاخَذُ الأبرارُ. ولِذَلِكَ قيلَ: حَسَنَاتُ الأبْرَارِ سَيِّئَاتُ المُقَرَّبِينَ.

## الباب التاسع

# دروس التصوف

### زينة وجمال الشريعة المحمدية:

كانَ سيدُ الأوَّلِينَ والآخِرينَ، محمَّدٌ المُصْطَفَى أحْمَدُ المُجْتَبى ﷺ خَاتَمَ النبيِّين لا نبيَّ بَعْدَه. والأمّة المحمَّدية - على نبيِّها الصَّلاة والسَّلام - آخِرُ أمَّةٍ، ودِينُ الإسْلَامِ آخِرُ دِينٍ في الدُّنْيا. أُنْزِلَتْ أحْكَامُ الشَّريعةِ المحمَّديَّةِ - على صَاحِبِها الصَّلاة والسَّلام - لِيُعْمَلَ بِها إلى يَوْمِ القِيامةِ، فَذَكَرَ أهميَّةَ بَعْضِ الأحْكَام وعيَّن وسَائِلَها.

وبَعْضُ الأحْكَامِ ذَكَرَ أهميَّتَها ولَمْ يحدِّدْ وسَائِلَها وذَرائِعَها. والحِكْمَةُ في تَرْكِ تَحْدِيدِ الذَّرائع والوسَائِلِ أنْ يَبْقَى هذا الدِّينُ حيًّا يُمْكِنُ العَمَلُ به إلى يوم القِيامةِ، وأنْ لا يقالَ: إنَّ هذا الدِّينَ جَامِدٌ غَيْرُ صَالِحٍ لِمُقْتَضَياتِ الأوْضَاعِ المتبدِّلة، وأنْ لا يُقَيِّدَ في حُدُودِ المَسَاجِدِ والمَعَابِدِ كالمسيحيَّةِ الغَيْرِ المُمْكِنِ العملُ بها، فتعيينُ المَقَاصِدِ والتَّوسيعُ في تَخْيير الوسَائِلِ يدلّ على جَمَالِ الشَّريعةِ المحمديَّةِ.

### ذِكْرُ بَعْضِ الأمْثِلةِ:

**المِثَالُ الأول:** قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

أَمَرَ في هذه الآيةِ بإعْدَادِ ما يُسْتَطَاعُ مِنْ قوّةٍ وأشير بذِكْرِ رِبَاطِ الخَيْلِ أنَّ المُرادَ به آلات الجِهَادِ، ولم يُعيِّن تَفْصِيلاتٍ أُخَرَ، بلْ قد صَرَّح

بالمَقصُودِ بأن تجْمَعُوا مِنَ القوَّةِ ما يرهبُ بِها عدوّ اللّه وعدوّكم - يؤيدُ العَقلَ السّليم أنّ العَدُوّ لا يُرهَبُ اليوم باقتناء الخَيْل وبجَمْعِ السّيوفِ والسّنان والرّماح، بلْ لا بدّ من إعْدادِ الطّائرات والبَواخِرِ والصّواريخِ والقنابلِ الذريةِ، فثبُتَ أنّ الشّرعَ عَيّنَ المَقصُودِ ههنا، وأرْخى العِنَان لاختيار الوسَائلِ والذرائعِ حسب متطلبات وقت الحَاجةِ.

**المثال الثاني**: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فَحِفظُ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَإِشَاعتُهُ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ وهَامّةٌ، ولَكِنْ لَمْ يبيّن لنا رسولُ اللّه ﷺ أنِ اختَاروا طريقَ كذا وكذا حتى وقَعتْ حَرْبُ يَمامة في عَهْدِ الصّدّيق رضي اللّه تعالى عنه واستُشهِد أربعمائة عَدَدٌ كبيرٌ مِنَ الصّحابةِ من حُفّاظِ القُرآن الكَرِيم، فبدَا لعمرَ رضي اللّه عنه أن يكونَ القُرآنُ الكريمُ مَحْفوظاً في الصحَائفِ كما هو مَحْفُوظٌ في الصّدُورِ، فقدّم أمَامَ خليفةِ رسولِ اللّه ﷺ اقتراحُ إعدادِ نسخةٍ رسميةٍ للقرآن الكريم، فتأمّلَ الصّديق رضي اللّه عنه في بِداية الأمْرِ في قَبُولِ هذا الاقتراح، وقال: كَيفَ نَفعَلُ شيئاً لم يَفعَلْه رسولُ اللّه ﷺ؟ فَلَمْ يزلْ عمرُ يراجِعُه حتى شَرَحَ اللّه صَدرَ أبي بَكْرٍ لذلك، فأقَامَ لجنةً تحت إشرافِ زيدِ بنِ ثابتٍ الأنصاريّ رضي اللّه عنه، فجَمَعَ آياتِ القُرآنِ الكَريمِ التي كانَتْ مكتوبةً على الأحْجَارِ والجُلُودِ والثّيابِ وأوراقِ الأشْجارِ.

قال ابن كَثيرٍ: قال زَيدٌ: قال أبو بَكْرٍ: إنّكَ رَجُلٌ شابٌ عاقِلٌ، لا نتّهِمُكَ وقد كُنْتَ تكتبُ الوحيَ لرسولِ اللّه ﷺ فتتبّع القرآنَ فاجْمَعْه إلى أنْ قال... فتتبعتُ القرآنَ أجْمَعُه من العسبِ واللّخافِ وصُدورِ الرّجَالِ.

[فضائل القرآن مع تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٩٣١]

فتمّ أمرُ جَمْعِ القُرآنِ الكَريمِ في عَهْدِ أبي بَكْرٍ الصّديق رضي اللّه

عنه، وتقدّم عثمانُ رضي الله عنه خطوةً فاعدّ أربعَ صُوَرٍ لذلك المصْحَفِ وأرسَلَها إلى بلادٍ مختلفةٍ. يوجَدُ منها مخطوطةٌ في تاشقند، وأخرَى في مَتْحَفِ إستانبُول إلى اليوم، وأيضاً لم يكن برسم في المصحف الضمة والفتحة والكسرة والتشديد وأمثالها في عهد الصحابة، وكانتْ لا تُكْتَبُ الإعجَامُ على الياء والتاء وهي اليوم لازمة. فعلم أنه عُيِّنَ هدف حِفْظِ القُرآنِ ونَشْرِه وأبيح رعايةُ متطلبات العَصْرِ لاختيارِ الوسَائلِ والذرائعِ، وفوّض هذا الأمرُ إلى رأيِ العُلماءِ مِنْ هذه الأمّةِ.

**المثال الثالث**: قال النبيُّ ﷺ: «طَلَبُ العِلْمِ فريضةٌ على كلِّ مُسْلِمٍ».

[شرح السّنة ج ١ ص ٢٩٠]

ذُكِرَ في الحَديثِ الشّريفِ ضَرُورةُ تَحْصِيلِ العِلْم الدِينيّ، ولكنْ كَيْفَ يَحْصُلُ ولمْ يُذكَرْ لها تَفْصِيلاتٌ. دوّن العُلَماء المحدثون فنّ أسماء الرِّجال وجَمَعُوا مُتونَ الأحاديثِ بأسانيدِها. ما كَانَ للصَّحابةِ عِلْمٌ بأسماءِ الصِّحَاحِ السّتة لأنه لم يكنْ لها وجُودٌ في ذلك الوقْتِ ولا يمكنُ اليومَ تعلّمُ الأحاديثِ بدونِها. رتَّبَ العُلَماءُ اليوم مَنْهَجاً خاصًا (وهو المُسَمّى في دِيارِنا بالدّرسِ النّظَاميّ) لتحصيلِ العلمِ مُراعاةً للأوضَاعِ اليوميّةِ، فلا بدّ لكلِّ مَنْ يريدُ تعلّم القرآنِ والحديثِ مِنْ أخذِ فُنُونِ الصَّرفِ والنّحوِ، فتبيَّن أنّه قدْ أخبرَ بأهميّةِ تَحْصِيلِ العِلْمِ، ولَكِنْ وُضِعَ عبءُ اختيارِ الوسائلِ والذّرائعِ على أكْتافِ عُلَماءِ الأمّةِ، والحَمْدُ لله، إنّ علماءَ هذه الأمةِ أدّوا هذه الفَريضَةَ حقّ أدائها.

**جئت إلى المقصود**:

تبيّن مِنْ هذه الأمْثِلةِ كالنّهارِ المُضيءِ أنّ الشّريعةَ المطهّرة بيّنت أهميّةَ بعْضِ الأحْكَامِ بدونِ تعيينِ أسْبابِها ووسَائلِها، وهو دليلُ كَمالِ

الشَّريعةِ المُصْطَفوية. ونَنظرُ الآنَ إلى طريقةِ الذِّكْرِ والسّلوكِ من هذا الجانب. قال رسولُ اللّه ﷺ: «إنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كلّه، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كلّه ألا وَهِيَ القَلْبُ».

[صحيح مسلم ج ٣ ص ١٢٢٠ طبع بيروت]

فعُلِمَ أن مَبْنى صَلاحِ الإنسانِ على صَلاحِ قَلْبِهِ، ولهذا لا ينظرُ اللّه إلى صُورةِ الإنسانِ وشَكْلِهِ، ولا إلى مَالِهِ وثَرْوَتِهِ، بَلْ إلى قَلْبِهِ وأَعْمالِهِ. قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ اللّه لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وأَمْوالِكُمْ ولَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وأَعْمالِكُمْ».

[شرح السُّنة ج ١٤ ص ٣٤١]

ويَنْشَأُ ههنا سُؤالٌ أنّه كَيْفَ يُمْكِنُ تحصيلُ صَفاءِ القَلْبِ وسَلامتِهِ؟ فبيّن طَرِيقَه النبيُّ ﷺ. عن ابنِ عُمَرَ رضي اللّه عنهما عَنِ النبيِّ ﷺ: «إنَّ لكلِّ شيءٍ صَقالةً وإنَّ صَقالةَ القُلوبِ ذِكْرُ اللّه».

[رواه البيهقي؛ الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣٩٦]

فتبيّن مِنْ هذه الأحاديثِ أنه يَجِبُ على كل شَخْصٍ تَحْصِيلُ قَلْبٍ سليم، فكأنه حدَّد المقصودَ وأرْشَدَ إلى الوسائلِ وبأنها تَحْصلُ بذِكْرِ اللّه فقط. ولم يَذْكُرْ لها تَفْصيلاتٍ. إنَّ أي ذِكْرٍ ينفعُ للخَلاصِ مِنَ الأمْراضِ القَلبيّةِ مِنَ الكِبْرِ والحِرْصِ والبُخْلِ والعُجْبِ والحَسَدِ فذكر بالإجمال أنَّ ذِكْرَ اللّه شِفاءُ القُلوبِ ووُضِعَ عِبْء التَّفصيلاتِ على كَواهِلِ أهْلِ الذِّكْرِ مِنَ الأمةِ حتى يعَلِّمُوا الذِّكر مراعين لطبائع الطّالبين ومُقْتضياتِ كيفياتِهِم، فالمشايخُ العظامُ يَصِفُون لواحدٍ صِفَةَ ذِكْرِ اللّه تعالى نظراً لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] ويُلَقِّنُونَ لآخرَ بإكْثارِ كَلِمَةِ التَّوحيدِ نظراً لقوله ﷺ: «أفْضَلُ الذِّكْرِ لا إله إلّا اللّه» ويعلِّمُونَ شَخصاً الذِّكْرَ القلبيَّ، أعْني المراقبةَ لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ ويَصِفُونَ لآخَرَ الذِّكْرَ اللّسانيَّ لقوله تعالى: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] فثَبَتَ

أن أعمَالَ أهْلِ الذِّكْرِ وأشْغَالَهُمْ أي دروس التصوّفِ كَمَنَاهِجِ الدَّرسِ النِّظاميّ ذريعةٌ ووسيلةٌ لنيْلِ المَقاصِدِ. وفيمَا يَلِي تأييدُ ما قُلْنا بذِكْرِ بعضِ نُصُوصِ السَّلفِ الصالحين رحمهم اللّٰه تعالى.

## نصوصٌ من كَلامِ السَّلفِ الصالحين:

قال الشَّيْخُ مَوْلانا رشيد أحمد الجنجوهي رحمه اللّٰه تعالى في مَكْتُوبٍ له إلى سَالِكٍ: المَقْصُودُ من جَمِيعِ الأشْغَالِ والمَطْلُوبُ من جَمِيعِ المُراقَبَاتِ ومُنْتَهَاها، هو حُضُورُ القَلْبِ بلا كَيْفٍ الذي يسّره اللّٰه سبحانه وتعالى لك. كانَتْ نِسْبَةُ الصَّحَابَةِ رضي اللّٰه عنهم هي هذه الحُضُور.

[مكاتيب رشيدية ص ٤٥]

وقال الشَّيْخُ الشاه إسماعيلُ الشَّهيد رحِمَه اللّٰه تعالى في كِتَابِهِ إيضاحُ الحقّ الصَّريحِ: أشْغَالُ الصُّوفيّةِ نافِعَةٌ كالدَّواءِ والعِلاَجِ فيستفيدُ بها وقتَ الحَاجَةِ ثم يشتغلُ في أعْمالِهِ.

[إيضاح الحق الصريح ص ٧٨]

قال الإمامُ الربانيُّ مجدّد الألف الثاني رحِمه اللّٰه تعالى في مَكْتُوباتِهِ: ليْسَ الهَدَفُ من قَطْعِ مَنازِلِ الطَّريقةِ والحقيقةِ سِوَى نيْلِ الإخْلَاصِ، وبالإخْلَاصِ يحصُلُ مَقَامُ الرِّضا. يظنّ القاصِرُونَ الأحْوالَ والمَواجِيدَ مَقْصُوداً والمُشَاهداتِ والتجليّاتِ مَطْلوباً، وهؤلاء مَحرومُونَ مِنْ كَمَالاتِ الشَّريعةِ. لا شكّ أنّ حُصُولَ مَقَامِ الإخْلاصِ والوصُولَ إلى مَقَامِ الرِّضا يكونُ بعد قَطْعِ هذه الأحْوالِ والمَوَاجِيدِ، فمرتبتُها كمُسَاعِدِ المقْصُودِ الحقيقيّ.

[المكتوبات ج ١ مكتوب ثالث وسادس]

فتبيّنتْ هذهِ الحَقِيقةُ أنّ أعْمَالَ وأشْغَالَ المَشايخِ وسيلةٌ وذريعةٌ لنيلِ صَفَاءِ القَلْبِ، ولذلكَ يعدلُها المَشَايخُ نَظراً لمقْتَضيَاتِ الوقْتِ والزّمنِ.

وقال الشاهُ إسماعيلُ الشَّهيدُ رحِمَه اللّٰه تعالى: تختلِفُ أشغالُ كل قرنٍ ووقتٍ، ولهذا لا يزالُ محققو كلِّ طريقٍ يحاولون لتجديدِ الأشغالِ.

[صراط مستقيم ص ٧]

فلا يستطيعُ أحدٌ أن يدَّعيَ أنَّه لا يمكنُ نيلُ صَفاء القلْبِ بدونِ هذه الأورَادِ. وقالَ الشَّاهُ وليُّ اللّٰه المحدِّث الدَّهلوي رَحِمَه اللّٰه تعالى: يغلِبُ على ظنِّي أنَّ الصَّحابةَ رضي اللّٰه عنهم كانُوا ينالُونَ النسبةَ بطرقٍ أُخرَى أيضاً، كالمُواظبةِ على الصَّلاةِ والتَّسبيحَاتِ بشُرُوطِها والمُداومَةِ على الطَّهارةِ وذِكْرِ المَوتِ واستحضَارِ الثَّوابِ والعَذابِ، إذْ يحصُلُ بهذهِ الأمورِ الانْقِطاعُ عنِ اللذَّات الماديَّةِ.

[القول الجميل]

أقولُ: وإنْ حَصَلَ لأحدٍ صَفاء القَلْبِ وكَيْفيةُ: «كأنَّكَ تَراهُ» بطريقٍ آخَرَ سِوَى الأعْمَالِ والأشْغَالِ المَعْروفةِ، فقد حَصَلَ المَقْصُودُ. هؤلاء مستحقُّونَ للتَّبريكِ والتَّهنئةِ وإن لم تُوجَدْ هذه الكيفيَّةُ القلبيَّةُ والاستحْضَارُ، ويصرفُه الوسَاوسُ الدنيويةُ إليها في الصَّلاةِ، ولا تنتهِي بالطَّرْدِ، وترتفعُ الأبْصارُ تِلْقَائياً إلى غيرِ المُحْرمِ وهو يَمْشِي في الطَّرِيقِ وتَهْجُمُ على القلْبِ الوسَاوسُ الشيطانيةُ الشهوانيَّةُ، وينشأُ في النَّفْسِ السّرورُ بمدْحِ النَّاسِ ويدلي ببيانٍ كَذِبٍ لإخْفاءِ مَعَاصِيه وسَتْرِ ذُنُوبِهِ مِنَ النَّاسِ؛ فهذه كلُّها آهاتٌ بيِّناتٌ للأمْراضِ الباطنَةِ المُهْلِكَةِ، فيجبُ عليْهِ عِلاجُ هذه الأمْراضِ القلبيةِ تحتَ رِعايةِ المَشَايخِ العِظَامِ، ولا مَفَرَّ منه وينْبَغي أن يَعْلَمَ أنَّ القَلْبَ السَّليمَ هو سَبَبُ النَّجاةِ يَوْمَ الحشْرِ. قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

اعلمْ أنَّ المَقْصُودَ من دُرُوسِ التَّصوّفِ نَيْل القَلْبِ السَّليمِ والقَلْبِ المُنيبِ، حتى تكونَ حالَةُ السَّالكِ الظَّاهريَّةُ والباطنيَّةُ وسيرَته وأخْلاقه، أي استخدامُ الأعْضاءِ والجَوَارحِ مُطَابِقاً تماماً بـ: (تخلَّقوا بأخْلاقِ اللّٰه).

قال الإمام الغزالي في كتابه المُنقِذُ من الضلال: (علِمتُ يقيناً أنَّ الصوفيَّةَ هُمُ السالِكُونَ لطريقِ اللَّه تعالى خاصَّةً، وأنَّ سيرتَهُم أحسَنُ السّيرِ، وطريقَهُم أصْوبُ الطُّرُقِ، وأخلاقَهُمْ أزْكَى الأخلاقِ، بلْ لو جُمِعَ عَقلُ العُقلاءِ وحِكْمَةُ الحُكَماءِ وعِلْمُ الواقفينَ على أسْرارِ الشَّرعِ من العُلَماءِ ليغيِّروا شيْئاً مِنْ سيَرِهِمْ وأخلاقِهِمْ، ويبدِّلوهُ بما هو خَيْرٌ مِنه، لَم يَجِدُوا إليه سَبيلاً، فإنَّ جَميعَ حركَاتِهِمْ وسَكَنَاتِهِمْ في ظَاهِرِهِمْ وباطِنِهِمْ مقتبسةٌ مِنْ نُورِ مِشْكَاةِ النُّبوَّةِ وليس وراء نورِ النبوَّةِ على وجْهِ الأرْضِ نُورٌ يُسْتَضاءُ بِهِ).

[المنقذ من الضلال ص ٤٩ ـ ٥٠]

## دَلائلُ الأحْزابِ والوظَائف:

رتَّبَ مشايخُ الطَّريقةِ الأورَادَ والوظَائفَ في ضَوْءِ القُرآنِ والحَديثِ هيَ لِلْمُبْتدِئ كدَواءٍ، وللمُنْتهي كَغِذاءٍ، لو دَاوَمَ الإنسانُ عليها عدَّةَ أيَّامٍ تحت رِعَايةِ شَيْخٍ كَامِلٍ يجدُ في حَيَاتِهِ انْقلاباً إسْلاميًا وثَوْرَةً إيمَانيَّةً وقُرآنيَّةً. وتدخُلُ المحبَّةُ الإلهيَّةُ في عُضْوٍ عُضْوٍ، ويتغيَّرُ رؤيةُ عَيْنٍ ونُطْقُ لسانٍ ومَشْي قَدَمٍ، ويشْعُرُ السَّالكُ كأنَّما كان عَلَيْهِ غِلافُ نِفَاقٍ وقد زَال، وبَرَزَ من الدَّاخِلِ إنسانٌ صَادِقٌ وخَالِصٌ. كمَا أنَّ النُّبوَّةَ كانَتْ كامِنَةً في النبيِّ ﷺ، قال عليه الصلاة والسلام: «كُنْتُ نبيًا وآدمُ بيْنَ الرُّوحِ والجَسَدِ».

[الجامع الصغير ج ٢ ص ٢٩٦]

ورَوَى البيهقيُّ: إني عبدُ اللَّه وخاتَمُ النبيِّينَ وأبي مُنْجَدِلٌ في طِينَتِهِ.

[دلائل النبوة ج ١ ص ٣٨٩]

ولَكِن احْتِيجَ لإظْهارِهِ في العَالَمِ الظَّاهِرِ إلى الخَلْوَةِ والذِّكْرِ. (وحَيَاةُ

غارٍ جزاء دليلٌ واضحٌ على ذلك). كذلك الولاية تكون كامنةً في الوليّ ولكنْ تحتاجُ للظُّهورِ إلى التَّقوى والطَّهارةِ والمُواظبةِ على الأوْرادِ. وقد كَشفَ عن هذا السرّ الإمامُ الربّانيُّ مُجدّد الألفِ الثاني بقوله: (كلُّ إنسانٍ وليٌّ بالقوّةِ والحاجةِ إلى الأعْمالِ ليكونَ وليًا بالفِعْلِ، فكأنَّ كلَّ إنسانٍ وُضِعَ فيه استِعْدادٌ لو استَخْدَمَه لأصْبَحَ وليًا).

أنْشَدَ الشّاهُ بيك خليفةُ الشّاهِ أبي المعَالي أبياتاً ومعْناها: (ليْسَ أحدٌ جَائِعاً سَاغِباً بلْ في حقيبةِ كلِّ إنسانٍ جَواهِرُ ولآلٍ ولا يعرفونَ فتح عقده، فيمشونَ مُفْلِسينَ فُقَراء). كالبِذْرِ يكونُ فيه استعدادٌ أنْ يكونَ شَجَراً وإنْ تيسّر لذلك البِذْرِ التربّي تحْتَ رِعَايةِ بُسْتَانيٍّ في أرْضٍ خَصْبةٍ يصيرُ شَجَرةً مثمرةً، كذلكَ السّالِكُ لو اشتَغَلَ بالأخْلاقِ الحَسَنةِ لأورادٍ تحْت ظلِّ شيخٍ كاملٍ أياماً، تَتفتّحُ زُهورُ الأخْلاقِ الحَسَنةِ في شَخْصيّتِهِ وتَصيرُ شَجَرةُ رَجَائِهِ مثمرةً. وهذه الوصْفَةُ جرّبها ملايينُ الناسِ في الدّنيا واسْتَفادوا بها. كَمَا أنَّ صَيْدليًا يقول: إنْ تأكُلُوا السّكر تَجِدُوه حُلْواً، كذلك الشَّيْخُ الكَامِلُ عندما يلقّنُ بالأوْرادِ يكونُ على ثِقةٍ مِنْ أنّه يستفيدُ السّالِكُ يقيناً، ويكونُ تَحْتَ قَدَمِهِ صَخْرٌ. نَعَمْ لو وَقَعَ شَخْصٌ في يدِ شيخٍ نَاقِصٍ، أو يَكُونُ الشّيْخُ كَامِلاً، ولَكِنْ لا يُوَاظِبُ السّالكُ على الأوْرادِ، فهو خَارِجٌ عن المَبْحَثِ، وهو مِثْلُ مَريضٍ يأخُذُ الوصْفَةَ من طبيبٍ ذائعِ الصّيتِ، ويمْشي والوصْفَةُ في جَيْبِهِ ولا يتناوَلُها ويقولُ بعد أيامٍ للطّبيبِ: لم أفِقْ، فيسألُ الطّبيبُ هَلْ تناولتَ الدّواءَ؟ فيجيبُ المريضُ: نَعَمْ وضَعْتُها في جَيْبي. فيقولُ الطّبيبُ: يا شقيّ! لو وضَعْتَه في بَطْنِكَ لكَانَ مُفيداً.

ومِنْ جَمَالِ هذه الأوراد أنّها سَهْلةٌ في العَمَلِ ويَحْصُلُ بها التّزكيةُ والإحْسانُ، ثم تيسّر العملُ بالشّرع كلّه، وهذا القولُ ثابتٌ كثُبُوتِ أنّ مَجْمُوعَ (الاثنينِ والاثنينِ أرْبعةٌ). فمَنْ لم يوقِنْ فليجربْ يعرفْ حقيقةَ الحَالِ.

وإليكَ تفصيلُ هذه الأوْرَادِ والأعْمَالِ.

١ ـ **الذِّكرُ**: ويُسَمّى (الوقُوفَ القَلْبيّ) ذِكْرُ اللّه دواءُ القُلُوب وشِفَاءٌ مِنَ الأمْراضِ البَاطِنَةِ. قال الإمَامُ ابنُ تيميّةَ رَحِمَهُ اللّه تعالى:

ذِكرُ اللّه للقَلْبِ كالمَاءِ للسَّمَكِ يجدُ به السّالكُ بِشارةَ. ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] و: «فإنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُه في نَفْسي»، وسَعَادةُ «أنا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَني». عدَّ الحَافِظ ابن القيّم رحمه اللّه تعالى في (الوابِلِ الصيّبِ) للذِّكْر مائةَ فائدةٍ.

الذِّكرُ نَوْعانِ: لِسَانِي وقَلْبِي. قال شَاعِرٌ:

لِسَاني وقَلْبي يَفْرحانِ بذِكْرِها ... وما المَرْءُ إلا قَلْبُه ولِسَانُه

ثَبَتَ بالأحَاديثِ النّبويّةِ أنّ الذِّكرَ القلبيَّ يَفْضُلُ على الذِّكْرِ اللسانيّ سبعينَ مرةً. وفَضْلُ الذِّكرِ القلبيِّ على الذِّكرِ اللسانيِّ عقلاً بوجوه آتية:

يُمْكِنُ الذِّكرِ القلبيّ كلَّ وقتٍ، ولا يمكنُ الذِّكرُ اللسانيُّ كلَّ وقتٍ، فالسّالكُ عندما يأكلُ الطّعامَ، أو يُلْقي مُحَاضرةً، أو يَجْلِسُ على المَتْجَرِ يعقدُ مع الزّبونِ لا يَسْتَطيعُ أنْ يَعْمَلَ بِلِسَانِهِ في وقْتٍ واحِدٍ عَمَلَيْنِ؛ فهُوَ إمّا أنْ يتكلّمَ، وإمّا أنْ يَذْكُرَ اللّه تعالى، إذْ يمكنُ في وقْتٍ واحِدٍ عَمَلٍ واحِدٍ، بينما يمكنُ الذِّكرُ القلبيّ كل ساعةٍ وآنٍ مُسْتلقِياً وجَالِساً قائماً وماشِياً.

يَتَحرّكُ اللّسَانُ عِنْدَ الذِّكرِ اللّسانيّ، وتهتزّ الشّفةُ فيخافُ على الذّاكرِ الرّياء. بينما الذِّكرُ القلبيُّ يعلمُه إما الذّاكر وإما المَذْكُور، والذِّكر القلبيُّ لا يسمعُه المَلائكةُ بل يَجِدونَ رِيحاً طيّبة، وتتبيّن الحَقِيقةُ يومَ القِيامَةِ أنّ ذلكَ الطّيبَ طِيبُ ذِكْرِ اللّه تعالى.

شِعْرٌ:

يكونُ بَيْنَ العَاشِقِ والمَعْشُوقِ سِرٌّ ... كِرامٌ كَاتِبُونَ لَيسَ لَهُم به خَبَرٌ

ولهذا يسمّى الذكرُ القلبيّ ذكراً خفيًا.

إنّ مَحَلّ الذّكرِ في الجِسْمِ الإنْسَانيّ هو القَلْبُ، وأما اللِّسَانُ فهو آلة الإظهارِ فقط لم تَقُلْ أمٌّ لولدِها قطُّ: (يا بنيّ إنّ لِسَاني يذكُرك كثيرا)، بل تقولُ دائماً: (إنّ قَلْبي يذكُرك كثيرا) فعلمَ أنّ مَحَلّ الذّكرِ هو القَلْبُ؛ فتبيّن بالدّلائلِ العقليّةِ أنّ الذّكر القلبيّ أفضَلُ من الذّكرِ اللّسَاني، قالَ شاعِرٌ ما مَعْناه:

كُنْ خَبيراً بالبَاطِنِ وأجْنبيًا عَنِ الظّاهِرِ
هـذا أحْـسَـنُ طَـريـقٍ وفـي الـدّنـيـا نَـادِرُ

المَشَايخُ يسمّونَ هذا الذّكرَ القلبيّ بالوقُوفِ القلبيّ. أمر به غير مرة في القرآنِ والحديثِ.

## أدلّةٌ مِنَ القرآنِ المجيد:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤١] ﴿ٱذۡكُرُواْ﴾ صيغةُ أمر للجَمَاعةِ. فأُمِرَ المؤمنونَ بالذّكرِ الكَثيرِ، ويَعَدَ ذلك وُعِدَ الذّاكِرونَ كثيراً بالمَغْفِرَةِ والجنّة، قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وينشأُ ههنا سُؤالٌ وهو: ما مَعْنَى الذّكرِ الكَثيرِ؟ هل يَذْكُرونَ قليلاً بعد كلّ صَلاةٍ، أو يَذْكُرونَ صَباحاً ومَسَاءً أو يَذْكُرونَ حتى يَتعَبُوا، فمَاذا يَفْعَلُونَ؟ قالَ مُجاهدٌ تحت هذه الآية: الذّكرُ الكثيرُ أنْ لا يَنْساه بِحالٍ، ما مَعْنَى أن لا يَنْسَاهُ بِحالٍ؟

الإنسانُ له أحْوالٌ ثَلاثةٌ: إمّا أنْ يكونَ قائِماً أو قَاعِداً أو مُضْطَجِعاً. والمُرادُ بالذّكرِ كلّ وقتٍ أن يَذْكُرَ الله تعالى قائِماً وقَاعِداً ومضطَجِعاً، وهذه عَلامةُ أُولِي الألبابِ قال تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٩١].

ويؤيده ما رَوَى السُيُوطِي عنه قال: لا يُكْتَبُ الرَّجُلُ مِنَ الذَّاكِرِين اللّه كَثِيراً حتَّى يَذْكُرَ اللّه قَائِماً وقَاعِداً ومُضْطَجِعاً.

[الدر المنثور ج ٦ ص ٦٠٩]

قال الصَّاوي تحت هذه الآية: واعْلَمْ أنَّ اللّه تعالى لم يَفْرِضْ فَرِيضةً على عِبادِه إلّا جَعَل لها حدًّا مَعْلُوماً، وعَذَر أهْلَها في حَالِ العُذر غَيْر الذِّكْرِ فلم يَجْعَلْ له حدًّا مَعْلُوماً ولم يعذُرْ أحداً في تَرْكِه إلّا مَنْ كَانَ مَغْلُوباً على عَقْلِه، ولذا أمَرَهُم في جَمِيع الأحْوالِ قال اللّه تعالى: ﴿ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١] فَفِيه إشارةٌ إلى أنَّ الذِّكرَ أمْرُه عَظِيمٌ وفَضْلُه جَسِيمٌ.

قال عَبْد اللّه بن عبَّاسٍ رضي اللّه عنهما: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ أي باللَّيْلِ والنَّهارِ في البَرّ والبَحْرِ، والسَّفَرِ والحضَرِ والغِنَى والفَقْرِ، والصِّحَّةِ والمَرَضِ، والسِّرّ والعَلَانِيَةِ. ومثل هذا الذِّكْر لَا يكونُ إلّا قلبيًا أو خفيًا يمكنُ في كلّ حَالٍ، فعُلِمَ أن الذِّكْرَ الكثيرَ المَأْمُورَ به في القُرآنِ هو الذِّكرُ القلبيُّ، والذِّكر الخفيُّ المَوْسُوم في اصْطِلَاحِ الصُّوفيّةِ بالوقُوفِ القلبيِّ، وأمَر به في القُرآن المَجِيدِ قال تعالى: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [آل عمران: ٤١].

فَثَبَتَ أنَّ الوقُوفَ القَلْبِيَّ شَيءٌ أُمِر به في القُرآن، فالسَّعيدُ من يَقْضِي أوقَاته لتعلمه تحت إشرافِ المَشَايخِ.

## أدِلَّةٌ مِنَ الأحَادِيث:

عَنْ أبي سعيدٍ رضي اللّه عنه سُئِلَ رسولُ اللّه ﷺ أيُّ العِبَادِ أفْضلُ دَرَجةً عنْدَ اللّه يَومَ القِيَامَةِ؟ قال: «الذَّاكِرُونَ اللّه كَثيراً». قُلْتُ: يا رَسُولَ اللّه! ومَنِ الغَازِي في سَبِيلِ اللّه؟ قال: «لو ضَرَبَ بِسَيْفِهِ الكُفَّارَ والمُشْرِكِينَ حتى يَنْكَسِرَ ويَخْتَضِبَ دَماً لكَانَ الذَّاكِرُون أفْضَلَ مِنْه دَرَجَةً».

[رواه الترمذي؛ الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣٩٦]

ما أبينَ هذا الحديثَ في فضلِ الذَّاكرينَ كثيراً. تعالَوا نلتمِسِ الآنَ دليلَه مِنَ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ. عَنْ عائشةَ رضي اللَّه عنها قالتْ: (كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يذكرُ اللَّهَ على كلِّ أحيانِهِ).

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي؛ جامع الأصول ج ٤ ص ٤٧٨]

فكلمةُ (كلِّ أحيانِهِ) تَشهدُ أنَّ المرادَ الذِّكرُ الخفيُّ والذِّكرُ القلبيُّ، فكانَتْ عادتُه المُباركةُ وسنَّته البيضاء الاشتِغالَ بِذِكرِ اللَّه تعالى كلَّ وقتٍ، والمَشايخُ الكِرامُ يمرِّنونَ سالِكي الطَّريقةِ بالوقوفِ القلبيِّ لاتِّباعِهِ حتى يُصبِحَ حالُ السَّالِكِ مُطابِقاً لِمَا قِيلَ:

دست بكار دل بيار

ومعناه:

اليَدُ بالعَمَلِ والقَلْبُ في الحَبيبِ

الوقوفُ القلبيُّ أن يَلتفِتَ الإنسانُ نَفْسَه إلى قلبِهِ ويلتفِتَ قلبُه إلى اللَّه تعالى، ويفكِّرَ في نَفْسِهِ مُضطَجِعاً وجَالِساً، ماشياً وراكِباً. إنَّ قَلْبَه يقولُ:

اللّـــــه، اللّـــــه، اللّـــــه

وهذا هُوَ مَنشأُ الآياتِ والأحاديثِ المَذكُورَةِ، فثَبَتَ أنَّ تعليمَ الوقوفِ القلبيِّ مُطابِقٌ تماماً للقرآنِ والحديثِ.

## ٢ ـ الفِكرُ (المراقبة):

المُرَاقَبةُ: مُشتَقَّةٌ مِنَ الرَّقيبِ وهُوَ المنتظِرُ والشهيدُ والحارسُ. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. وهي في اصطِلاحِ التَّصوُّفِ الجُلُوسُ في حبِّ اللَّه تعالى، فالسَّالكُ يَجلِسُ مُراقِباً مُنعَزِلاً عن الدُّنيا راغِباً عنها مُتوضِّئاً مُستقبِلَ القِبلَةِ مُغمِضاً عينيهِ ناكِساً رأسَه، ويفكِّر قليلاً أنْ لا أرضَ ولا سَماءَ، ولا إنسانَ ولا حَيوانَ ولا شَيطانَ، ولا شيءَ،

ويفكّر أنه تأتيني رَحْمَةٌ مِنَ الله وتشغلُ قلبي فيزولُ بها ظلامُ قلبي وظلمته ويقولُ قلبي:

«الـــلّـــه، الـــلّـــه، الـــلّـــه»

لا يميلُ قلبُ السّالِكِ إلى الذِّكرِ في البِدَايةِ كلما ينكّسُ رأسه تهْجُمُ وسَاوسُ الدّنيا كما قيل: كُلّ إناءٍ يترشّحُ بما فيه. ما أبْيَنَ دَليلاً على ملءِ القَلْب بالدّنيا أنْ ينكّسَ الإنسانُ رأسَه لِذِكرِ الله فيُسيطِرُه وسَاوِسُ الدّنيا. وَيَنْبَغِي للسّالكِ ألّا يَحْزَنَ مِنه بَلْ يُفكّرَ. لا بدّ أنْ يُفكّرَ أنّه مُحْتَاجٌ إلى جُهْدٍ جَليلٍ، وما أخْزَانِي لو انْتَقَلَ بهذه الأفكارِ إلى الدّار الآخِرَةِ يَوْمَ تَظْهر مَكْنونَاتُ الصّدر. قال تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات: ١٠].

وقال: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩].

وتأتي مِنَ الله رَحْمَةٌ وتَدْخُلُ قَلْبَه عندما يَجْلِسُ السّالِكُ ويَظُنّ أنّ رحمةَ الله تَتوجّه إليه مُوافقاً لقولِهِ عليه الصّلاة والسّلام فيما يرويه عن ربّه: «أنا عند ظَنّ عبدي بي».

[رواه البخاري ومسلم والترمذي، جامع الأصول ج ٤ ص ٤٧٦]

فلو هَجَسَتْ في قلْبِهِ أفْكارُ الدّنيا جميع الوقْتِ، وذِكْرُ الله للمحوِ فَقَطْ لتهجُس أفكارُ الدّنيا في اليَومِ الثاني أقلّ منه، وفي اليومِ الثالث أقلّ مِن الثاني، حتّى يأتي زَمَنٌ كلما يَخْفِضُ رأسَه ذكر الله تعالى وتَخْرُجُ الدّنيا اللئيمةُ من قَلْبِهِ. قالَ شاعِرٌ ما معناه:

مَوْجُودةٌ في القَلْبِ صُورةُ الحَبِيبِ
كُلّما أخْفِضُ الرّقْبةَ قَليلاً أراها

يَغْلِبُ النُّعاسُ خِلالَ المُراقبةِ على بَعْضِ السّالِكينَ وهذه عَلامةُ اكْتِسابِ الفَيْضِ ودَوَامُ الرقيّ بدلالةِ قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾ فلا ضَرُورَةَ إلى الحُزنِ. السّالكُ كالدّجاجةِ تَجْلِسُ على البَيْضِ وتُسَخّنُها،

فالبَيْضُ الذي يُرى جَماداً في البِدايةِ يدْخُلُ فيه الرّوح حتى تخرجَ الأفراخُ تشقشق، كذلك السّالك يبدُو له قَلْبُه في البِدايةِ كالحَجَرِ، ولَكِنْ بالجُلُوسِ مُراقِباً والتّسْخين بأيّ وقت يَذْكُر قَلْبه:

«اللـــــه، اللـــــه، اللـــــه»

والظّاهر أنّ هذا العَمَلَ مُفِيدٌ بقَدْرِ ما يَبْدُو خَفِيفاً بالدّوامِ على المُراقَبةِ تُصْبِحُ حالَةُ السّالكِ وِفْقَ ما قِيلَ:

يَلْتمِسُ القَلْبُ مرّةً أُخرى أوقاتَ تلكَ الفُرصةِ

نَجْلِسُ طَوِيلاً ذاكِرينَ صُورةَ الحَبِيبِ العَشِيقِ

وطَرِيقَةُ الذِّكرِ هذه لَيْسَتْ طَرِيقَةَ العُشّاقِ، بَلْ هي دأْبُ المَحْبُوبِينَ. العُشّاقُ يَصْرخُونَ وَيَبْكُونَ. والمَحْبُوبُ يديمُ الذِّكْرَ في القَلْبِ، قال شَاعِرٌ ما معناه:

مَتى يَصْرُخُ مَنْ كانَ صادِقاً في العِشْقِ

على شِفاهِهِمْ خَتَمَ السّكُوتُ ويذكُرونَ بالقُلُوبِ

وفي القُرآنِ والحَديثِ دَلائِلُ واضِحَةٌ على هذا النوعِ مِنَ الذِّكْرِ.

## دَلائِلُ مِنَ القُرآنِ المَجيد:

قالَ اللّه تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. قالَ عُلَماءُ التّفْسيرِ: معنى ﴿فِى نَفْسِكَ﴾ أي في قَلْبِكَ.

[انظر كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للشيخ الإمام محمد بن أحمد بن جزي الكلبي المتوفى ٧٩٢ ـ ج ٢ ص ٦٠]

وَقَدْ أمَرَ فيها بالذِّكرِ إذْ قوله: ﴿ٱذْكُر﴾ صِيغَةُ أمْرٍ، فلو اتّخذَ المَشايخُ الذِّكْرَ والمُراقَبَةَ لهذهِ الآية، فهَلْ هذا امتِثالٌ بأمْرٍ أو هوَ بِدْعَةٌ؟ فعلى النّاقدِينَ على الذّاكِرينَ أنْ يُفكّرُوا بِجِدٍّ وتؤدَةٍ.

ومَعَ قَطْعِ النَّظرِ عن هذا فمعنى ﴿ فِى نَفْسِكَ ﴾ (في فِكْرِكَ) أو (في همِّكَ) أو (في تأمّلك) ولا يرادُ به بلسانِكَ. وهذه الآيةِ بُرهانٌ مبينٌ على النّاقِدينَ على المُراقبةِ. قال المُفتي محمّد شفيع رحمه الله تعالى في مَعارِفِ القُرآنِ: المرادُ بـ: تضرّعاً وخيفةً الذّكر القلبيّ ودونَ الجهرِ من القَولِ الذّكْرِ اللّسانيّ، فعُلِمَ بذلك ثبوتُ الذّكْرِ القلبيّ، كَما عُلِمَ تفوّقُ الذّكرِ القلبيِّ على الذّكرِ اللّسانيّ.

سَمِعْنا بَعْضَ النّاقِدينَ يقولُونَ: كَيفَ يَثْبتُ الذّكر القلبيّ مِنَ القُرآنِ الكَريمِ؟ فنقولُ: لا يَجِبُ ثُبوتُ كلّ شيءٍ مِنَ القُرآنِ الكَريمِ، وإلّا فلا حَاجَةَ إلى الحَديثِ الشّريفِ، ولَكانَ القُرآنُ كافياً، بلْ لا حاجَةَ إذاً إلى صَاحِبِ القُرآنِ محمّد ﷺ ولَكانَ نُزولُ جِبريلَ بالقرآنِ كافياً. الذين يَلْتَمِسُونَ كلَّ شَيْءٍ مِنَ القُرآنِ الكَريمِ ما نَدري ما ظَنّهم بالحَديثِ الشّريفِ، لعَلّهُمْ وجَدُوا عَدَدَ رَكَعاتِ الصّلَواتِ وتَفاصِيلَ أحْكامِ الزّكاةِ في القُرآنِ الكَريمِ، وبَقِيَ التِماسُ دَليلِ المُراقَبةِ فقطْ. وهذا نَقْصٌ. وتَعالَوا إلى الجَوابِ. قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾ [الكهف: ٢٨].

هذه الآيةُ دليلٌ واضحٌ على أنّه لا يجوزُ لنا أنْ نطيعَ من قَلْبُه غافِلٌ عن ذِكْرِ اللّه تعالى. ويفهم منه أنّ علينا إطاعةَ مَنْ في قَلْبِهِ ذِكْرُ اللّه، ولا يُمْكِنُ الإتيانُ بدَليلٍ أوْضحَ منه على الذّكر القلبيّ.

قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٨] في هذه الآية صيغتا أمرٍ.

١ ـ اذْكُرِ اسْمَ ربّكَ. النكتة المهمّة ههنا أنّه لم يَقُلْ: اذْكرْ ربّكَ، وكان يكْفِي ظاهراً ولكِنْ قالَ: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ إنّ الربَّ اسمُ صِفَةٍ، فالمَقْصُودُ ههنا الأمْرُ بذكرِ اسمِ الذّاتِ «الله» فذكْرُ اسم الله ذِكْرُ اسم الربِّ، فالثّابتُ أنّ القرآنَ الكريمَ أمَرَ بذِكْرِ اسْمِ اللّه تعالى.

٢ - وتبتّلْ إليه تبتيلاً. التّبتّلُ: هو اختيارُ الانْقطاعِ للمَحْبوبِ عمّا سِواهُ، فكأنّ اللّهَ تعالى يقولُ: انْقطِعُوا عَنِ الخَلْقِ وصِلُوا بالخالِقِ.

وهذا الانْقِطاعُ عن الخَلْقِ لا يَحْصَلُ جالِساً في البيتِ، لا بدَّ أنْ يعملَ له عَمَلَ ولَكِنْ ماذا يَعْمَلُ له؟ ذكَرَ المَشايخُ طَريقاً يَسيراً هي أنْ تخصّ وقتاً ما كُلَّ يوم وتجلسَ منحرفاً متوجّهاً إلى شيءٍ مُغمِضاً عينيك، تتذكّر حينئذٍ أنّي اليومَ أغمضُ عيني باختياري وسوفَ يأتي يومٌ تغمضُ هذه الأعْيُنُ للأبدِ، فتثبتُ في القَلْبِ اعْتِقادُ ضعفِ الدّنيا وشَوْقُ الانْقِطاعِ عَنِ الخَلْقِ والاتّصالِ باللّه سبحانه وتعالى، وإنْ شئتَ الْقِ على رأسِكَ ثَوباً وتذكّر أنّي ألقي اليومَ الثوبَ على رأسي باختياري، وسَوْفَ يأتي وقْتٌ أكفّنُ فيه فتزداد به كيفيّةُ التبتّل. يثبتُ هذا الدّرس بالجُلوسِ بهذه الهيئةِ سُدسَ السّاعةِ أو رُبعها أو نِصْفَها. قطراتُ الماءِ ناعمةٌ جداً ولَكِنْ لو تَواصَلَ تَقاطُر الماءِ على الحَجَرِ مُتواصِلاً يجعلُ فيه فُتْحةً، كذلك الإنْسانُ لو جَلَسَ هكذا كل يَومٍ يذكرُ:

«الـــلّـــه، الـــلّـــه»

لَسَوفَ يأتي وقتٌ يجْعَلُ ذِكْرَ اللّه تعالى في قَلبِهِ سَبيلاً. ومَجْمُوعُ هذه الكيفيّةِ يُسَمّى مراقبةً، وهو المَقْصُودُ من هذه الآيةِ، وسَمّوا هذا التّمرينَ بالتبتّلِ أو بالمُراقبةِ أو بالمُحاسبةِ، ولَكِنْ لا مَفرَّ مِنْ هذه الحقيقةِ أنّها مأمورٌ بها في القُرآنِ الكَريمِ، فثَبتَ أنّ المراقبةَ موافقةٌ لتوجيهاتٍ قُرآنيةٍ.

## دَلائِلُ مِنَ الأحاديثِ:

وَرَدَ في بِدايةِ صحيحِ البُخاريّ في بَابِ: كَيْفَ كان بَدْءُ الوَحْيِ أنّ النبيّ ﷺ يَخْلُو بغارِ حراءٍ أياماً عديدةً متواصلةً. ما كانَتْ في ذلك الوقتِ صَلاةٌ ولا قِراءةُ قرآنٍ ولا صَوْمٌ فماذا كانَ يَفْعَلُ؟ ذكَرَ المحدّثونَ أنّه كان

يَقْضِي وَقْتَه في ذِكْرِ اللَّه تعالى والتوجهِ إلى اللَّه تعالى والانْقِطَاعِ عَنِ الخَلْقِ وهي المُسَمَّاة بالمراقَبةِ. يحيي المَشايخُ هذه السُّنَّة. وإن اعْتَرَضَ أحدٌ أنه كان قَبْلَ إعْلَانِ النبوّةِ فسَوفَ يردّه ما أَمَرَه النبيُّ ﷺ بعد إعْلَانِ النبوّة. فَعَنْ أبي هُريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ فيما يَرْوِي عن ربِّه تبارك وتعالى: «اذكُرني بعدَ العَصْرِ وبَعْدَ الفَجْرِ أكْفِكَ فيما بَيْنَهُما».

[أخرجه أحمد، كذا في الدر]

بهذه المُناسبةِ يأمرُ المشايخ بهذه المُراقبةِ صباحاً ومساءً.

وفيما يَلي أجوبة عن أسئلةٍ تتواردُ حَوْلَ الذِّكر والمُراقبةِ.

**السؤال الأول:** كَلِمةُ الذِّكْرِ ورَدَتْ للقُرآنِ أيضاً، فكُلَّما أمر بالذِّكر ألا يحسنُ أنْ يرادَ بها تلاوةُ القرآنِ؟

**الجوابُ:** كَلِمةُ الذِّكرِ وإن استُعْمِلتْ للقرآنِ الكَريمِ، ولَكِنَّ الذِّكْرَ وتِلاوةَ القُرآنِ المجيدِ عبادَتَانِ برأسَيْهِما. رَوَى الطَّبرانيُّ في حديثٍ طويلٍ لأبي ذرّ: «أوصِيكَ بتَقْوى اللَّه فإنه رأسُ الأمْرِ كله وعليكَ بتلاوةِ القُرآنِ وذِكْرِ اللَّه فإنّه ذِكْرٌ لكَ في السَّماء ونُورٌ لكَ في الأرْضِ».

[الجامع الصغير عن الطبراني]

أمَرَ في هذا الحَديثِ بتلاوةِ القُرآنِ وذِكْرِ اللَّه تعالى فتبيَّنَ أنَّهما عِبادَتانِ برأسَيْهِما، فلا يُرادُ تلاوةُ القرآنِ عندما أمَرَ بذِكْرِ اللَّه تعالى.

**السؤال الثاني:** يأمُرُ المشايخُ بالأوْرَادِ صَباحاً ومساءً هل لَهُ أصْلٌ؟

**الجوابُ:** نعَمْ، قال اللَّه تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١]. في هذه الآية نصٌّ بالأمرِ بالتَّسبيحِ صباحاً ومساءً.

**السؤال الثالث:** هل تجوزُ المراقبةُ مُسْتَلقِياً؟

**الجوابُ**: نعَم، يُحاولُ أنْ يُراقِبَ جالساً متأدِّباً. وإن حدَثَ عُذْرٌ أو مَرَضٌ تجوزُ المُراقبةُ مُضطَجِعاً. قال اللّه تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١] كلمة ﴿ وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ تدلّ على جوازِ ذِكرِ اللّه تعالى مُستلقياً.

**السّؤال الرابعُ**: بعضُ النّاسِ يَقفِزُونَ خِلالَ المُراقبةِ هَلْ هذا جائِزٌ؟

**الجوابُ**: طَرَيانُ الجذْبِ ثابتٌ بالقُرآنِ والحَديثِ، ففي بَعْضِ الآياتِ: ﴿ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ [الإسراء: ١٠٧] وفي بعْضِها ﴿ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم: ٥٨] وكذلك يدلّ عليه ما جاء في الحديث: «فخرّ للّه ساجداً». قالت المشايخُ: يجبُ على السّالكِ ضَبْطُ كيفياتِه. وإن لمْ يستطِع الضبطَ فليَنهِ المُراقبةَ. هذا هو الأوْلى ولا يَحْسنُ المُلاعبةُ.

**السّؤال الخامسُ**: بماذا يَكونُ تقدّمُ السّالكِ أكثر، بالذكرِ أو بالفِكْرِ؟

**الجوابُ**: أولاً يكونُ التّقدّمُ بالذّكرِ حتى يَحْصُلَ فناءُ النّفسِ، ثم بالفِكْرِ، ثم يأتي مَقامٌ لا يتقدّمُ فيه السّالكُ لا بالذّكرِ ولا بالفِكْرِ، بل برحْمَتِه تعالى فقط.

**السّؤال السادسُ**: ما مَعْنى جَرَيانِ القلْبِ؟

**الجوابُ**: جَرَيانُ القلْبِ له معنى عند العامّةِ ومَعْنى عندَ الخَواصِّ.

فمعْناهُ عند العَوامّ شُعُورُ حَرَكةٍ ناعِمَةٍ سريعةٍ في القَلْبِ، ومعناه عند الخواصّ أن يجري القلْبُ على الجَوارحِ أي يسيطِرُ القَلْبُ على الأعْضاءِ والجَوارحِ، فيكونُ استعمالُها حَسَبَ الشّريعةِ والسُّنّة.

**السّؤال السابعُ**: قالَ الإمامُ ابن تيميّةَ في كِتابِهِ العبوديّة:

«ذِكْرُ اسْمِ الذّاتِ ـ اللّه، اللّه ـ بدونِ تَرْكيبٍ مع كَلِمةٍ أُخرى بدْعةٌ. لم يأمُرِ اللّه تعالى أحداً بذِكْرِ الاسْمِ مُفرداً، ولمْ يشرَعْ للمُسلمين اسْماً

مُفْرداً مجرّداً لا يُفِيدُ الاسْمَ المُفْرَدَ المجرّدَ للإيمانِ، والثّابتُ بالأحاديثِ النبويّةِ تعليمُ الجُمْلة المركّبةِ فقطْ مثل: سُبْحَانَ اللّه، الحَمْد للّه، اللّه أكْبَرُ ألَيْس بصحيحٍ؟).

**الجوابُ: أولاً:** «سُبْحانَ اللّه» لَيْسَتْ جُمْلَةً مركّبةً، بل هي مُضافٌ ومُضافٌ إليْهِ. قال البيضاويُّ تحت قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾ [البقرة: ٣٢] سُبْحَانَ: مَصْدرٌ لا يكادُ يُسْتَعْمَلُ إلا مضافاً منْصُوباً بإضمارِ فِعْلِه.

[تفسير البيضاوي]

بناءً عليه نَقُولُ: إن اسْمَ الذاتِ مُنادى حُذِفَ عنه حَرْفُ النّداء جوازاً كما حذف في هذه الآية: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩].

عرّف ابنُ الحَاجبِ المُنادى بقوله: هو المَطْلُوبُ إقبالُه بحَرْفٍ نائبٍ مَنابَ أدعُو.

[الكافية]

فـ «اللّه» أصْلُه: «أدعو اللّه» وهو كَلام تامّ.

**وثانياً:** قد يذكرُ المبتدأ في الجُمْلةِ ويحذفُ الخَبَرُ، فاسْمُ اللّه تعالى مبتدأ والخَبَرُ محذوفٌ كالخَالِقِ والرّازِقِ والقَادرِ، لَعَلَّ الإمامَ ابنَ تيميةَ أُشْكِلَ عليه خِلَالَ الكَلَامِ على مَوْضُوعٍ وإلّا فلَا مَسَاغَ للإشْكَالِ بعد هذه الدّلائلِ.

**وثالثاً:** يستدلُّ على ذِكْرِ اسمِ اللّه تعالى بلا ضمّ ضميمةٍ من عدّة آياتٍ مثل:

١ ـ ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥].

٢ ـ ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨].

أمَرَ في هذه الآياتِ بذِكْرِ اسْمِ الربِّ جلّ مَجْده، فإنْ سأل سائلٌ ما هو اسْمُ الربِّ؟ فيُقَالُ: هو «اللّه».

ذُكِرَ في كُتُبِ عِلْمِ الكَلامِ أنَّ («الله» علمٌ للذاتِ الواجبِ الوجُودِ المستجْمعِ لجميعِ صِفَاتِ الكَمَالِ المُنزهِ عن النَّقصِ والزَّوالِ) فقد ثَبَتَ بهذهِ الآياتِ جواز ذِكْرِ اسْمِ ذات الله جلَّ مَجْدُه، ويُقالُ له ذِكْرُ اسْمِ الذات يشتغلُ السّالكونَ في الطَّريقةِ في هذا الذِّكْرِ كلَّ آنٍ وكلَّ ساعةٍ قِياماً وقُعوداً وعلى جُنوبِهِمْ، وقد قِيلَ: يُمْكِنُ وَقْفُ الطَّبلِ وانْقِطَاعُ السِّلْكِ، ولكِنْ لا يُمْكِنُ لأحدٍ أنْ يَمْنَعَ البُلْبُلَ عَنِ الغِناءِ، كَذَلِكَ لا يَمْنَعُ المُحِبَّ أحَدٌ عَنْ ذِكْرِ اسْمِ المَحْبُوبِ. لنتكلمْ لإيضاحِ علاقةِ المَحْبوبِ والمحبِّ في ضَوْءِ القُرآنِ الكَريم.

يَنْبغي أنْ تكُونَ المحبَّةُ مشوقةً شديدةً.

يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

يزدادُ الحبُّ بسماعِ الكَلامِ عن حُسْنِ المَحْبُوبِ وجَمَالِه. يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢].

لا يكونُ للمُحِبِّ مَطْلُوبٌ سِوَى المَحْبُوبِ. دليله قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

يطمئنُّ القَلْبُ بذِكْرِ المَحْبُوبِ، والدّليل عليه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

يَتَمَلْمَلُ القَلْبُ بسَمَاعِ ذِكْرِ المَحْبُوبِ دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

عِنْدَما يُنْهى المُحِبُّ عن ذِكْرِ المَحْبوبِ يَنْبِذُ جميعَ الدّنيا ويدفعُها. قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] دليلٌ واضحٌ عليه.

عن أنس رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «لا تَقُومُ السّاعةُ على

أحدٍ يقول الله الله»، وفي روايةٍ أخرى: «حتى لا يُقالَ في الأرضِ الله الله».

[أخرجه مسلم وأخرج الترمذي الثانية؛ جامع الأصول ج ١٠ ص ٣٩٤]

لو لمْ يَجُزْ ذِكْرِ الاسْمِ المُفْرَدِ المجرّدِ يقولُ النبيُّ ﷺ اسْمَ اللّٰه مرةً واحدةً. تكرارُ اسمِ الذاتِ اللّٰه اللّٰه دليلٌ قويٌّ على جوازِ ذِكْرِ اسْمِ الذاتِ وشرعيّتِهِ وإفادتِهِ للإيمانِ الدَّليلِ العقليِّ. المُحِبُّ يَتَمَلْمَلُ بِذِكْرِ المَحْبوبِ.

قالَ قائلٌ: لَمْ تَخْتَفِ المَحَبّةُ ساعةً متى ذَكَرَ اسْمَكَ أحدٌ، وكذلك يَسْكُنُ ويطمئنُّ القَلْبُ بِذِكْرِ المَحْبوبِ.

قالَ قائلٌ: ما أشدَّ رَبْطَ الطُّمأنينةِ باسْمِكَ، يأتي النوم على الشوكِ بالرّاحة. السالِكُ إذا كرّرَ ذِكْرَ اسْمِ الذّاتِ سَيْطَرَ على عُضْوٍ عُضْوٍ منه إثرَ المَحَبّةِ الإلٰهيةِ اللّٰه اللّٰه. ما أحْلَى هذا الاسْمَ يصبحُ رُوحي كلُّه الحليبَ الحلو.

فإن قيلَ: ما الفائدةُ بذِكْرِ اسْمِ اللّٰه اللّٰه وبتكرارِهِ؟ فنقولُ: سَنُكَرِّرُ اسْمَكَ وإنْ لم يَكُنْ فائدة. نَحْنُ العاشِقُونَ الشّائِقُونَ المُحِبّونَ لاسْمِكَ.

## ٣ ـ الصّلاةُ على النبيِّ ﷺ:

ما أكْثَرَ مِنَنَ سيِّدِ السّاداتِ ومَعْدَنِ السَّعاداتِ النبيِّ الكريمِ ﷺ على الأمّةِ المَرْحومةِ. لا يُسْتَطاعُ أداءُ حُقُوقِها، ولا يُمْكِنُ إحْصاءُ عَدَدِها، فمهما دَاوَمَ السّالِكُ على الصّلاةِ عليه بالمَحَبّةِ والإخْلاصِ، فهو قليلٌ فَضْلاً عما سَيَهَبُ اللّٰه تعالى من مِئاتِ الأجُورِ والثّوابِ عليها بلُطْفِهِ وكَرَمِهِ. ما زالتِ الصّلاةُ على النبيِّ ﷺ عَمَلَ الصُّبحِ والمَساءِ يدلُّ على فَضْلِها الآياتُ والأحاديثُ الكثيرة نَذْكُرُ بَعْضَها.

## أدلة من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] بدأتِ الآيةُ بحَرْفِ التَّوكيدِ «إنَّ» ثُمَّ جاءَتْ بصيغةِ المُضارعِ الدَّالةِ على الاسْتِمْرارِ والدَّوامِ فالمَعْنى أنَّه لا شَكَّ أنَّ اللهَ ومَلائِكَتَهُ يُصَلُّون دائماً أبداً على النبيِّ الكَريمِ، فأيّ عزٍّ وكَرَمٍ فَوْقَهُ، فإنّ اللّه تعالى أضافَ الصَّلاةَ أوّلاً إلى نَفْسِه، ثم أضافَها إلى المَلائكةِ، ثمّ أمَرَ بها المُؤمنينَ. جَزاءُ الإحْسَانِ بمثْلِه مِنْ مَكارِمِ الأخْلاقِ، والنبيُّ ﷺ أعْظَمُ النَّاسِ إحْساناً إلينا، فاللّه سُبْحانه وتعالى أرْشَدَنا إلى مُكافأةِ إحْسانِه. وللنبيِّ ﷺ شأنٌ عجيبٌ في الحُبِّ فإن اللّه تعالى ذَكَرَ اسْمَه مع اسْمِه مَعَ كَلِمَةِ الشَّهادةِ، وذَكَرَ طاعَتَه مع طاعَتِه، ومحبَّتَه مع محبَّتِه، وصَلاةُ المُؤمنينِ مع صَلاتِهِ عليه، قال الشَّاهُ عبدُ القادرِ رحمه اللّه تعالى: لِطَلَبِ الرحْمةِ مِنَ اللّه تعالى لنبيِّه وآله قبوليّةٌ عظيمةٌ تنزلُ عليه مِنَ الرَّحْمةِ ما يليقُ بشأنِهم، وينزل على السَّائلِ عَشْرُ رحْماتٍ بطلبِه رحْمةً، فمَنْ شاء الآنَ جمع ما يريدُ.

نَقَلَ العلّامة السَّخاويُّ عن الإمامِ زين العابدين عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عليٍّ رَحِمَهمُ اللّه تعالى ورضي اللّه عنهم قال: عَلامةُ أهْلِ السُّنةِ كَثْرةُ الصَّلاةِ على رسولِ اللّه ﷺ.

[القول البديع ص ٥٢]

## دلائل من الأحاديث النبوية:

عَنْ أبي هريرة رضي اللّه عنه، أنَّ رسولَ اللّه ﷺ قال: «مَنْ صلّى عليَّ صَلاةً واحدةً صلّى اللّه عليه عَشْراً».

[رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن حبان في صحيحه؛ الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٤٩٤]

رَوَى الطَّبرانيُّ أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى عليَّ صلاةً واحدةً صلَّى اللَّه عليه عشراً ومَنْ صلَّى عليَّ عشراً صلَّى اللَّهُ عليه مائةً، ومَنْ صلَّى عليَّ مائةً كتبَ اللَّهُ بين عينيه براءةً مِنَ النِّفاقِ وبراءةً مِنَ النَّارِ وأسْكَنَه اللَّهُ يومَ القيامةِ مَعَ الشُّهداءِ».

[القول البديع ص ١٠٣، الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٤٩٥]

وعَنْ جابرٍ رضي اللَّه عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ صلَّى عليَّ في كلِّ يومٍ مائةَ مرةٍ قَضى اللَّه له مائةَ حاجةٍ، سبعينَ لآخرتِهِ وثلاثينَ منها لدُنياهُ».

[القول البديع ص ١٢٨]

ولهذا يأمُرُ المشايخُ النقشبنديونَ السَّالكينَ بالصَّلاة على النبيِّ ﷺ مائةَ مرةٍ كلَّ صباحٍ ومساءٍ وقولهم: اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلِ سيِّدنا محمَّدٍ وبَارِكْ وسَلِّمْ، صيغة صلاة مختصرة وجامعة.

ومِن ثَمراتِ الإكْثارِ مِنَ الصَّلاةِ على النَّبيِّ ﷺ تَكْفيرُ الخَطَايا وتَزْكيةُ الأعْمالِ، ورَفْعُ الدَّرجاتِ، ومغفرةُ الذُّنوبِ واسْتِغْفارُها لقائلها، وكتابةُ قيراطٍ مِثْلِ مِنَ الأجْرِ والكَيْلِ بالمِكْيالِ الأوْفَى، وكفاية أمْرِ الدُّنيا والآخرة لمن جَعَلَ صلاتَه كلَّها صَلاةً عليه، ومَحْوُ الخطَايا وفضْلُها على عِتْقِ الرِّقابِ، والنَّجاة بها مِنَ الأهْوالِ وشَهادةُ الرَّسُولِ بها، ووجُوبُ الشَّفاعَةِ ورِضَى اللَّه ورَحْمته، والأمانُ مِنْ سَخطِه، والدُّخولُ تَحْتَ ظلِّ العَرْشِ، ورجْحان الميزانِ ووُرُودُ الحَوْضِ، والأمانُ مِنَ العَطَشِ والعِتْقُ مِنَ النَّارِ، والجَوازُ على الصِّراط ورؤية المقْعَدِ المقرّب مِنَ الجنَّةِ قبل المَوتِ، وكثرةُ الأزْوَاجِ في الجنَّةِ ورجْحانُها على أكْثرِ مِنْ عشرينَ غَزْوَةً، وقيامها مقام الصَّدقةِ للمعسرِ، وأنها زكاةٌ وطهارةٌ، ويزيد المالُ ببركتها، وتنقضي بها من الحوائج مائةٌ بلْ أكثرُ وأنَّها عبادةٌ، وأحبُّ الأعْمالِ إلى اللَّه، وتزين المجَالِسَ، وتنفي الفَقْرَ وضيقَ العَيْشِ ويلتمسُ بها مظانّ

الخَيْرِ، وأنَّ فاعِلَها أولى النَّاسِ به، وينتفعُ هو وولده وولد ولده بها، ومَنْ أهديتَ في صحيفتهِ بثوابها، وتقرّبَ إلى اللهِ عزّ وجلّ وإلى رسوله، وأنّها نُورٌ وتنصرُ على الأعداءِ وتطهّرُ القَلْبَ مِنَ النّفاقِ والصّدأ، ويوجب محبّةَ النّاسِ ورؤيةَ النبيِّ ﷺ في المَنامِ.

[القول البديع ص ١٠١]

فعلى سالِكي الطّريقةِ أنْ يُقدّموا هديةَ الصّلاةِ صُبْحَ مَسَاه بمحبّةٍ وأدبٍ إلى النبيِّ ﷺ.

## عدة أسئلة تُسأل عموماً عن الصلاة على النبي ﷺ وأجوبتها:

س ١: اللهُ وَمَلائِكَتُه يصلّونَ على النبيِّ ﷺ فما الحَاجَةُ إلى صَلاتِنا؟

جـ: صَلاتُنا على النبيِّ ﷺ لَيسَتْ لأنَّ النبيَّ ﷺ مُحتاجٌ إليها وإلّا فلا حَاجَةَ إلى صَلاةِ المَلائكةِ بَعدَ صَلاةِ اللهِ عليه، بَلْ صَلاتُنا لإظْهارِ عَظَمَةِ النبيِّ ﷺ وصَلاتُنا سَبَبٌ لكفّارةِ ذُنوبِنا وارْتِفاعِ درجاتنا.

س ٢: سَمِعْنا أنَّ النبيَّ ﷺ سَوْفَ يَضَعُ في كَفّةِ شَخْصٍ مِنْ أمّتهِ بطاقةً صغيرةً فيثقلُ الميزانُ كَيْفَ ذلك؟

جـ: المَنْزِلَةُ عند اللهِ تعالى للإخْلاصِ، كُلّما ازْدادَ الإخْلاصُ ازدادَ الوزْنُ، ودَليلهُ رجْحَانُ بِطاقةٍ صغيرةٍ مَكْتُوبٌ عليها كَلِمَةُ الشّهادةِ على تِسْعةٍ وتسعينَ دفتراً للذنوبِ، كلُّ دفترٍ ممتدٌّ مُنْتهى بَصَرِهِ.

س ٣: هل يَجُوزُ أن نقولَ: صليتُ على مُحمّدٍ، أو أصلّي على محمّدٍ.

جـ: إنَّ النبيَّ ﷺ مُنزّهٌ عن العُيوبِ بينما نَحْنُ مجموعة عُيوبٍ ونَقائصَ، وكيف يثني من هو مجموعة العيوبِ لِمَنْ هو سَالِمٌ من كلِّ عَيْبٍ؟ قال قائل: ما معناه:

إنْ أغسلْ فَمِي بالمِسْكِ وَماءِ الوَرْدِ ألْفَ مرّةٍ
فالتفوّه باسْمِكَ الآنَ كَمالُ سُوءِ الأدَبِ

إذنْ نطلبُ مِنَ اللّه تعالى في قولِنا: اللّهمّ صلِّ على محمّدٍ أنْ تنزلَ الصّلاةُ والرّحمةُ من الربِّ الطّاهِرِ على النبيِّ الطّاهرِ.

س ٤: هل يجوز للحائضِ أن تُصلّيَ على النبيِّ ﷺ؟

جـ: يَجُوز للحائضِ التفوّه باسْمِ اللّه تعالى وباسْمِ النبيِّ ﷺ والنطْقُ بالشّهادتيْنِ، والاسْتِغْفارُ، والصّلاة على النبيِّ ﷺ. قال الفُقَهاءُ: المُعَلّمةُ التي تُدَرّس وتعلّمُ تلميذتَها في هذه الحَالة عليها أن تُعَلّمَها كلمةً كلمةً، ولا تمسّ المصحفَ بيدها.

س ٥: هل تجوز الصلاة على النبيِّ ﷺ بدونِ وضوءٍ؟

جـ: يجوزُ، ولكنّ الصّلاةَ على النبيِّ ﷺ طاهِراً نورٌ على نورٍ.

س ٦: ما الحِكْمَةُ في الإكْثارِ مِنَ الصّلاةِ على النبيِّ ﷺ يَوْمَ الجُمُعَةِ؟

جـ: وَرَدَ في بعضِ الرواياتِ أنّ النبيَّ ﷺ انتقلَ مِنْ صُلْبِ أبيهِ إلى بَطْنِ أمّهِ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وأيضاً كما أنّ النبيَّ ﷺ سيّدُ الأنبياء كذلك يَوْمُ الجُمُعةِ سيّدُ الأيامِ. فتحقّق بين يومِ الجُمُعة وكثرةِ الصّلاة مناسبةٌ.

س ٧: يبدُو في الصّلاةِ بقولنا: كَمَا صَلّيْتَ على إبْراهيمَ بعد قولنا: اللّهمّ صلِّ على محمّدٍ. إنّ لإبراهيمَ عليْهِ السّلامُ أفضليةً.

جـ: يعرفُ علماءُ العربيةِ أنّ كَلِمةَ كَمَا قد تُذْكَرُ للأعْلَى وقَدْ تُذْكر للأدْنى. قال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥].

وأيّ مناسبةٍ بين اللّه عزّ وجلّ وبين السّراجِ؟ ذَكَر الحَافِظ ابن حَجرٍ رحمه اللّه في الفتح الباري عَشرةَ أجوبةٍ عنْ هذا السّؤالِ، وذكَر في مَكْتوباتِ المجدّد تفاصيله.

## ٤ ـ الاستغفار:

الاسْتِغفارُ مائةَ مرةٍ كل يومٍ صباحاً ومساءً. مشايخُ السّلسلةِ

النقشبندية يستغفرونَ بصيغةٍ جامعةٍ ومختصرةٍ جداً وهي: أستغفرُ اللّه ربِّي مِنْ كلِّ ذنبٍ وأتوبُ إليه.

## أدلةٌ مِنَ القرآنِ الكريمِ:

**دليل ١**: قال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٥٢] أَمَرَ في هذه الآيةِ الكريمةِ بالاستِغْفَارِ، فمشايخُ نقشبند يستغفرون بغايةِ ندامةٍ كلَّ يومٍ عملاً بهذا الأمرِ ويرشدونَ السالكينَ بهذا التوجّهِ.

**دليل ٢**: قالَ نوحٌ عليهِ السلامُ لقومِهِ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢].

**دليل ٣**: قالَ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

قال ابنُ عباسٍ رضي اللّه عنهما في تفسير هذه الآية: كانَ فيهم أمَانَانِ: النبيُّ ﷺ والاستغفار، فذهبَ النبيُّ ﷺ وبقيَ الاستِغْفارُ.

[ابن كثير ج ٢ ص ٣١٢]

**دليل ٤**: قال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ و١٨].

## دلائل من الحديث النبوي الشريف:

**الدليلُ ١**: عنْ أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّه ﷺ يقولُ: «واللّهِ لأستغفِرُ اللّهَ وأتوبُ إليه في اليومِ أكْثَرَ مِنْ سبعينَ مرةً».

[صحيح البخاري]

الدليل ٢: قالَ البيضاويُّ في التَّفسيرِ: ورُوي عنه ﷺ: «إنّي لأسْتَغْفِرُ اللّه في اليَوْمِ والليلةِ مائة مرّة».

[رواه البخاري والنسائي وابن ماجه؛ تفسير البيضاوي ص ٥٢١]

قالَ المُحدّثُونَ: التَّكلّمُ مِنَ النَّبيِّ ﷺ بصيغةِ الاستِغْفارِ كلّ يَوْم سبعين مرة أو مائة مرة لإظهار العُبُوديّة، وتَعْليمُ أمّتهِ وإلّا فَهُو كانَ مَغْفُوراً له، وقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] دَليلٌ قويٌّ عليه.

الدليل ٣: عَنْ أبي بَكْرٍ، عَنْ رَسُولِ اللّه ﷺ أنّه قال: «عَلَيْكُم بِلا إلهَ إلا اللّه والاستِغْفارِ، فأكْثِروا منها فإنّ إبليسَ قال: أهْلَكْتُ النّاسَ بالذّنوبِ وأهْلَكُوني بلا إلهَ إلا اللّه والاستِغْفار».

[تفسير المظهري ج ١٠ ص ٤٨٤]

الدليل ٤: قالَ العلّامةُ ابنُ كثيرٍ رحمه اللّه وهو يَتَكلّمُ عَنِ الاستغفارِ: عن ابنِ عباسٍ رضي اللّه عنهما قالَ: قالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: «مَنْ لَزِمَ الاستِغْفَارَ جَعَلَ اللّه له مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً ومِنْ كلِّ ضِيقٍ مَخْرجاً ويرزُقْه من حيثُ لا يَحْتَسِبُ».

[أبو داود ج ١ ص ٢٢٠، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٦٠]

الدليل ٥: عَنْ فَضالَةَ بنِ عُبيدٍ أنّ رَسُولَ اللّه ﷺ قالَ: «العَبْدُ آمنٌ مِنْ عَذابِ اللّه ما اسْتَغْفَرَ اللّهَ عزّ وجلّ».

[ابن كثير ج ٢ ص ٣١٢]

فعلى السّالكِ أنْ يَسْتَغْفِرَ ويَتُوبَ مِنْ ذُنُوبه كلّ يوم، ويرَى ذلك واجباً. وفي إكمالِ الشّيم: يا صَديقي ارتكابُك بالذّنب برجاء التّوبةِ وتأخيرُكَ التّوبة برجاءِ التوبةِ دليلُ فُقدانِ عقلِك. قال اللّه ربُّ العزّة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

وقال في مقامٍ آخر: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

أجمعَ الأئمةُ المُجتهدونَ على وُجوبِ التَّوبةِ، فتحَ اللهُ سُبحانه وتعالى بابَ التوبةِ حتى تأتيَ سَكْرَةُ الموتِ أو تَطْلعَ الشمسُ مِنْ مَغْرِبها.

قالَ النبيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقبلُ التَّوبةَ ما لَمْ يُغَرْغِرْ».

[الترمذي]

وقال عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «مَنْ تابَ قبلَ أنْ تَطْلُعَ الشَّمسُ مِنْ مَغْرِبِها تابَ اللهُ عليهِ».

[رواه مسلم]

يَغْفِرِ اللهُ سبحانه وتعالى للتائبينَ مِنَ الذنوبِ كأنَّهم لم يُذْنِبوا قطُّ. قال عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ».

إذا أحبَّ اللهُ تعالى عبداً فلا يَغْفِرُ ذُنوبَه فقط، بل يبدِّلُ سيئاتِهِ حسناتٍ. قال تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

رَوَى عِمْرانُ بنُ حُصَيْنٍ رضي اللهُ عنه: أنَّ صحابيًّا تابَ توبةً صادِقةً حتى قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «لَقَدْ تابَ توبةً لو قُسِمَتْ بيْنَ سَبْعينَ مِنْ أهلِ المدينةِ لَوَسِعَتْهُمْ».

عَنْ أنسِ بنِ مالِكٍ رضي الله عنه أنَّه قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ أفرحُ بتوبةِ عَبْدِه مِنْ أحدِكُم سقطَ على بَعيرِه، وقد أضلَّه في أرضِ فلاةٍ».

[أخرجه البخاري ومسلم]

ولِمُسْلِم أيضاً قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «للهُ أشدُّ فرحاً بتوبةِ عَبْدِه حين يَتُوبُ إليه مِنْ أحدِكُمْ كان على راحِلَتِهِ بأرضِ فلاةٍ، فانفلَتَتْ مِنْه وعلَيْها طَعامُه وشَرابُه فأيِسَ مِنها فأتى شَجَرةً فاضْطَجَعَ في ظِلِّها، قد

أَيِسَ من رَاحِلَتِهِ، فبيْنَا هو كذلِكَ إذا هُوَ بِهَا قَائِمَةٌ عنده فأخذ بِخِطَامِهَا، ثم قالَ مِنْ شدةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وأَنا رَبُّكَ، أَخطأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ».

[جامع الأصول ج ٢ ص ٥١٠]

قَالَتِ المَشَايِخُ: لمَّا طُرِدَ الشَّيْطَانُ استَمْهَلَ وقال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]، قال اللَّه تعالى: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٧، ٣٨]، فانظُرْ لو أُمْهِلَ الشَّيْطَانُ اللعينُ فلمَ لا يُمْهِلُ لمذنبي الأمةِ المحمّديةِ؟

قالَ الحافِظُ ابنُ كثيرٍ: وفي روايةٍ قالَ إبليسُ: وعزّتِكَ وجَلَالِكَ لا أزالُ أُغْوِيهِمْ ما دامَتْ أرواحُهُمْ في أجْسادِهِمْ، فقال اللَّه عزّ وجلّ: «وعزّتِي وجَلَالِي لا أزالُ أغفِرُ لهُمْ ما استَغْفَرُونِي».

[تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٧٨]

كانَ شيخٌ كبيرٌ يمشي إذْ رأى شُبَّاناً يتمشّونَ، فلمّا مرَّ الشيخُ بِهِمْ قال شابٌّ: يا سيدي! أفتنا في رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ لَمْ يُذْنِبْ قط، ورَجُلٍ أذْنَبَ ثم تابَ توبةً نَصُوحاً أيهما أفضلُ عِنْدَ اللَّهِ تعالى؟ وعلى قَلْبِ أيهما نظرةٌ خاصّةٌ للَّه تعالى؟ فقالَ الشيخُ: أنا أَنْسُجُ النَّسِيجَ وله خُيوطٌ طويلةٌ لو انْحلَّ خَيْطٌ أعقُدُه ثم أُلاحِظُه حتى لا ينحلُّ مرةً ثانيةً، فلعلَّ المُذْنِبَ الذي رَبَطَ علاقَتَه بربّه بعد أنِ انحلّت علاقته بربه بتوبةٍ نَصُوحٍ، يكونُ للَّه على قَلْبِه نظرٌ خاصٌ حتى لا يبعدَ ذلك العبد. سبحان اللَّه.

قيلَ: يا عَبْدِي ذُنُوبُكَ قليلةٌ ورَحْمَتِي كثيرةٌ، وإن كانَتْ ذنوبُكَ بعدَدِ نُجُومِ السَّماءِ، أو كَانَتْ بعدَدِ أوراقِ أشجارِ الدنيا كلِّها، أو كَانَتْ بعَدَدِ ذرّاتِ رمالِ جميعِ الدنيا، أو مِثْلَ زَبَدِ البحارِ كلِّها، فذنُوبُكَ قليلةٌ ورَحْمَتِي كثيرةٌ، فأتِ وتُبْ أقبلْ تَوبَتَكَ حتى قالَ: يا عَبْدي إنْ أنتَ تُبْتَ ثم نَقَضْتَ توبتَكَ، ثمّ تبتَ ثمّ نَقَضْتَ توبتَكَ، ثم تُبْتَ ثم نقضْتَ، إنْ

نَقَضْتَ مائةَ مرةٍ فأتِهِ وتُبْ يا عَبْدي، إنْ أنْتَ تُبْتَ مائةَ مرةٍ ونَقَضْتَ مائةَ مرةٍ فبابي الآنَ مَفْتُوحٌ فأْتِ وتُبْ أَقْبلْ تَوْبَتَكَ، وقدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ: (أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ).

## ٥ ـ تِلاوةُ القُرآنِ الكَريمِ:

تِلاوةُ جزءٍ أو نِصْفِ جزءٍ مِنَ القُرآنِ الكَريمِ كلَّ يومٍ.

## أدلةٌ مِنَ القُرآنِ الكَريمِ:

الدَّليلُ الأولُ: قالَ تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠].
أمر في هذه الآيةِ بتلاوةِ القُرآنِ الكَريمِ، ولهذا يأمُرُ المَشايخُ سَالِكي الطَّريقةِ بِتلاوةِ القُرآنِ الكَريمِ.

الدَّليلُ الثاني: قالَ تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١].

## أدلةٌ مِنَ الحَديثِ الشَّريفِ:

الدَّليلُ الأولُ: رَوَى الطَّبَرانيُّ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ لِرَجُلٍ وهو يُوصيهِ: «أوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ فإنَّه رَأْسُ الأَمْرِ كُلِّه، وعليكَ بِتِلاوةِ القُرآنِ وذِكْرِ اللهِ فإنَّه ذِكْرٌ لكَ في السَّماءِ ونُورٌ لكَ في الأَرْضِ».

[المعجم الصغير للطبراني]

الدَّليلُ الثاني: عَنْ أبي ذرٍّ رضي اللهُ عنه أنه قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «عليكَ بِتِلاوةِ القُرآنِ فإنَّه نُورٌ لكَ في الأَرْضِ وذُخرٌ لكَ في السَّماءِ».

الدَّليلُ الثالثُ: رَوَى الإمامُ البيهقيُّ في شُعَبِ الإيمانِ، عنِ ابنِ عُمَرَ رضي اللهُ عنهما أنَّه قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ هذه القُلُوبَ

تَصْدَأُ كما يَصْدأُ الحديدُ إذا أصابَهُ الماءُ». قيلَ: يا رسولَ اللّٰه! وما جَلَاؤُهَا؟ قال: «كثرةُ ذِكْرِ المَوْتِ وتِلَاوةُ القُرآنِ».

**الدليلُ الرابعُ**: رَوَى الإمامُ أبو داوُدَ، عَنْ عَبْدِ اللّٰه بن عَمْرو بنِ العَاصِ أنه قالَ: قالَ رسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «مَنْ قامَ بعَشْرِ آياتٍ لم يُكْتَبْ من الغافِلينَ، ومَنْ قامَ بمائةِ آيةٍ كُتِبَ مِنَ القانِتينَ، ومَنْ قامَ بألفِ آية كُتِبَ من المُقَنْطَرِينَ».

[سنن أبي داود ج ١ ص ٢٠٥]

**الدليلُ الخامسُ**: رَوَى الإمامُ البخاريُّ رَحِمَه اللّٰه وأبُو دَاوُدَ في روايةٍ طويلةٍ عَنْ عَبْدِ اللّٰه بنِ عُمَرَ عَنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «اقرأ القُرآنَ في كُلِّ شَهْرٍ».

[صحيح البخاري ج ١ ص ٧٥٥، وأبو داود ج ١ ص ٢٠٥]

## ٦ ـ رابِطَةُ بالشَّيخِ:

أَصْلُ أصُولِ جميعِ الأعْمَالِ رَابِطَةُ الشَّيخِ، وهي اتِّصالُ بالشَّيخِ وإشعاره بأوضَاعِه بالحُضُورِ عنده أو بالرِّسالةِ أو الهاتِفِ أو غيرها وقضاء الحَياة وفق تَوْجِيهه.

**أدلَّةٌ من القرآن المجيد**: قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥] فاتِّباع الشَّيخِ اتِّباعُ أمْرِ اللّٰه تعالى، لأنَّ الشيخَ مَلِيءٌ بالإنابةِ إلى اللّٰهِ تَعالى، ولا بدَّ للاتّباعِ من الاطّلاعِ.

## أدلةٌ مِنَ الأحاديثِ:

**الدَّليلُ الأول**: عَنْ أبي هريرةَ رضي اللّٰه عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «الرَّجُلُ على دينِ خَليلِه فلْيَنْظُرْ أحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ».

[رواه أبو داود والترمذي]

وإذا كَانَ الإنْسَانُ على دِينِ خَليلِه، فَعلَى السَّالكِ أنْ يَتَمَسَّكَ بمحبةِ

الشَّيخ ويتّخذه خليلَهُ ومُرْشِدَه، حتى يَسْهُلَ له الاصْطِباغُ بِصِبْغَةِ الدِّينِ. قال النبيُّ ﷺ: «لا تُصَاحِبْ إلّا مُؤْمِناً».

[الترمذي]

وهذه هي صُحْبَةُ الشَّيخِ ورَابِطَته.

الدَّليلُ الثاني: قال النبيُّ ﷺ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ».

[البخاري، ومسلم]

هذا الحديثُ كافٍ وافٍ وشَافٍ لِسَالِكِي الطَّريقةِ، فالسَّالكُ إذا جَعَلَ ارتباطَه بشَيْخِهِ قويًا بَلْ أقْوَى يَجِدُ حبّه أشدّ وهذا آية سمَاعِ بُشْرى المَرْءِ مع مَنْ أحبّ يومَ القيامةِ، عَنْ أنسٍ رضي اللّه عنه قال: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، فالرَّابطةُ بالشَّيخِ هي مُلَخّصُ الأورادِ وعِطْرُها، وهو تفسير ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

الدَّليلُ الثالثُ: قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «عَلَيْكُمْ بمجَالَسَةِ العُلَماءِ واستِمَاعِ كَلامِ الحُكَماءِ، فإنَّ اللّه تعالى يُحيي القَلْبَ المَيْتَ بنُورِ الحِكْمَةِ كما تَحْيَا الأرْضُ الميتةُ بماءِ المَطَرِ».

[الترغيب والترهيب]

وقضاءُ الوقْتِ في صُحْبةِ الشَّيخِ عَمَلٌ بهذا الحديثِ النبويّ الشَّريفِ.

الدَّليلُ الرابعُ: رُوِيَ في روايةِ أبي سعيدٍ رضي اللّه عنه قصَّةُ رَجُلٍ من بَني إسرائيلَ قَتَلَ مائةَ قتيلٍ ثم نَدِمَ فقيل له: انطلِقْ إلى أرْضِ كذا وكذا فإنَّ بها أُناساً يَعْبُدونَ اللّه تعالى فاعْبُدِ اللّهَ مَعَهُمْ.

[رياض الصالحين]

إذا حَضَرَ السَّالكُ إلى زَاوِيَةِ شَيْخِهِ ويَجِدُ جَمْعاً مِنَ السَّالكينَ يَصْدُقُ عليهم أناساً يَعْبُدُونَ اللّهَ تعالى، فينالُ سَعَادةَ العَمَلِ (فاعْبُدِ اللّهَ مَعَهُمْ).

**الدليلُ العقليُّ:** يذهبُ المريضُ إلى الدّكتور فيفحصُه الطبيبُ ويكتبُ له وصفةً طبيّةً ويقولُ: ارجِعْ إلى البيْتِ وتَناولْ هذا الدّواءَ لأيامٍ كذا وكذا، ثم ائتِ إليَّ وأخبِرْني عَنْ أمْرِكَ. هكذا يُعْطي المُرْشِدُ مُريدَه وصْفةَ الأوْرادِ الروحانيّةِ ويقولُ: التزِمْ بهذه الأوْرادِ وأخبِرْ عن أوْضاعِكَ حيناً فحيناً. وهذه هي الرّابطةُ بالشَّيخِ.

## شواهد شعرية:

ذِكْرُ أبياتٍ مِن شُعَراءِ الأمةِ في أهميّةِ رابطةِ الشّيخِ.

قال شَاعِرٌ ما معناه:

مَنْ كانَ يريدُ صُحْبةَ الله تعالى فلْيُجالِسِ الأولياء.

وقال آخرُ ما معناه:

صُحْبةُ الصّالحينَ تَجْعلُك صَالحاً، وصُحْبةُ الأشقياءِ تُصَيّرك شقيّاً.

وقالَ آخرُ ما معناه:

إنْ كُنْتَ صلصالاً أو رُخاماً فاذْهَبْ إلى صُحْبةِ أهْلِ القلْبِ تَكُنْ لؤلؤاً.

وقال آخرُ ما معناه:

اتركِ القَالَ واتّخِذِ الحَالَ واقْتدِ رَجُلاً كاملاً تَكُنْ صَاحِبَ حَالٍ، وألْقِ الكتابَ ومائةَ وَرَقةٍ في النّارِ واجْعَلِ القلْبَ والنّفْسَ إلى صَاحِبِ حَالٍ.

وقَالَ آخرُ ما مَعْنَاهُ:

وَجَدْتُ يوماً في الحَمّامِ تُراباً مطيّباً (خوشبو دار) مِنْ يَدِ الحَبيبِ، فقلتُ له: هلْ أنْتَ مِسْكٌ أو عَنبرٌ، فإني رَاغِبٌ في طِيبِكَ؟ فقالَ: إني كُنْتُ تُراباً حَقيراً، ولَكِنْ صَحِبْتُ الوردَ مدةً فعمِلَ جَمالُ صَاحِبي عليَّ وإلّا فأنا ذلكَ الترابُ الحقيرُ الذي كُنْتُه.

وقال آخرُ ما معناه:

يحرقُ الشمعُ القديم مَوجَ نفسهم ما إذا استتر في صُدور أهلِ القَلْبِ. يا ربّ! لا تسألْ إن أحببْتَ هؤلاء اللابسينَ الخرقة يَجْلِسُون واليدُ البيضاء في جُيُوبهم، إنْ تبغِ خماسَ القَلْبِ فاخْدُمِ الفُقَراء، فإن هذا الجَوْهر لا يوجد في كنوزِ المُلوكِ.

## الباب العاشر

# أعمال اليوم والليلة

على السّالكِ أنْ يقومَ في آخرِ ساعةٍ من اللّيلِ للتهجّدِ. قال سيّدُنا الصّدِّيق الأكبر رضي الله تعالى عنه: سَبَقَ طُيُورِ السّحر في قيامِ اللّيلِ مِنْ أسْبابِ ندامَتِكَ. رأى شخصٌ في المَنام الشّيخَ جُنيداً البغداديّ رَحِمه الله بعد وفاتِه فقال له جُنيدٌ: غابَتْ جَميعُ الكُشُوف والكَراماتِ. ما نَفَعَتْ إلّا نَوافِلُ آخِرِ اللّيلِ. للشّيخِ الخَواجَه أبي سعيدِ أبي الخَيْرِ في التّهجّدِ رباعي مَشْهور معناه:

قمْ لَيلاً فإن العُشّاقَ يُناجونَ ليلاً. يَطيرون حَوْلَ أبوابِ الحبيبِ وسَقْفِه.

يُغلَقُ جميعُ الأبوابِ لَيلاً إلا بَابَ الحبيبِ الذي يُفْتَح ليلاً.

بَعْد القيامِ مِنَ النومِ يَدْعُو بالدّعاءِ المَسْنُونِ.

يُنَظِّفُ الحِذاء فَيَلْبِسُ النّعلَ الأيمنَ أولاً ثم الأيسَرَ، ثمّ يذهبُ إلى الحَمّام ثمّ يَتوَضّأ مع قراءةِ الأدْعِيَةِ المَسْنُونةِ. (قراءة الأدعيةِ المَسْنُونةِ في الأوقاتِ المختلفةِ المناسبةِ مهمّة جدًا لا يَتكاسَلُ فيها أبداً فإنها تُساعِدُ الإنْسانَ للوقوفِ القلبيّ).

رُوي عَنِ الخَواجَه عُبيد الله الأحْرار أنه كانَ يقولُ بعد الوضُوءِ ثلاثاً: اللّهمّ تُبتُ مِنْ كلّ خطيئةٍ وذَنْبٍ أذنبتُه. والهَدَفُ مِن هذا الدّعاءِ التّوبة والاستِغفار لِينالَ الطّهارةَ الباطنيّةَ مع الطّهارةِ الظّاهرةِ، وبهذا يَسْهلُ

حُصُولِ كيفياتٍ: «أنْ تَعْبدَ اللهَ كأنّكَ تَرَاه» وهو أقصى الغاياتِ عند الصُوفيةِ.

يُصَلّي بعد كلِّ وُضوءٍ رَكْعتي تحيةِ الوُضوءِ. كان سيّدُنا بِلالٌ رَضيَ اللّهُ عنه يُواظِبُ عليها.

عَنْ بريدةَ رضي اللّه عنه أنّه قالَ: أصْبَحَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فدَعا بِلالاً فقالَ: «يا بِلالُ، بِمَ سَبَقْتَني إلى الجَنَّةِ؟ ما دَخلْتُ الجَنَّةَ قط إلا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أمامي»، فقالَ بِلالٌ: يا رَسُولَ اللّهِ! ما أذّنْتُ قط إلّا صَلّيت رَكْعتَيْنِ، وما أصابَني حَدَثٌ قط إلّا تَوَضّأتُ عِنده، ورأيتُ أنّ للّه عليَّ رَكْعتَيْنِ. فقال رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «بهما».

[جامع الأصول ج ٨ ص ٥٧٦]

يَقْرأُ في الرَّكْعَةِ الأُولى منهما سُورةَ الكافِرينَ وفي الثّانيةِ سُورةَ الإخلاصِ.

يُصَلّي صَلاةَ التَّهجّدِ بكَمالِ خُشوعٍ وخُضُوعٍ أربعَ رَكَعاتٍ أو ثَمان رَكَعاتٍ أو اثنتي عَشْرةَ رَكْعة.

كانَ الخَواجَة أبو يوسُفَ الهَمَدانيّ يَقرأ في الرَّكْعتَيْنِ الأوليَيْنِ رُكُوعاً من سُورَةِ البقرة فيه آيةُ الكُرْسي وآخر رُكُوعٍ مِنْ سُورَةِ البَقَرةِ، ثمّ يُصَلّي ثَمان رَكَعاتٍ في كُلِّ رَكْعَةٍ عَشر آياتٍ يتمّ فيها سُورة يس، ويقرأ في الرَّكْعتَيْنِ الأُخريَيْنِ سُورة الإخلاصِ ثلاثاً. (والشّيخ أبو يوسُفَ الهمدانيّ هذا استَفادَ من صُحْبتِهِ الشّيخ عبد القادِرِ الجِيلاني، والشّيخ الخَواجَه مُعين الدّين الأجميري، ولهذا يُقالُ: إنّه شَيْخُ التّعليم لهما).

كانَ الخَواجَه عزيزان علي الراميتني يقول: تَجْتمع بقراءةِ سُورَةِ يس في التّهجّد ثلاثةُ قُلوبٍ: قلبُ اللّيل أي الجزء الأخير منه، وقَلْبُ القرآن

أي سورة يس، وقلب الإنسانِ. واجتِماعُ هذه القُلوبِ الثَّلاثةِ سَبَبُ قَبُولِ الدّعاءِ إنْ شاء اللّه تعالى.

كانَ الخَواجَه عُبيد اللّه أحْرار يقول: إنْ فاتَ التّهجّد أحياناً يَقضِيه قبل نِصْفِ النّهار، والسّالكُ الذي لا يتيقّن بالقِيامِ يُصَلّي النّوافلَ قبْلَ النّوم.

كَانَ الخَواجَه بهاءُ الدّين نَقشبند البُخاري رَحِمَه اللّه تعالى يَقْرأ في أدْعيةِ التهجّد أبياتاً معناها:

جِئْتكَ اللّهمّ مُسْتَعيذاً بك يا إله العَالَمِينَ، جئتكَ أحْمِلُ ثقل ذُنُوبي جِئتك وقد جَعلتْ ذُنوبي ظَهْري يَنْحَنِي. يا مُعِيذَ العَالَمِينَ أتيت إلى بابك عاجزاً متضرّعاً. لا أقولُ إني قَضَيْتُ سَنَواتٍ في طَرِيقك، أنا ضَالّ جئتك متوجّهاً إلى طريقكَ، جئتك يا مَالِكَ المُلْكِ بأربعةِ أشياء ليسَتْ في كَنْزِكَ وهي: العَدَمُ والاحْتِياجُ والمَعْذِرةُ والمَعْصِيَةُ. جئتكَ بِقَلْبٍ فَقيرٍ وقَلْبٍ مَكْلُومٍ والاحْتِياجُ والخِذْلانُ. جئتكَ بها كلّها شَاهِدةً على دَعْوى عِشْقِكَ. فانْظُرْ إليّ نظرةَ رَحْمةٍ وانْظُر إلى بَياضِ شَعْري فإني جِئْتُك بوجْهٍ أسْودَ مِنَ النّدم.

ولْيَدعُ السّالكُ أحْياناً بمناجاةٍ مَنْسُوبةٍ إلى سَيّدنا الصّدّيق رضي اللّه عنه، وبَعْدَ الفَرَاغ من الدّعاء يستغفرُ اللّهَ تعالى مائةَ مرةٍ، ويُصَلّي على النّبيّ ﷺ مائةَ مرةٍ. سأل رجلٌ شَيْخَ العَرَبِ والعَجَمِ مَولانا عَبْدَ الغَفُورِ العباسيّ رحمه اللّه ماذا نَعْمَلُ أولاً الاسْتِغفارَ أو الصّلاة على النبيّ ﷺ؟ فقالَ: الاسْتِغْفارُ مثل صَابُونٍ غسيل الثوبِ، بينما الصّلاة على النبيّ ﷺ كَطِيبِ الثِّيابِ، فَهَلْ تطيّبُ الثوبَ أولاً أو تَغْسِلُها بالصّابونِ؟ فأجاب السّائل: يا سيّدي! المُناسبُ أن نَغْسِلَ بالصّابون ثم نطيّب بالطِّيب فقال: كذلك أَسْتَغْفِرُ اللّه أولاً بكَمَالِ نَدَمٍ حتى يَطْهرَ القَلْبُ ثم تُصَلّي عليه

بمحبةٍ واحترامٍ حتى تتطيّب ويَدْخلَ طيب حبِّ الرسُولِ ﷺ في عُضو عُضو.

ويَشتغِلُ بعدَ التّسبيحاتِ في الذّكرِ والمُراقبةِ أي في دُروسٍ أعطاها شيْخُه ويُراقِبُ بتوجّه كامِلٍ بَعْدَ دَفعِ جميعِ الوَساوسِ، وقد وصّى الخَواجه بهاء الدّين نقشبند البُخاريّ رحمه الله للشّيخ مولانا مُحمّد يَعْقوب الشرخي رَحِمَه الله أن اشْتَغِلْ في الدّرس الباطنيّ قبلَ طُلوعِ الصّباحِ.

يؤدّي رَكْعتي الفَجْرِ في البيْت فإنه سُنة ثم يخْرُجُ إلى المَسْجِدِ ويؤدّي صَلاةَ الفَجْر بجماعةٍ مع التّكْبيرة الأولى، وليلتزمْ محافظةَ التّكبيرة الأولى على نَفْسه في الفَرائضِ، فإنه شِعَارُ الصّلحاء، وكانَ مَشايخُ سِلْسِلَتنا العالية لا تفوتُ لهم التّكبيرة الأولى شهُوراً مُتَواصِلة.

يدخُلُ المَسْجِدَ بعد قراءةِ الأدْعيةِ المَسْنُونة ويَنْوِي الاعتكافَ ويستقبحُ جدًّا الاشتِغَال بالتكلّم عن أمورِ الدّنيا في المَسْجِد ويصلّي كل صَلاةٍ كأنها آخر صَلاةٍ في الحَيَاةِ حتى يَنالَ عزلةً كاملةً.

يسبّح بعد كلّ صَلاةٍ بتسبيحاتٍ فاطِميّة ثم يَقُولُ: «سُبْحانَ الله والحَمْدُ لله ولا إله إلا الله والله أكبر» مرةً واحدةً، ويقرأ آية الكُرسيّ مرةً ويَزيدُ عليها بعد الفَجْر والمَغْربِ «اللّهُمّ أجِرْني مِنَ النّار» سَبْعَ مَرّاتٍ و: «اللّهُمّ اغفرْ لي وللمؤمنين والمؤمناتِ والمُسْلمينَ والمُسْلماتِ» عَشْر مرّاتٍ. كانَ مُرشِدُ العالَمِ رحمه الله تعالى يُواظِبُ على هذا العَمَلِ.

يَقرأُ بعدها جزءاً مِنَ القُرآنِ الكَريم ويَقرأُ الحفّاظ حسب أحْزابِهِمْ ويتّخِذُ قراءة سُورةِ يس مِنْ أعْمالٍ يوميّةٍ.

ويُصَلّي أرْبَعَ رَكَعاتٍ للإشراقِ عندما ترتفعُ الشّمسُ قدْرَ رُمْحٍ أو رُمْحَيْنِ وله ثوابُ حَجّ وعُمْرةٍ. كانَ الشّيْخُ مَوْلانا محمّد يَعْقُوب شَرْخي

يَقرأُ بعدَ الإشراقِ عَشْرَ مرّاتٍ لا إلٰه إلا اللّه وحْدَه، لا شريكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ. ووصّاه بها الشّيخ سيّد الدِّين الباخُوزي.

[الرسالة السنية ص ٣٣]

كانَ مَشايخُ بُخارى يَنْوونَ الاستِخارة في نَوافِلِ الاستِشْراقِ، ثم يَنامُونَ قَليلاً لِيُبيِّنَ اللّه لَهُمْ أعْمَال اليوم كلِّه، وكانُوا يُداوِمُونَ على قِراءةِ سُورةِ الفَاتحةِ، وسُورةِ الكَافرون، وسُورة الإخْلاصِ، وسُورة الفَلَقِ، وسُورة النَّاس بَعْد كُلِّ صَلاةٍ. ويهدونَ ثوابها للنبيِّ ﷺ وجميعِ المؤمنِينَ والمؤمناتِ.

ثمَّ مَنْ يَشْتغِلُ بالتّعليم أو التّعلّم فليشْتَغِلْ فيه، وإنْ كَانَ تاجِراً أو مُوظّفاً فليشتغلْ في عَمَلِه مُراعياً الأحْكَام الشّرعية، وَلْيلْزَمْ ذِكْرَ اللّه تعالى حتّى يَفُوزَ بالعَمَلِ بقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] وهذا يُقَال له: الوقوفُ القلبيّ أي تَكُون اليدُ مُشتَغِلةً بالعَمَلِ والقَلْبُ مَشغُولٌ بذكر اللّه تعالى.

ويُصَلّي أربَعَ رَكَعاتٍ لِصَلاةِ الضُّحى عِنْدما يَزْدادُ ارتِفاعُ الشّمسِ. كان الشّيخُ الخَواجَه عُبيد اللّه أحْرار يُصلّي في الرَّكعةِ مِنَ الضّحى سُورة والشّمس وضُحاها، وفي الثّانية: والليل إذا يَغْشى، وفي الثّالثة: والضُّحى، والرّابعة: ألم نَشْرَحْ.

[أنفاس نفسية ص ١٧]

مَنْ لَمْ يَقْدِرْ على صَلَاةِ الضُّحى لِمَشاغِلَ دنيويةٍ أو مُواظبَة مكتبية فَلْيُصلِّ في وقْتِ الإشْراقِ رَكْعتين بنيّةِ الإشْراقِ وأرْبَع رَكَعاتٍ بنيةِ صَلَاةِ الضُّحى، وهذا العَمَلُ أحْسَنُ وأنسَبُ لزمانِنا.

إنْ أمْكَنَ بعد الغَداء أنْ يَقيلَ فلْيَقِلْ، فإنّ القَيْلُولَةَ سُنّةٌ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وبها تتيسّر المُواظبة على التهجّد، وعِندَما زالت الشمسُ فليصَلِّ أرْبَعَ رَكَعاتٍ لسُنَّة الظهر، وليصلِّ أربعَ ركعات لصلاة الظهر في المَسْجِد بجَماعةٍ.

كَانَ الخَوَاجه عُبَيْد اللَّه أحْرَار يقُولُ: لِيَقْرأ بعدَ الظُّهرِ كَلِمَةَ (باز كَشت) ثَلاثَ مَرّاتٍ وهي: إلهي مَقْصُودِي أنتَ ورضاؤك هَبْ لي حُبَّكَ ومعْرِفَتَكَ والرَّغْبَةَ والشَّوْقَ إليْكَ.

[أنفاس نفسية ص ٨٤]

بَعْدَ الظُّهرِ يَشْتَغِلُ في أعْمَالِهِ وإنْ كانتْ فُرْصَةٌ، فليقْرأ دَلائلَ الخَيْرَاتِ، أو حِزْبَ البَحْرِ حَسبَ ما أذِنَ له شَيْخُهُ، ويقرأ الشَّجرةَ الشَّريفةَ مرةً، وإنْ كانَ في الوقتِ سِعَةٌ فليطالعْ كُتُبَ الحَدِيثِ أو الفِقْهِ أو التَّصوّفِ، وخاصَةً مَكْتُوبَاتُ الإمامِ الرَّبّانيّ، أو المَكْتُوبَاتُ المَعْصُوميةُ أو سِيَرُ مَشايخِ السّلسلةِ النقشبندية، وعَمَلُ بعضِ المَشايخِ قراءة سُورة الفَتْح بَعْدَ الظُّهرِ أيضاً.

بَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ يَشْتَغِلُ في الأَوْرَادِ والوظائفِ. قال الخَوَاجه دوست محمد القندهاري: ليراقِبِ السّالكُ على لَطَائِفِهِ بالتَّرْتيبِ الآتي:

عَلَى لَطِيفَةِ القَلْبِ اسْم اللَّه تعالى ٥٠٠٠ مرة، وعلى لَطِيفَةِ الرّوح ١٠٠٠ مرة، وعلى لَطِيفَةِ السرّ ١٠٠٠ مرة، وعلى لَطيفةِ الخفيّ ١٠٠٠ مرة، وعلى لَطِيفَةِ الأخْفَى ١٠٠٠ مرة، وعلى لَطِيفَةِ النَّفْس ٢٠٠٠ مرة، وعَلَى لَطِيفَةِ القَالِبِ ١٠٠٠ مرة، يَعْني مَجْمُوعُ ذِكْرِ اسْمِ الذات ١٢٠٠٠ مرة.

يصَلّي المَغْرِبَ بجَماعةٍ، ثم يُؤَدّي سِتّ رَكَعاتٍ إلى اثنتيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بنيَّةِ صَلاةِ الأَوّابينَ، ثم يَقْرأ سورةَ الواقِعَةِ، وسُورةَ الم السَّجدة، وسورة الدُّخانِ.

ثم يأكلُ ويشربُ ويصلّي العِشاء بجَماعةٍ ويَستَغفِرُ مائة مرةٍ ويصلّي على النبيّ ﷺ مائة مرةٍ، ثم يقرأ سُورة المُلْكِ.

كَانَ عَمَلُ مُرْشدِ العَالَم رَحِمه الله أنه يصَلّي على النبيّ ﷺ مرةً، وسورة الفاتحة مرةً، وآية الكرسي مرةً، وسورة الكافرون وسُورة الإخْلاصِ والفَلَقِ والنَّاس مرةً، ثم يصلّي على النبيّ ﷺ ويَجْعَلُ حَوْلَه حِصَاراً ثم ينامُ ليلاً، وهذا العَمَلُ مفيدٌ جداً للحِفْظِ.

على السَّالكِ أن يواظِبَ على قراءةِ آيةِ الكُرسيِّ والمعوذتين وتَسبيحَاتٍ فاطميّةٍ بعدَ كلِّ فريضةٍ ويصلّي صَلَاةَ التّسبيح يَوْمَ الجُمُعَةِ ويُحَاولُ اعْتِكَافَ العَشْرِ الأخيرِ مِنَ رَمَضَانَ. ويحَاولُ قِيامَ ليلةِ نِصْفِ شَعْبَانَ وَلَيْلَةِ القَدْرِ، ولَيْلَةِ عِيدِ الفِطْرِ، وَلَيْلَةِ عِيدِ الأضْحَى.

ويحاولُ أن يَصُومَ الأيامَ البِيضَ أي الثَالِثَ عَشَرَ والرَّابعَ عَشَر والخَامِسَ عَشَر من كلِّ شَهرٍ قمريّ، وستاً مِنْ شَوّالٍ، وتِسْعاً من أوّلِ ذي الحِجّةِ إلى تاسِعهِ ويومَ عاشُوراء، والخَامِسَ عَشَر مِنْ شَعْبانَ، وثَمَانِيَةً من أولِ شَهْرِ رَجَبٍ وشَعْبَانَ، وإن كَانَ أعْزَبَ فَلْيُكْثِرْ من صِيامِ النَّفْلِ. وخَيْرُ الصّيامِ الصّومُ يوماً والإفطارُ يوماً. وصِيَام الدّهْرِ مَكْرُوهٌ.

وإن كانَ في ذمتهِ صَلَواتٌ فَائِتَةٌ أو صِيامٌ فَلْيَقْضِهَا أولاً، وليحْفَظِ الأدْعِيةَ المَسْنُونَةَ للمُنَاسَبَاتِ المُخْتَلِفَةِ، فلْيَدْعُ بِهَا في مَوَاقِعِها.

ليهتمّ للصِّحةِ الرُّوحانيّةِ مع الصِّحةِ الجِسْمَانيةِ. قال النبيُّ ﷺ: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضّعيفِ». كان مشايخُنا يتجوّلونَ في الوقتِ المُناسبِ صَباحاً ومَسَاءً.

إنْ أرادَ التّعديلَ في الأورَادِ فليستأذِنْ شَيْخَهُ.

## الباب الحادي عشر

# في المعارف والحقائق

مَلْحُوظةٌ: ذُكِرَتْ في هذا البَابِ لإفادةِ السّالِكينَ مَعارِفُ وحَقائِقُ أُخِذَتْ من كُتُبِ التّصوّف المعتبرةِ.

### الدّنيا:

ذَكَر شَخْصٌ الدّنيا بسُوءٍ عنْدَ رَابِعةَ البصريّةِ فقالَتْ: لا تأتِني بعْدَ اليومِ لأنّكَ تحبُّ الدّنيا كثيراً.

مَنْ سَافَرَ في الدّنيا الماديّةِ تُصَابُ قَدَمُه بالقُروحِ، ومَنْ سَافَر في الدّنيا الروحانيّةِ يُصَابُ قَلْبُه بالغُمُومِ.

اتّصِلُوا بالدّنيا بِقَدْرِ الحَاجَةِ كالحمّامِ.

طَالِبُ الدّنيا كَشَارِبِ ماءِ البَحْرِ كلّما يَشْرِبُ يَزْدادُ عَطَشاً.

قَالَ مَلِكٌ لِفَقِيرٍ: اسْألْنِي يا فَقِيرُ ما تريدُ. فقالَ الفَقِيرُ: ماذا أَسْأَلُ عَبْدَ عَبْدي؟ فَقَالَ المَلِكُ: ماذا تَعْنِي؟ فَقَالَ الفقيرُ: الدّنيا عَبْدي وأَنْتَ عَبْدُ الدّنيا.

قِيلَ لذي النّونِ المِصْريّ رحمه الله: الجَماعةُ الفُلانيّةُ مُشْتَغِلةٌ في الفَرَحِ والطّربِ والعِصْيَانِ، فَادْعُ عَلَيْهِمْ. فقال: اللّهمّ كما مَنَحْتَ لَهُمُ الأفْرَاحَ في الدّنيا فامْنَحْ لَهُمُ الأفْرَاحَ في الآخِرَةِ.

الدُّنيا حَقِيقَتُها كَحَائِطٍ زُيِّنَ بِوَرَقِ الفِضّةِ أو كَعَجُوزٍ أُلْبِسَتْ ثياباً جَمِيلةً.

لَوْ قَامَ النَّاسُ لِتَعْظِيمِ أهْلِ الدُّنيا فَلا تَعْجَبْ أفَلَا يَقُومُ النَّاسُ للحيَّةِ والعَقْرَبِ.

إنْ كُنْتَ تُرِيدُ مَعْرِفَةَ تَدَيُّنِ أحَدٍ، فانْظُرْ إلى دُنْياه. إنْ كَانَتِ الدُّنيا صحيحةً فالدِّينُ صَحِيحٌ.

إنْ كانَ القَلْبُ خَالِياً عَنِ الغَيْرِ، والبَطْنُ خالياً عَنِ الحَرامِ، فَكُلُّ اسْمٍ اسْمٌ أعْظَم.

قَالَ لُقْمَانُ الحَكِيمُ: تَرَعْرَعْتُ في ضَوءِ الشَّمْسِ والقَمَرِ، ولَكِنْ لَمْ أجِدْ شيئاً أكْثَرَ نَفْعاً مِنْ ضَوءِ القَلْبِ.

إنْ كَانَ القَلْبُ أسْوَدَ فلا يَنْفَعُ الأعْيُنَ اللّامعة شَيْءٌ.

يَفْسُدُ بَيْتٌ لا زِينَةَ فيه، كَذَلِكَ يَفْسُدُ قَلْبٌ لا غَمَّ فيه.

قَالَ يَحيى بْنُ مُعَاذٍ: القَلْبُ كالقِدْرِ واللِّسَانُ كالمِلْعَقَةِ. ولا تُخْرِجُ المِلْعَقَةُ إلّا ما في القِدْرِ.

سُئِلَ عليٌّ رضي الله عنه: أيُّ شيءٍ أفْضَلُ؟ فَقالَ: غِناءُ القَلْبِ. فينبَغِي أنْ يَكُونَ القَلْبُ غَنِيًا.

لا يَكُونُ في سُوقِ القِيامَةِ سِلْعَةٌ أثْمَنُ مِنْ تَطْييبِ قَلْبِ مُؤمِنٍ.

## عِبَادَاتٌ:

شَيْئانِ كَانَا عِبادةً فيما مَضَى وأصْبَحَا اليومَ عَادَةً: النِّكَاحُ والطَّعَامُ.

سَبَبُ عَدَمِ الطُّمأنينةِ في الصَّلاةِ المَعَاصِي. كَمَا لَوْ أنَّ عَامِلاً في مَصْنَعِ جِلدٍ يَذْهَبُ إلى دُكَّانِ عطَّارٍ يضيقُ نَفْسُه.

أولُ حُضُورٍ في الصَّلاةِ أن يُصَلّي بنيّةِ المَغْفِرَةِ.

أخْفَى بَقّالٌ صِيَامَه ثَلاثاً وعِشْرين سَنَةً. زَعَمَ أهْلُه أنَّه تَغَدّى في

الدُّكَانِ، وزَعَمَ أَهْلُ الدُّكَانِ أنَّه أكَلَ في البَيْتِ قَبْلَ الإِتْيانِ. لَمْ يُخْبِرْ أحداً بصِيامِهِ. هذا هو الإِخْلاصُ.

عِبادةٌ لا تُعْطي لَذَّةً في الدّنيا ماذا يَكُونُ جَزاؤها في الآخِرَةِ؟

ذَهابُكَ إلى المَسْجِدِ بَعْدَ صَلاةٍ أُخْرَى عَلامَةُ قَبُولِ الصَّلاةِ الأولَى.

وُرُودُ الخَيالاتِ المَحْمُودَةِ في الصَّلاةِ كَعَظَمَةِ اللّه تعالى والقَبْرِ والحَشْرِ والجَنَّةِ لا يُنافي الخُشُوعَ، كانَ عُمَرُ رضي اللّه عنه يقيمُ صُفُوفَ الجِهادِ في الصَّلاةِ.

قالَ الشَّيخُ النّانُوتُوي رَحِمه اللّه تعالى: الحَجَرُ الأَسْوَدُ مِقْياسٌ فإنِ ازْدادتِ الحَسَناتُ بَعْدَ الحَجِّ فَخَيْرٌ وإنْ غَلَبَ الشَّرُّ فَفَسادٌ وهَلاكٌ.

يَضَعُ الإنْسانُ في الصَّلاةِ أشرفَ الأعْضاءِ (الوجه) على أخَسِّ الأشياءِ (الأرض) ومِنْ ثَمَّ يُقالُ: الصَّلاةُ مِعْراجُ المُؤمنينَ.

## التوبة:

الإثْمُ بدايتُه كَبَيْتِ العَنْكَبُوتِ، ونِهايتُه كمرسَى السُّفُنِ والبَاخِرَةِ.

مَنْ نَدِمَ على الإثْمِ فهو وليٌّ، ومَنْ لا يُبالي بالإثْمِ فَهُو إنْسانٌ، ومَنْ يَفْرَحُ على الآثامِ فَهُو الشَّيْطانُ.

لا تَنْظُروا إلى الإثْمِ ما أصْغَرَه، بَلِ انْظُرُوا إلى عَظَمَةِ اللّه تعالى الذي تَعْصُونَه.

لَوْ تَغْلِقُونَ الأبْوابَ لإخْفاءِ المَعاصِي ليبقَى الصِّدْقُ خارجاً.

لِرَحمةِ اللّه تعالى على العَبْدِ طَرِيقانِ: الأولى: العِصْمَةُ قَبْلَ المَعْصِيةِ، والأخْرَى: تَوْفِيقُ التَّوبةِ بَعدَ الذَّنْبِ.

ذَنْبٌ يُسيئُكُم خَيْرٌ عِنْدَ اللّه تعالى من حَسَنَةٍ تُفْرِحُكُمْ.

عَلامةُ صِدْقِ التَّوبةِ ألّا يتَّهِمَ بتلك المَعْصيةِ.

لا يوجدُ شخصٌ تَرَكَ شيئاً مكروهاً ولَمْ ينَلْ شيئاً عزيزاً.

قَالَ إبراهيمُ التيميُّ: الإخلاصُ أن يُخفِيَ الإنسانُ الحسناتِ كَمَا يُخْفِي السيّئاتِ.

ارْتِكَابُ ذَنْبٍ بنيّةِ أنْ يتْرُكَ بعد المُبَاشرةِ مَرّةً أو مَرّتَيْنِ خطأٌ كبيرٌ.

كَمَا أن الشَّجَرَ لا يَسْتقلُّ ثَمَرَه كذلكَ الإنْسَان لا يستقِلُّ آثامَه.

على الوَاعِظِ أنْ يُذَكِّرَ الناسَ بآلاءِ اللّه تعالى حتّى يَشْكُروا، ويذكّرهُمْ بذنُوبِهم ليتُوبُوا، ويُذَكِّرَهُمْ عَدَاوةَ النَّفسِ والشَّيْطَانِ حتّى يَجْتَنِبُوا.

تَخْتَفِي في النَّفسِ جَميعُ الذّنوبِ كما تَخْتَفِي النّارُ في الكِبْرِيتِ.

تَشْتَعِلُ نارُ الآثامِ بمجَرّدِ حَكّةٍ.

## الشّيخُ والمُريدُ:

سُكُوتُ المُرْشِدِ أنْفَعُ للطّالب الصّادقِ مِنْ نُطقِهِ.

[illegible]

تطبخُ ـ بأيّ وقت تشتدّ قوّتَه إنْ أنزلوها فيها وإلّا تخِفّ قوّته.

مِثالُ تَفَاوتِ عددِ المُريدينَ لشيخَيْنِ كشابَّيْنِ: أحَدُهُما صَاحِبُ أولادٍ والثَّاني عَقِيمٌ، ولَكِنَّ الرّجوليّةَ سَوَاء.

يأخُذُ المُريدُ الفَيْضَ مِنَ الشَّيْخِ كَمَا يأخذُ النّاسُ العَسَلَ من النّحْلِ.

ينبغي للشيخ أن يوصِي بشيئَيْنِ: الأول: إصْلَاحُ الأخلَاقِ، والثاني: تَحْصِيلُ العِلمِ بقَدْرِ الحَاجَةِ.

يُفَكّرُ عند نَظَرِ السّوءِ أنه لو كَانَ الشّيْخُ ينظُرُ لا يَفْعَلُ، فكذلك يَستحْيِي مِنَ اللّهِ.

قَالَ غَافِلٌ لشيخٍ: مُريدُكَ يذْكُرُ مُرائياً فقال: عنده سِرَاجٌ ضَعِيفٌ فيُرجَى له المَغْفِرَةُ وما عندكَ مثله أيضاً.

مَنْ حَافَظَ على الأَوْرَادِ نَزَلَ عليه مِنَ اللهِ رحمةٌ. طُمَأْنِينَةُ القَلْبِ أمته تأتيه بدون مَشَقّةٍ.

على السّالكِ أن يَكْتَفِي على قَضَاءِ ضَرُورِيَّاتِهِ ولا يَتبعَ اللّذّاتِ. فمَنْ وَقَعَ نَظَرُهُ على امرأةٍ جَميلةٍ يأتي زَوْجَته، ولْيَقْضِ حَاجَته منها، والله الموفق.

المَجْذُوبُ وإنْ كانَ مَقْبولاً لكنه نَاقِصٌ وليس بِكَامِلٍ.

قال النبيُّ ﷺ: «إنّما أنَا لَكُمْ مِثْلُ الوَالِدِ».

[شرح السنة ج ١ ص ٣٥٦]

فالشّيخُ الرّوحانيُّ كالوالدِ وزوجَته كالأمّ.

قال الشّيخُ أمْدَاد الله المُهَاجِر المكيُّ: أبَايعُ كلَّ شَخْصٍ يرغَبُ في البيْعَةِ. لعلّه يَرَى شيخَه يومَ القيامةِ يذهبُ به إلى جهنّمَ، فيرحمُه المريدُ فلعلّي يُغْفَرُ لي بِبَركَتِهِ.

قدّمَ رجلٌ هَدِيةً إلى الشّيخِ وطَلَبَ منه الدُّعاءَ، فقال الشّيخُ: أرجِعُوا الهديةَ ليس هذا محلّ بَيْعِ الأدعيةِ.

عند خِدْمةِ الشّيخِ يَنْوِي العَمَلَ بالسُّنةِ إذْ هي ثابتةٌ بالأحاديثِ. ولكِنْ لَمْ يثبتْ دهنُ الرأسِ بالرواياتِ فينبغي نيةُ ضرورةِ البَدَنِ.

ليَحْسَبِ الشّيخُ المُريدَ الآثِمَ كوجْهٍ جميلةٍ أصَابَه حِبْرٌ أسْوَدُ لو اغْتَسَلَتْ ظَهَرَ وجْهٌ مُقْمِرٌ.

العَارِفُ بالحَقّ يراعي الشُّؤونَ والتجلّياتِ لما وجدَ النّبيّ ﷺ غلبة تجلياتِ المحبوبيّةِ رأى أنّ اللهَ تعالى يُريدُ أن يفخرَ، فقال: «اللّهمّ إن تَهْلكْ هذه العِصَابةُ اليومَ لا تُعْبَدْ».

[سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٧]

رَأَى أيّوبُ عليْه السلام أنّ اللهَ تعالى يُحِبّ أن يَرَى منه الصّبْرَ، فلَمْ

يدعُ للشفاء. ولمّا انْكشفَ له أنّ اللهَ يُحبّ إظهارَ العبديّةِ قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

ليكنِ الشيخُ لِساناً والمُريدُ أُذناً، ويَنبغي للمَشايخِ ألّا يطْلِعُوا عامّةَ المريدينَ بأمورٍ بيْنهِمْ فإنه مُضِرٌ وليس بنافعٍ.

الفاني لا يُردّ كالبالغِ لا يَرْجِعُ إلى الصبيّ، والثمرُ النّاضِجُ لا يعُودُ نيئاً.

## التّقوى:

التّقوى: أنْ لا يأخذَ أحدٌ برقبَتِكَ يَوْمَ القيامةِ.

التّقوى: أنْ يُجسّدَ متمنياتِ القَلْبِ فيوضعَ في الطّبقِ ويعرضَ في الأسواقِ فلا يكونَ ندامةٌ.

وُلِدْنا في زمانٍ اسْتعاذَ السّلفُ الصالحون منه مَعَ اتّصافهم بالعِلْم والتّقوى.

ورُودُ الوساوسِ رَحْمةٌ لا ينافي التّقوى. والحِكْمَةُ فيه أن يَنقطِعَ بها أساسُ العجبِ. و«ذلكَ صَريحُ الإيمانِ».

تتعلّقُ الولايةُ بالإيمانِ والتّقوى، وهُمَا تتعلّقانِ بقلْبِ الإنسانِ.

التّقدّمُ بدونِ التّقوى كجُثّةٍ منفوخةٍ لا رُوحَ فيها.

## الذّكرُ والمُراقبةُ:

السّالكُ يَطْمئنُّ بالمُراقبةِ كَمَا يطْمئنُّ الولدُ في حِجْرِ أمّه.

يُحفَرُ البئرُ فيخْرُجُ الرّملُ أولاً ثمّ الماءُ. كذلكَ المُبْتدِئ يَرِدُ له الوساوسُ أولاً في المُراقبةِ ثم يَحْصُلُ الاطْمِئنانُ والعُزْلةُ.

السّالكُ كالنّائمِ يعرفُ بعد اليقظةِ أنّ المَحْبُوبَ الحقيقيَّ عنده.

سكرُ الذّكرِ يُخفّفُ خَيالَ الوجُودِ.

الأفضَلُ عِنْدَ سَماعِ الأذانِ تركُ الذّكرِ والردُّ على المؤذّنِ.

إنْ لم يطمئنّ في المُراقبةِ فليُراقِبْ يوماً وليترك يوماً.

## الدّعاء:

الدُّعاء الحَقيقيُّ ما يَخرُجُ مِنْ جميعِ أعْضاءِ الجِسْمِ.

كانَ الشّيخُ عُثْمان الخَيْر بادي يُعْطِي المالَ للمشترين مُقابِلَ العُمْلةِ المزيّفة، ودَعَا عند المَوتِ وقالَ: «اللّهُمّ إني قَبلتُ مِنَ النّاسِ العُمْلَةَ المزيّفَة، اللّهُمّ فَتقبّلْ مني الأعْمالَ المزيّفَة، فتقبّلَ اللّهُ دُعَاءَهُ».

كَانَ الشّيخُ شهابُ الدين الخَطيب يَدْعُو اللّه تعالى ويَقُولُ: اللّهُمّ لا يَكُنْ عندي أحدٌ عند المَوْتِ لا قَرِيبٌ ولا أجْنَبيٌ ولا مَلَكُ المَوْتِ، أكُونُ أنا وأنْتَ فَقط.

الدّعاءُ في الوَقْتِ المُناسب يَرُدُّ البَلاءَ وبَعْدَ النزولِ لا يُزيلُ المُصيبةَ ولكِنْ يُخفّفُها.

لَو تَدْعو عند شاطِىءِ البَحْرِ بالشّوقِ الكَامِلِ تأتيكَ الأمْوَاجُ بالأصْدافِ المليئةِ باللآلئ.

كانَ الشيخُ أبو الحَسَنِ النّوري رَحِمَه اللّه يَدْعُو بهذا الدّعاءِ:

اللّهُمّ إنْ لَمْ تَغْفِرْ لي فَامْلأْ مني جَهنّم واغْفِرْ لِسَائِرِ النّاسِ.

مِنْ فَوَائِدِ الدّعاءِ أنّ الإنسانَ يَقُولُ يَوْمَ القِيامَةِ: اللّهُمّ إني دَعَوْتُكَ أنْ تجعلَني صَالِحاً فيعذر.

عِلَاجُ الحَسَدِ أنْ يَدْعُوَ للمَحْسُودِ أن تُرْفَعَ دَرَجاتُه.

## العِلْمُ والعَمَلُ:

الإخْلاصُ ألاّ يَطْلُبَ الإنْسَانُ جَزاءَ أعْمَالِهِ.

مَثَلُ العَالِمِ الذي لا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ كَمَثَلِ اليَاقُوتِ الأحْمَرِ يَجْعَلُ غَيْرَه ذهباً ويَبْقَى هُوَ حَجَراً.

مَثَلُ عَالِمٍ لا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ مَثَلُ مَرِيضٍ عنده دَوَاءٌ ولا يتناولُه.

كَمَا أَنَّ السِّرَاجَ لا يضيءُ بدونِ إشعالٍ، كذلكَ العِلْمُ لا يَنْفَعُ بدون العَمَلِ.

عالِمٌ لا يَعْمَلُ بعلمِه كمِلْعَقَةٍ في أَطْعِمَةٍ لا تعرفُ لِذَّته.

تعلّم العِلْمِ وازدياده غير مفيدٍ ما لم يَزْدَدْ مَخَافَةَ اللّٰه تعالى.

الجِدّ بأيدينا والتوفيقُ بيدِ اللّٰه تعالى، وعلَيْنا أن نَسْتَعْمِلَ ما في أيدينا.

الإنسانُ المتَعَطِّلُ شَرٌّ مِنَ المَيتِ لأنَّ الميّتَ يشغلُ مكاناً قليلاً.

قالَ الشَّيخُ أبو يزيدَ البسطاميّ: إني جَاهَدتُ نَفْسي ثَلاثينَ عَاماً فلم أرَ شيئاً أشقَّ مِنَ العَمَلِ بالعِلْمِ.

استَشْفَعَ القاضي البَيْضاويّ شَيْخاً لِقَضاءِ شيراز، فكَتَبَ في خِطَاب الشَّفاعةِ: إنّ هذا رَجُلٌ صَالِحٌ عَالِمٌ فاضِلٌ يريد مكانَ سجادةٍ في جهنّم.

كَمَا أنَّ العَمَلَ للخَلْقِ رياء كذلك تركُ العَمَلِ للخَلق رِياء.

لا يجوزُ النّقد على العَالِمِ السّيىءِ العَمَلِ لأنه يَدّعي العِلْمَ دون العَمَلِ.

قالَ عُمَرُ رضي اللّٰه عنه: لا يَتَبَايعْ في أسواقِنا إلا مَنْ يكونُ فقيهاً. سبحان اللّٰه! جَعَلَ كل الدّولة مدرسةً.

## للعُلماء الكِرام:

كَسْرُ تمرُّدِ النَّفسِ داخلٌ في إماطةِ الأذى عن الطَّريقِ.

المَرضُ الرُّوحانيُّ المُنْتَشِرُ اليوم: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩].

قال ابنُ كَثير رحمه اللّٰه في البداية والنهاية: النَّاسُ يظنّونَ أنَّ أكْبَرَ

كرامةٍ للصَّحابةِ رضي الله عنهم أجمعين، أنَّ جُنْدَ سَعْدِ بن أبي وقَّاص رضي الله عنهم عَبَرَ بَحْرَ دِجْلَة ولَكِنْ أَكْبَرُ كَرامةٍ لَدَى المُحقِّقِينَ أنَّ خزائنَ القَيْصَرِ والكِسْرَى مَالَتْ قُدّامَهم فَمَشَوا فيها مُحافِظِين على إيمانِهم.

لا حَرَجَ في النِّسبة إلى النقشبندي والجشتي، قال يوسفُ عليه السَّلام: ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ [يوسف: ٣٨]، وكان عليه السلام متبعاً لِشَريعةٍ أنْزَلَها الله تعالى.

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ الآية، [التوبة: ٢٤] يُفْهَمُ منه أنَّ الصَّبْرَ يَنْصَرِفُ عنِ الأدْنَى عند حُضُورِ الأعْلَى.

يُسْرِعُ النَّبضُ عند ذِكْرِ الحَبيبِ وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢].

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

أسْنَدَ كِتابةَ الحَسَناتِ إلى نَفْسِه. نَفْدي بأنفسنا على هذا الإكْرامِ.

لو سُلِبتْ نِعْمَةٌ بغيْرِ ذَنْبٍ يُجْزَى بأحْسَنَ منها. يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦].

سَأَلَ شَخْصٌ الشَّيْخَ أبا يزيدَ البسْطاميَّ وقالَ: لِمَاذا تُثْنِي على الجُوعِ كثيراً؟ فقال: لو أصابَ فِرْعونَ جُوعٌ لما قال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤].

وَقْتُ مَنْهجِ الدَّرسِ النِّظاميِّ للعلماءِ ثمانيةُ أعْوام. والشَّاهدُ له أنَّ مُوسَى عليه السَّلام عَهِدَ لخدمةِ شُعيبٍ ثماني سنين. ولَكِن للتخصّص في الحَديثِ أو الفقْهِ ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ﴾ [القصص: ٢٧].

يَجُوزُ نِسْبَةُ الأوْلادِ إلى أبي الأمِّ. قال تعالى: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ

وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤، ٨٥].

ومَعْلومٌ أنَّ عيسى ابنَ مريمَ لم يَكُنْ لَهُ وَالِدٌ.

نَفَقَةُ زَيْتِ سُرُجِ بَعْضِ السَّلَفِ يكونُ أكثرَ مِنْ نَفَقَةِ طَعَامِهِم.

تَنْبِيهٌ عَظِيمٌ للعُلَماءِ غيرِ العَامِلِينَ في قوله تعالى: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠١].

سُئِلَ الإمامُ باقِرٌ عن تفسير قول الله عز وجل: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فأجابَ: كلّ مَنْ شَغَلَكَ عَنْ مُطَالَعَةِ الحقِّ فهو طَاغُوتُكَ.

قَالَ الشَّيْخُ حبيبٌ العَجَمِيُّ رَحِمَه الله: رِضَا اللهِ تعالى يَكُونُ في قَلْبٍ ليسَ فيه غُبارُ النِّفَاقِ.

قال عبد الله بن المبارك: السّكونُ حرامٌ على قُلُوبِ الأولياء.

العبدُ شأنه: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [النمل: ٤٤]، والمَعْبُود مِنْ شأنِه: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ﴾ [الزخرف: ٦٨].

قال الشَّيخُ أبو يزيد البسطاميّ: مِنَ المَحبَّةِ أن يَسْتَقِلَّ المحبُّ ما يعطى هو، وأن يستكثرَ المُحِبّ ما يعطيه المَحْبُوب، فقوله تعالى: ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]، وقوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] دليلٌ على محبَّةِ الله لِخَلَائِقِهِ.

المُرادُ بقوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر: ١].

## حُسْنُ الصَّوتِ:

كان الشّاهُ مينا يدرسُ شَرْحَ الوِقايةِ. فلمَّا وَصَلَ إلى كِتابِ الزَّكاةِ تركَ الدِّراسةَ، فسألَ الأستاذُ لماذا تَركْتَ الدِّراسةَ؟ فقال: المَقْصُودُ مِنَ

العِلْمِ العَمَلُ، والصَّوْمُ والصَّلاةُ فَرْضانِ، فعِلْمُهما فَرْضٌ، وعندما تُفْرَضُ الزَّكاةُ أتعلَّمُ مسائِلَها. سبحان الله! كَانَ السَّلَفُ يَعْمَلُونَ بِكلِّ ما يَتَعَلَّمُونَ.

قَالَ شَخْصٌ لشيخِ الإسلامِ عِزِّ الدين بنِ عبد السَّلام: قَبِّلْ يَدَي السُّلطَانِ، فقالَ: واللهِ لا أرْضَى أن يُقَبِّلَ السُّلْطَانُ يَدِي، فضلاً عن أن أُقبِّلَ أنا يَدَه.

قَدَّمَ إلى الميرزا مظهر جَانِ جانان سُلْطَانُ الوَقْتِ عِقاراً كبيراً فقال: إنَّ اللَّهَ تعالى قال عن جميع الدنيا: ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧] وأُعْطِيتَ شيئاً قليلاً مِنْ هذا القَليلِ، ثم تعطيني قليلاً جدًا من هذا القَليل فأنا أستحيي من قَبُولِ مثل هذا.

جَلَسَ شيخٌ قُدَّامَ أميرٍ باسِطاً رِجْلَيْه. قال الأمير: أعْطُوا له هِمياناً مليئاً بالدنانير. فقال: مَنْ يَبْسُطْ رجليه يَقْبِضْ يَدَيْهِ.

يُنْوَى عند استِخْدامِ الطِّيبِ رضاء الله تعالى، فقد قِيلَ: مَنْ تَطَيَّبَ لله فلَهُ أجْرٌ.

قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]. فيه سِلْوانٌ عظيمٌ للسَّالكينَ.

نَادَى بَائِعُ القِثَاءِ: الخِيارُ العَشَرةُ بدانِقٍ، فصَرخَ الشَّيْخُ الشِّبْلي وقال: إذا كَانَتْ هذه قِيمَةَ عَشَرَةِ خِياراتٍ فما ثَمَنُنا نَحْنُ الأشْرار.

قَالَ الشَّيخُ جُنَيدٌ رحمه الله تعالى عَنِ الأحْوالِ والمَوَاجِيدِ: تِلْكَ خَيَالاتٌ تُرَبَّى بها أطْفالُ الطَّرِيقةِ.

صَدَرَ عن لِسَانِ صَحابيٍّ رضي الله عنه: ما شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، فقال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «أجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا. بَلْ ما شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ».

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ١].

في الجزء الأوّلِ ذُكِرَ حِفْظُ الكِتابِ، وفي الجزءِ الثاني أمرَ القِراءةِ بالفَهْمِ. فَمِنَ الخَطأ أنْ يُقالَ إنَّ القِراءةَ بِدُونِ الفَهْمِ غيرُ مُفيدٍ.

يُحِبُّ اللّٰه تعالى أنْ يُسهِّلَ للعَبْدِ وهذا معنى قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

تَوجيهٌ عَجيبٌ في قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦] أي لا تَحْسَبُوا عِبادَتَكُمْ كامِلةً حتى تَفْتَخِرُوا ولا ناقِصَةً جدًّا حتّى تَظُنُّوها مُهْمَلةً.

مِنْ رَحْمَةِ اللّٰه عَدَمُ اطّلاعِ العَبْدِ بما سيأتي غداً. قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [المؤمنون: ٧١].

ابْتُلِيَ الشَّيخُ أبو الحَسَنِ النُّوري رَحِمَه اللّٰه بِوَجْدٍ بِسَماعِ بَيْتٍ، فسألَ النّاسُ جنيداً: لماذا لا يَحْدُثُ لك أحْوالٌ؟ فقال: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النمل: ٨٨].

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]. يُوجَدُ فيه مِثالٌ للسَّلاسِلِ الأرْبعِ.

يَكْفي في المهمّاتِ التَّشاورُ بواحِدٍ أو اثنين. قال تعالى: ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

يزولُ الفَخْرُ بالعِلْم بقوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]. كَيْفَ يَفْخَرُ بالعِلْمِ أو العَمَلِ مَنْ يُدرِكُ مَعْنى هذه الآيةِ؟

يُسْتَدَلُّ على جَوازِ قِراءةِ الجَريدةِ بأن رَسُولَ اللّٰه ﷺ كان يَتَفَقَّدُ أصْحابَه.

إذا حَضَرَ العَشاء والعِشاء فابدأوا بالعَشاءِ.

يجوزُ كَسْبُ الدُّنيا والمنهي حُبُّ الدُّنيا. بَلْ مِنْ كَمالِ الرَّحمةِ أنه

نَهى عن جَعْلِ الدّنيا أحبّ حيث قال: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ الآية، [التوبة: ٢٤].

يُجاوزُ المُؤمنونَ الصّراطَ فتقولُ جَهَنّمُ: يا مُؤمنُ أسْرِعْ فإنَّ نُورَكَ أطفأَ ناري.

إذا رَأى أهلُ الدّنيا يومَ القيامةِ أُجورَ الفقراء يقُولونَ: «يا لَيْتَ جُلُودَنا قُرِضَتْ بالمَقاريضِ فنُعطَى مثل ما أُعطوا».

لو يأتي يوماً نداءٌ: إنّكَ مِنْ أهلِ الجنّةِ ويأتي غداً نداءٌ: إنّكَ مِنْ أهْلِ النّارِ، يجبُ أنْ لا يقعَ أي تفاوتٍ في العباداتِ.

الصّبْرُ على كَلامِ الجُهّالِ زَكَاةُ العَقْلِ.

عَدَدُ مَنْ يَمْرضُ بكثرةِ الأكلِ أكْثرُ مِنْ عَددِ من يمرضُ جُوعاً وفَاقةً.

مَنْ يَعْمَلْ بالصّدقِ يَقَعْ كلّ قَدَمٍ منه على صَدْرِ الشّيْطانِ.

العَجَبُ أنّ الإنسانَ يَبسطُ يَدَه أمامَ الدّنيا ويَشْكُو مِنَ اللهِ تعالى.

يقدّر قوّةَ العَاداتِ السّيئةِ عندما يُحاوِلُ تَرْكَها.

تُنالُ الجنّةُ بِنِصْفِ ما يَشْتَري به النّاسُ جهنّمَ.

يجبُ المعذرةُ للاعْتِزالِ مِنْ أحدٍ. ولا تَنسَوُا الفَضْلَ بيْنَكُم.

كَرَاهةُ المُخَاطَبِ ليس بعُذْرٍ لِتَرْكِ التّبليغ يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ [الزخرف: ٥].

الإثْمُ ما حَاكَ في صَدْرِكَ.

حقيقةُ مكّةَ تجلّي الألوهيّة، وحقيقةُ المَدينة تجلّي العبْديّةِ، وحقيقةُ عَرَفَاتٍ أهميةُ الحُضُورِ.

[illegible] أنّ اللهَ يخففُ ألمَ المؤمنِ في جَهنّمَ.

## المنثورات:

تَجْتَمِعُ في الجَنَّةِ بإذْنِ اللَّهِ الحُورُ والخُمُورُ والتَّقَرُّبُ إلى اللَّه تعالى.

يُمْكِنُ أن يكونَ عَمَلٌ واحِدٌ مُحَرَّماً في وقْتٍ ومُبَاحاً في وقْتٍ آخَرَ. فالنَّظَرُ إلى الفتاةِ قَبْلَ النِّكاحِ حَرامٌ، وبَعْدَ النِّكاحِ قُربَةٌ لأنها أصْبَحَتْ زَوْجَةً.

النَّهْيُ عَنْ إسبالِ الإزارِ أشدُّ تأكيداً من الأمْرِ بإرْخاءِ اللِّحْيَةِ.

مِثالُ عَدَمِ التأثيرِ باللِّسانِ كَرَجُلٍ مِنَ العَوامِّ يأمُرُ الشرطيَّ بالعَزْلِ لو أمَرَهُ مائَةَ مَرَّةٍ لا يُفيدُ، بَلْ يُعاقِبُه الشرطيُّ. ولَوْ أمَرَهُ الوزيرُ مَرَّةً يَنْعَزِلُ، فابْتَغُوا عند اللَّه مَقاماً ثم ما يَخْرُجُ مِنَ اللِّسانِ كانَ مؤثِّراً.

ضَرَبَ الشاهُ أبو سَعيدٍ رَحِمَه اللَّه تعالى للسَّلاسِلِ الأربعِ مِثالاً أربعة أنهارٍ هكذا:

نَهْرُ الماءِ نِسْبَةٌ سهروردية.

ونَهْرُ اللَّبَنِ نِسْبَةٌ نقشبندية.

ونَهْرُ الخَمْرِ نِسْبَةٌ جشتية.

ونَهْرُ العَسَلِ نِسْبَةٌ قادرية.

العُمْدَةُ في الطِّبِّ الجسمانيِّ المَعِدَةُ وفي الطِّبِّ الروحانيِّ الدماغُ.

أنْ تَدْرُسَ الانكليزيةَ وتَتَدَيَّنَ خَيْرٌ مِنْ أنْ تَدْرُسَ العربيَّةَ وتلحدَ.

حَقيقةُ الصَّبْرِ أن تَحَمُّلَ المصيبةِ الصغيرةِ للرَّاحةِ الكَبيرةِ يَسيرٌ.

الشَّريعةُ تحريضُ الإنسانِ للأعْضاءِ والجَوارِحِ، والطَّريقةُ تَحْريضُ الأعضاءِ والجَوارِحِ للإنْسانِ.

مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ في حَياتِهِ يكونُ خامِلَ الذِّكْرِ بعد مَوْتِهِ، ومَنْ حاوَلَ إخْفاءَ نَفْسِهِ يكونُ مَعْروفاً بعد وَفاتِهِ.

الطُّهْرُ المتخلّل في مُدّةِ الحَيْضِ حَيْضٌ، كذلك صِدْقُ الكَذّابِ يُعْتَبَرُ كِذْباً.

مِنَ المجرّبِ أنّ الطّفلَ الذي يَحْفَظُ سُورةَ يوسفَ أولاً يحفظُ القُرآنَ سَريعاً.

أثَرُ دُعاءِ المُرْشِدِ قويٌّ جدًا. آمَنَ أبو هريرة قبلَ وَفاةِ النبيِّ ﷺ بثلاثِ سِنينَ، ولكنّه أكثرُ الصّحابةِ روايةً لِقُوّةِ حِفْظِهِ بدعاءِ النبيِّ ﷺ له.

قَضاءُ الشّهْوةِ في غَيْرِ مَحلّه حَرامٌ، كذلكَ الغَضَبُ في غَيْرِ مَحلّهِ حَرامٌ.

لَطَمَ الشّيْخَ أبا سَعيدٍ أبا الخَيْرِ رَحِمَه اللّه تعالى عَدُوٌّ له، فَنَظَرَ إليه الشّيْخُ، فقالَ العدوُّ: والقَدَرُ خَيْرُه وشَرُّه مِنَ اللّه تعالى، فقالَ الشّيْخُ: أحبُّ أنْ أنظرَ أنَ أيِّ وجهٍ أصابَهُ سَوادٌ؟

ماذا يكُونُ بروايةِ كَلامِ الأكابرِ فقط؟ انْظُر كيف يَنْطِقُ الببّغاءُ مثل الإنْسانِ تَماماً هو يُصْبِحُ إنساناً؟ كلّا.

الصّبْرُ الحقيقيُّ أنْ يعدَّ إصابةَ البَلاءِ كانتهائهِ.

العَاقلُ مَنْ يقولُ في أوّلِ يومٍ مِنْ إصابةِ البَلاءِ ما يفعلُ في اليومِ الثّالثِ.

لو تَجْعَلُونَ العالَمَ كلَّه مُضْغَةً وتَضَعُونَه في فَمِ الضّيفِ لا يؤدّى حَقُّ الضّيافَةِ.

انتَفِعُوا بِمِصْباحِ الصّدْقِ مهما رأيتمُوه مُضِيئاً ولا تَنظُروا إلى حامِلِه.

وِلادةُ كلِّ مَولودٍ تدلُّ على أنّ اللّه تعالى لم يَيْأسْ مِنَ العِبادِ.

إنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا أنْ تَنْفَعُوا مُسْلماً فلا تَضُرُّوهُ، وإنْ لَمْ تَسرُّوهُ فلا تُحزِنُوهُ، وإنْ لم تُثْنُوا عليه خَيْراً فلا تغْتابُوهُ.

ليس مِن مُسلماتِ الهندسةِ فقط، بل مِنْ مُسلماتِ الأخلاقياتِ أيضاً. إنّ الخطَّ المُستقيمَ أقلُّ الخُطوطِ مَسافةً.

خطأً لَمحةٍ خلالَ مُدةِ مائةِ سَنةٍ يُحوِّلُ جهةَ الإنسانِ مِنَ المشرقِ إلى المغربِ.

لا تحجُبوا الوجْهَ بعد الخطأ بإزارِ حيلةٍ لأنّ ذلك الإزارَ أكثرُ وَسخاً من الوجْه.

لا تتخذوا اللئيمَ صديقاً. فإن الفحْمَ الحارَّ يُحرقُ اليدَ، والفحْمَ الباردَ يسوِّدُ الوجْه.

عندما يشبعُ البَطْنُ تُصابُ جميعُ الأعضاء بجوعِ الشَّهوةِ.

الذبابُ أحْرَصُ الحَيواناتِ والعنكبُوتُ أقنعُها، فجعلَ اللهُ تعالى الذبابَ غذاءً للعنكبُوتِ.

لو كَانَ وَساوسُ الإنسانِ حُجةً شرعيّةً لكانَ كثيرٌ من الزّهادِ مُشاغباً.

النَّظرُ طاهرٌ ما لم يُرفعْ.

وعَظَ عبد الله بن المُباركِ رحمه الله: أنِ اتركُوا نَظرَ سوءٍ توفقوا خُشوعاً واتركوا الفحْشَ تُعطَوا حِكْمَةً.

قالَ شيخٌ لشابٍّ وكَانَ يَفحُشُ في كلامه: انظُر الذي ما ترسلُ به رسالةً إلى الله تعالى؟

لو كَانَ الكِبْرُ عِلماً لكانَ فيه مُتخرِّجُونَ.

رِضاكَ مِنَ اللهِ تعالى عَلامةُ أنّ اللهَ تعالى راضٍ عنك.

الذي يَستفيدُ ويشكُرُ فهو يؤدي أول جزءٍ من الدَّين.

امشُوا مُتواضِعينَ وإلّا تزلّوا وتسقُطوا.

المَكْرُ كبِطانيَّة صغيرةٍ إنْ تُغطّوا بها الرأسَ تتكشّفُ القَدَمُ.

دَعَا موسى عليه السَّلام ربَّه: ربِّ كفَّ عني لسانَ الخَلْقِ، فقال: إنْ كُنْتُ فاعِلَه فعَلْتُه لِنَفْسي.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [البقرة: ٦٠] حقٌ. ولكن «كُلُوا ناكُلُو» (معناه: كُلُوا إلى الحُنْجُرَة) باطِلٌ.

لو لمْ تكُنْ حاجَةُ البَطْنِ لم يَقَعْ حيوانٌ في الشَّبكَةِ.

شَجرةُ صَنْدلٍ تطيِّبُ نَصْلَ فأسٍ يَقْطَعُها.

قال الشَّيخُ المجدِّدُ: لم تبقَ أمنيةٌ سِوَى اتباعِ السُّنةِ.

البَرَكةُ في هديَّةٍ وصَلَتْ بدونِ إشْرافِ النَّفْسِ.

لِلَّبَاسِ ثَلاثُ دَرَجاتٍ: الأولى لِباسُ رَاحَةٍ وهو واجِبٌ، والثانية لِباسُ زينَةٍ وهو جائزٌ، والثالثة لِباسُ رياءٍ وهو مَمْنُوعٌ.

سَعَادَةٌ عَظيمةٌ أنْ يَكُونَ الإنسانُ موحِّداً ومؤدَّباً أو يكونَ مؤدَّباً وموحِّداً.

الشَّاهُ شُجاعُ الدّينِ الكِرْمانيُّ أحيا الليالي أربعينَ عاماً. نامَ يَوْماً فرَأى اللهَ تعالى في المَنامِ فقال: اللَّهُمَّ إني الْتَمَسْتُكَ في اليقَظَةِ ولكِنْ وجَدْتُكَ في المَنامِ، فقال: بِبَرَكةِ يقَظَتِكَ وجَدْتَني في مَنامِكَ.

لو وَضَعْتَ بَيْضَ الإوزِّ تحتَ الدَّجاجِ يُنْسَبُ الفَرْخُ إلى الدَّجاجِ وإنْ كانَ أكبَرَ منه. كذلك المُريدُ يتقدَّمُ ما يتقدَّمُ ولكنه وَلَدٌ رُوحانيٌّ لشَيْخِهِ.

يَجُوزُ العِقابُ على الخَطأ كما أمرَ بالصَّدقةِ بالجِماعِ في الحَيْضِ.

حَقيقةُ التَّوسّلِ أنْ يَقُولَ العَبْدُ: اللَّهُمَّ إنَّ فُلاناً مَقْبُولٌ عندكَ وأنا أحِبُّه فارْحَمْني ببركةِ هذا الحبِّ في الله.

إنْ لَمْ تَسْتَطِعِ العَمَلَ بالأفضلِ فالأحسنُ العَمَلُ بالمُباحِ، فإنْ لم تستطِعْ أنْ تقُومَ للتهجّدِ فَصَلِّ قبلَ النَّوم.

يا صديقي إنّكَ ذاهبٌ إلى بيتِكَ الحقيقيِّ ولكنْ ببطءٍ. الحَيَوانُ أيضاً يُسْرِعُ إلى البَيْتِ الأصليِّ.

وساوسُ الشيطانِ كَسِلْكِ الكَهْرُباء خُذْه للتقريبِ أو للتّبعيدِ يُمْسِكُكَ.

حُبُّ الزوجةِ إنْ لم يكنْ سبباً للغفلةِ عَنِ الدّينِ فَمَحْمُودٌ بل هو مَطْلوبٌ.

أوصى الإمامُ أبو حنيفةَ لأبي يوسفَ: لو ناداكَ أحدٌ مِنْ وَرائِكَ فلا تُجِبْه. مِنَ الوَراءِ تُنادى الحَيَواناتُ.

استَتابَ النَّبِيُّ ﷺ امرأةً مِنَ النَّوحِ فقالَتْ: يَبْقى عليَّ دَيْنُ نَوْحةٍ، سأتوبُ بَعْدَ أداءِ الدّين. فقال: نَعَمْ فذهبت ثم رجعت من الطَّريق، هذه هي الحِكْمَةُ.

لا تَتَكلَّمْ بكَلامٍ يُؤذي غَيْرَكَ. هذا يَضُرُّ السُّلوكَ.

سأل المُريدونَ المَنْصُورَ الحَلّاجَ قَبْلَ أن يُصْلَبَ ما الفَرْقُ بيننا وبين الذين يرمُونَكَ بالحِجارة؟ فقال المَنْصُورُ: لَكُمْ أجْرٌ ولَهُمْ أجرانِ أنتم تُحْسِنُونَ بي الظَّنَّ وهُمْ يُراعُونَ الشّريعةَ، وحُسْنُ الظَّنِّ فَرْعٌ والشَّريعةُ أصْلٌ.

حبُّ الشَّيخِ ليس داخلاً في حبِّ غيرِ الله.

رأى إبراهيمُ عليه السّلام القَمَرَ فقال: هذا رَبِّي. هذا في الظَّاهِرِ شِرْكٌ، ولَكِنْ في الحَقيقةِ إبطالُ الشِّرْكِ.

قال الإمامُ باقِرُ رَحْمَةُ الله عليه: مَوْتُ القَلْبِ يَنْشأُ مِنَ الشَّهواتِ النَّفسيّةِ والأحياءُ هُمُ الذين يَسْمَعونَ بتدبُّرٍ.

مَنْ لَمْ يُقَدِّرِ النِّعْمَةَ تُسْلَبْ منه النِّعمةُ وهو لا يَشْعُرُ.

إنْ وجَدْتَ العجبَ بالعِظَةِ فعِظْ وأنتَ تقرأُ مِنَ المَكْتُوبِ حتى يقولَ الناسُ: هذا عاجِزٌ يخطبُ مِنَ المَكْتُوبِ.

الحِقْدُ أنْ يَكْتُمَ الإنسانُ في نَفْسِهِ سوءاً لغيره باخْتِيارِهِ ويدبّر لإيذائه وإن أصابَكَ عَنْ أحدٍ سيئةٌ حتى لا تحبَّ لِقَاءه فهذا انْقِباضٌ. وعِلَاجُه أن يَدْعوَ له في غَيْبَتِهِ.

النَّظَرُ على قلةِ مَالِ الدّنيا علامةُ حُبِّ الدّنيا.

مِثَالُ المُتَبَاهِينَ في المَالِ كَحَامِلي نَجَاسةٍ يَتَبَاهَوْنَ في سَلَتَيْ نَجَاسَة.

عندما كَانَ أحدٌ يَشْكُو الفَاقَةَ عند إبراهيمَ بن الأدهمِ قال: لا تَعْرِفُونَ قيمةَ الفَاقَةِ. سَلُونا عنها. اشتريناها بدولةٍ.

طَرِيقُ تَخْفِيفِ حُبِّ المَرْأةِ لِلْحِلْيةِ والمَلَابِسِ أنْ تلبسَ في البَيْتِ مَلَابِسَ طَيِّبَة، وعندما تَذْهَبُ إلى بَيْتٍ آخَرَ تَلْبِسُ ثياباً بِذْلَةً.

أُلْهِمَ ابنُ عَطَاءِ الإسكندريّ مِنَ اللّه تعالى أنّي رَزّاقٌ حتى لو تَدْعُو أن لا أرْزُقَكَ لأرزُقُكَ، فعندما تسألُني للرّزقِ بَاكياً فكَيْفَ لا أُعْطِيكَ.

ضَافَ الإمَامُ الشافعيُّ عِنْدَ الإمامِ مَالِكٍ فَغَسَلَ الإمامُ مَالِكٌ أولاً وبدأ الأكلَ حتى يَأْنَسَ الضَيْفُ.

الفَارِقُ بين مَاءِ النَّهرِ ومَاءِ العَيْنِ الحُبّ والخَمَاسُ.

نِسَاؤنا الشَّرقيَّاتُ عامّةً عَاشِقَاتُ الأزْواجِ وقَاصِرَاتُ الطَّرْفِ. النساء تحت الرِّجَالِ طَبْعاً، والرّجُلُ تحتَ المَرْأةِ حبّاً.

إنْ كَانَ الشَّيخُ سِرَاجَ السَّحَرِ فالشَابُ سِرَاجُ المَسَاءِ.

الهَدَفُ مِنْ ترجيحِ حُقُوقِ العِبَادِ على حُقُوقِ اللّه تعالى تَعْلِيمُ الإيثارِ.

ما خُيِّرَ النبيُّ ﷺ بين أمرينِ إلّا اختار أيْسَرَهما. وفيه إظهارُ كَمالِ العَجْزِ وإظهارُ كَمالِ العبديَّةِ.

استأذنَ رَجُلُ الشيخَ الحاجَ أمْداد الله المُهاجِرَ المكيَّ للإقامَةِ بمكّةَ المُكرّمَةِ فقالَ: إنْ تَسْكُنْ بالهِندِ وقلْبُكَ معلّقٌ بمكّةَ خيرٌ وأحْسَنُ مِنْ أنْ تَسْكُنَ بمكّةَ وقلْبُكَ مُعلّقٌ بالهِنْدِ.

يُمْكِنُ أن تجْتمِعَ الشَّجاعةُ والتّدبيرُ. الأسَدُ ما أشْجَعَهُ ولكِنّه يَصِيدُ مُخْتَفِياً.

العَوَامّ تَزْعَمُ الشركَ توسّلاً والعُلَماءُ (المتشدّدون) يَزْعَمُونَ التوسُّلَ شِرْكاً.

الحَرَمُ كالرَّحِمِ يَكْبُرُ الولدُ فيزداد الرَّحِمُ كذلك يتّسِعُ الحَرَمُ عند ازْدِيادِ الحُجّاجِ.

اللّهمّ إني وإن عصَيْتُكَ لكِنْ لا أقْنَطُ مِنْ رَحْمَتِكَ. دفَعَني إليك خِيانةُ الدّنيا، وثبّتني عِلْمي بِلُطفِكَ وكَرَمِكَ على بابِكَ.

اللّهمّ لم تقْلِلْ كَرَمَكَ فكيف يُرْجَى غيْرُكَ؟ ولمْ تغيّرْ عادَتَكَ فكَيْفَ يُسألُ غيرُكَ؟

اللّهمّ مَنْ وَجَدَكَ فماذا لم يَجِدْ؟ ومن لم يَجِدْكَ فماذا وَجَدَ؟

اللّهمّ وثَقّتْني جِبالُ شَهْوَةِ نَفْسي القَوِيّةِ، فكُنْ مُعيني وانْصُرْني وانْصُرْ مَنْ مَعِي.

اللّهمّ طهّرني مِنَ الشكّ والشركِ والنّفاقِ قبْلَ نُزُولي في القَبْرِ.

اللّهمّ إني أستَعينُكَ على هَوَى النّفسِ وَوَساوِسِ الشّيْطانِ.

اللّهمّ إنّكَ تَعْلَمُ أني لَمْ أُداوِمْ على طاعَتِكَ ولكِنْ لم يَخْرُجْ حبّ الطّاعَةِ مِنْ قَلْبي.

اللّٰهُمّ إني عَمِلْتُ طاعاتٍ كثيرةً، وأتقنتُ أحوالاً كثيرةً. ولٰكِنْ عَدْلُكَ قضى على اعتمادي بها، لا بَلْ صَرَفَني فَضْلُكَ عَنِ الثِّقةِ بها.

اللّٰهُمّ مَنْ كانَتْ حَسَناتُه سَيئاتٍ، فكَيْفَ لا تكُونُ سيئاته سيئاتٍ. ومَنْ كانَتْ عُلُومُه ومَعارفُه دَعاوَى صرفةً، فكَيْفَ لا تكُونُ دَعاواه دَعاوى مَحْضَةً.

اللّٰهُمّ كلما خرسَ سوئي لِسَاني أنطقني كَرَمك، وكلما أقنطتني أعْمَالي أرجأني إحسانك.

اللّٰهُمّ كَمْ تَرْأَفُ بي مَعَ عَدَمِ تفكّري لِلْعَاقِبةِ، وكَمْ تَرْحَمُني مَعَ قُبْحِ أعْمَالي.

اللّٰهُمّ إذا لم يَخْفَ عليك حالي، فكَيْفَ أشكوكَ؟ اللّٰهُمّ إذا كُنْتَ وَكِيلي فَلا تَكِلْني إلى النَّفْسِ والشَّيْطَانِ، وإذا كُنْتَ نَاصِري فلا تُخْزِني، وإذا كُنْتَ بي رَحِيماً فَقِني خُسْرانَ يوْمِ القِيامةِ.

اللّٰهُمّ إنك أكْرَمْتَني قَبْلَ وُجُودِ ضَعْفِي، فَهَلْ تَحْرِمُني مِنْ كَرَمِكَ بعد ظُهُورِ ضَعْفِي؟

اللّٰهُمّ منّي ما يليقُ لؤمي، ومنك ما يليقُ كَرَمَكَ.

اللّٰهُمّ إني مُحْتاجٌ فَقيرٌ إليك عند غِناي، فكَيْفَ لا أكُونُ مُحْتاجاً عند فَقْري؟

مَنْ لم يُقَدِّرِ النِّعَمَ حينَ وُجُودِها فَسَيُقَدِّرُها بعد فَقْدِها.

مَنْ لم يُقْبِلْ إلى اللّٰه بإحْسَانِه فسيؤتى به إليه مُوثقاً بِسَلاسِلِ البَلاءِ.

كلُّ كَلامٍ يَصْدُرُ مِنْ أي مُتَكَلِّمٍ فَلا بُدَّ أنْ يكونَ عليهِ لِبَاسٌ نُورانِيٌّ أو مُظْلِمٌ مِنْ جانبِ مَنْ صَدَرَ منه.

عَدَمُ التأسّفِ على فُقدانِ الطّاعةِ مَعَ عَدَمِ التقدّمِ إلى الطّاعةِ عَلامَةُ الوقُوعِ في الخَديعَةِ.

إنْ كُنتَ تُريدُ أن تَعْرِفَ ما منزلتُكَ عنده، فانظُر في أيِّ شيءٍ شغَلَكَ؟

مَنْ وَجدَ ثَمرةَ عَمَلِهِ لذةً وحلاوةً في الدّنيا فهو عَلامةُ قبوله في الآخِرَةِ.

مَنْ كانَ بدايةُ سُلُوكِهِ منوّراً بالتزامِ الأورادِ، فسيكونُ انتهاء سُلوكِهِ مضيئاً بالأنوارِ والمَعارفِ.

مَنْ رأيتَه مجيباً عَنْ كلِّ سؤالٍ ومبدياً لكلِّ مُشاهَدٍ ومُبيناً لكُلِّ عِلْمٍ فاعْرِفْ أنه جَاهِلٌ.

العَارِفُ مَنْ لا يَزالُ اضطرابُه، ومَنْ لا يطْمئِنُ إلا إلى اللّه تَعالى.

رَفْعُ بَصَرِكَ إلى بقاءِ الغَيْرِ وتوحّشُكَ عند فقْدِ ما سِواهُ، دليلٌ على عَدَمِ وصُولِكَ إليه.

أنْتَ تابعٌ للمَخْلُوقاتِ ما لَمْ تُشاهِدِ الخالِقَ فيه، وإذا شاهَدْتَه فالمَخْلُوقَاتُ تابعةٌ لكَ.

عجبٌ شديدٌ أنك تفرّ ممن لا تغيبُ عنه وتَطْلُبُ ما لا تُصاحِبُه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

[illegible]
واثبتْ في عَجزِكَ يَنصُرْكَ بقُدرتِه، واثبتْ في ضَعفِكَ يُساعِدْكَ بقوّتِه.

حَرُمَ عليكَ دَعْوى شيءٍ هو لغيرِكَ وليْسَ لكَ، فَهَلْ أباحَ لكَ دَعْوى كَمالاتٍ لكَ واللّهُ ربُّ جميعِ العَالَمِ.

أفرِغْ قَلْبَكَ مِنْ غيرِ اللّه تعالى يَملأهُ اللّهُ مِنَ المَعارِفِ والأسْرارِ.

قد يُعطى لك في لَيْلَةِ القَبْضِ المُظْلِمَةِ مِنَ العُلُومِ والمَعَارِفِ ما لا تَجِدُه في نَهَارِ البَسْطِ المُضيء.

بدايةُ السَّالِكِ مِرآةُ نهايتِهِ ومنظرِهِ، فمَنْ كانتْ بدايتُه مع اللهِ تعالى تكونُ نهايتُه إليه.

مَنْ بُورِكَ في عُمُرِهِ يَجِدْ في زَمَنٍ قليلٍ مِنْ أَلْطَافِ اللهِ وإحْسَانِهِ ما لا يُحيطُه العبارةُ والبيانُ ولا تبلغُها الإشارةُ.

السَّتْرُ نَوْعَانِ: سِتْرٌ من صُدُورِ ذَنْبٍ، وسِتْرُ الذَّنْبِ مِنَ الخَلْقِ بعد صُدُورِه.

العُلُومُ والحَقَائِقُ مجملةٌ وقتَ التَّجَلِّي والتَّفْصِيلُ بَعْدَ الحِفْظِ والوَعْيِ. ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦].

وُرُودُ النُّصْرَةِ الإلٰهيةِ بقَدْرِ الكَفَاءةِ والقَبُولِ، وضَوْءُ الأنوارِ بِقَدْرِ صَفَاءِ الأَسْرَارِ البَاطِنَةِ.

الوِرْدُ يَطْلُبُه منكَ مَوْلَاكَ، والوَارِدُ أَنْتَ تَطْلُبُه منه فأيُّ نِسْبَةٍ بين مَطْلُوبِكَ ومَطْلُوبِه.

اتَّقِ إحْسَانَ المَولى وعِصْيَانَكَ لا تَدْرِي لَعَلَّه اسْتِدْرَاجٌ لكَ منه، وأَنْتَ لا تَشْعُرُ. قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢].

ليسَ المُتَوَاضِعُ مَنْ إذا عَمِلَ عَمَلَ تَوَاضُعٍ يظُنُّه أعْلَى وأَوْلَى، بل التَّوَاضُعُ مَنْ إذا تَوَاضَعَ يظُنُّه أَدْوَنَ وأَخَسَّ.

ما تَيْأَسُ منه أنْتَ منهُ حُرٌّ، وما تَطْمَعُه أنْتَ له عَبْدٌ.

صَاحِبُكَ حَقِيقَةً مَنْ يَصْحَبُكَ بعد مَعْرِفَةِ عُيُوبِكَ وليس إيَّاه سِوَى مَوْلَاكَ الكريم.

قد تَكُونُ عَاصِياً ويُرِيكَ صُحْبَةَ مَنْ هو أعْصَى مِنْكَ صَالِحاً.

لا تُجالِسْ مَنْ لا يَحُثُّكَ حالُه إلى الله تعالى، ولا يَهْدِيكَ كَلامُه إلى الله تعالى.

إذا عَلِمْتَ أنَّ الشَّيطانَ لا يَغْفَلُ عنك فلا تَغْفَلْ عَنْ مَوْلاكَ الذي ناصِيَتُكَ بيده.

لا يَنْفَعُه طاعَتُك ولا يَضُرُّه عِصْيانُك. أمَرَكَ بالطَّاعَةِ ونَهاكَ عَنِ المَعْصِيَةِ ليَعُودَ النَّفْعُ إليك.

لمَّا وَجَدَ عِبادَهُ مُتطلِّعينَ إلى ظُهورِ العِنايةِ الخاصَّةِ وأسْرارِ الإقْبالِ، قال: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٤]. ولمَّا رَأى أنَّهُمْ لو تُرِكُوا بهذا أنه هو أصْلُ الرَّحْمَةِ يَتْرُكُونَ الأعْمالَ مُعْتَمِدينَ على التَّقْديرِ الأزَليِّ، قال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

مَنْ عَظَّمَكَ فهو في الحَقيقةِ يُثْني على سَتْرِ رَبِّكَ.

إذا أرادَ أنْ يُظْهِرَ فيك فَضْلَهُ وإحْسانَه أوْجَدَ فيكَ الأعْمالَ الصَّالحةَ وأضافَها إليك وَقْتَ المَدْحِ.

لمَّا جَعَلَكَ زاهِداً عن غَيْرِه ونافِراً عنه، فاعْلَمْ أنَّه يُريدُ أنْ يَفْتَحَ بابَ الأنْسِ والحبِّ للَّه.

بَذَلَ لكَ أولاً نِعْمَةَ الإيجادِ، وثانياً أفاضَ عليك نِعْمَةَ البَقاءِ الظَّاهِريِّ والباطِنيِّ كلَّ لَحْظَةٍ مُتَواصِلاً.

[illegible]

العُبُوديَّة.

إعْطاءُ الخَلْقِ لكَ حِرْمانٌ ومَنْعُ الله منك أيضاً إحْسانٌ.

لا يَمْنَعُ منك إلا لأنَّ الإعطاءَ يَضُرُّكَ. وأنْتَ لا تَدْري حِكْمَةَ اللَّه ولُطْفَه في المَنْعِ منك.

إذَا أعْطَاكَ فَأرَاكَ جُودَه وكَرَمَه، وإذا مَنَعَكَ فأراكَ قَهْرَهُ وغَلَبَتَه. فهو يُحْسِنُ إليكَ بِمَعْرِفَتِه على كُلِّ حَالٍ ومُقْبِلٌ إليكَ بلُطْفِهِ وكَرَمِه.

جَعَلَ الدَّارَ الآخِرَةَ محلاً لِجَزَاءِ أعْمَالِ عِبَادِهِ المؤمنين لأمرَيْن:

**أولاً**: لأنه لا تَسَعُ الدّنيا ما يريدُ أن يُعْطِيَك. وثانياً: لأنّه أعْظَمَ قَدْرَهُم ومَنْزِلَتَهُم مَنْ أنْ يُعْطُوا جَزَاءَهُم في دَارِ الفَنَاءِ.

مَنْ ظنَّ أنَّ رَحْمَتَهُ وعِنَايَتَهُ بعيدةٌ عَنِ العَبْدِ حَالَ المُصِيبةِ والألَمِ؛ فهذا قُصُورُ عَقْلِهِ.

ما دُمْتَ في الدُّنيا فلا تَعْجَبْ باعْتِرَاضِ المَصَائِبِ، فإن الدُّنيا تُظْهِرُ ما هو لَازِمٌ لَهَا.

إذا جَاءَ الصُّبْحُ يُفَكِّرُ الغَافِلُ ماذا سَيَعْمَلُ اليومَ؟ والعَاقِلُ يَنْتَظِرُ ماذا يُعَامِلُهُ اللّهُ تَعَالَى؟

جُهْدُكَ فيما هو ضَامِنٌ لك وتَقْصِيرُكَ فيما هو طَالِبٌ منك، دَلِيلٌ على ذَهَابِ نُورِ عَقْلِكَ، الهِمَمُ المُتَقَدِّمةُ لا تَقْدِرُ على شَقِّ جُدُرِ القَدَرِ.

لا تسألِ اللّهَ تعالى أنْ يخرجَك مِنْ حَالِكَ المَوْجُودة مِنَ الاشْتِغَالِ الدينيِّ أو الدنيويِّ، ويُشْغِلَكَ في حالةٍ أُخْرَى لأنه لو شاءَ لأشْغَلَكَ بغيرِ أن يُخْرِجَكَ.

لا يَكُنِ المَقْصُودُ مِنَ العِبَادَةِ والدُّعَاءِ حُصُولَ العَطَاءِ والمَغْفِرَةِ، بل إظْهَارُ العُبُودِيَّةِ وأداء حُقُوقِ الرُّبوبيَّةِ.

كثيراً ما يَسْتَحيِي العَارِفُ مِنْ عَرْضِ الحَاجَةِ على مَوْلَاهُ اكْتِفَاءً بمشيئتِه. فكَيْفَ لا يَسْتَحيِي مِنْ عَرْضِ الحَاجَةِ على خَلْقِهِ؟

يذكرُ بالسؤال مَنْ يَجُوزُ عليه الغَفْلَةُ والسَّهْوُ وينبه بالطَّلَبِ مَنْ يَجُوزُ عنه اسْتِغْنَاءُ السَّائلِ.

ليسَ الدّعاءُ وسُؤالُ المَولَى حَالاً جيداً ومعتبراً، والحَالُ الطَّيِّبُ أنْ ترفقَ حسنَ أدبٍ.

أيها السّالكُ لا تُقدّمْ همّتك إلى غيْرِ مَوْلَاكَ الكَريمِ، فإنَّ الكَريمَ لا يتجاوزه الرّجاءُ.

لَا يُقْنِطُكَ عَنْ قبولِ الدّعاءِ مَعَ التّضرّعِ في الدّعاءِ تأخيرُ وقْتِ العَطَاءِ، لأنّه تكفلَ بإجابتكَ في أمرٍ يحبّه لك.

لا يُخْرِجُ مِنَ القلْبِ الشّهوةَ النفسانيّةَ إلا الخَوْفُ المَانِعُ، أو الشّوقُ الجَاذِبُ.

إذا أحْبَبْتَ أنْ يُفتَحَ لك بَابُ الرّجاءِ، فَشَاهِدْ إحْسَانَ مَوْلَاكَ إليك، وإنْ أحْبَبْتَ أنْ يُفْتَحَ لكَ بَابُ الخَوْفِ، فَشَاهِدِ الذّنُوبَ والمَعَاصِي التي صَدَرَتْ منك إلى جَنَابِهِ.

إنْ وُكِلْتَ إلى نَفْسِكَ فلا نِهَايَةَ لِعُيُوبِكَ. وإنْ أبْدَى لك الجُودَ والكَرَمَ فلا نِهايَةَ لِمَحَاسِنِكَ.

وقُوعُ قلّةِ رَجَاءِ العَفْوِ عندَ صُدُورِ المَعْصِيَةِ عَلَامَةُ الثّقَةِ بأعْمَالِكَ الحَسَنَةِ.

إذا اشْتَبَه عليكَ أمْرانِ أيهما أوْلَى، فانْظُرْ أيهما أشَقُّ على النّفْسِ فاتبِعْه، فإنّ ما هو شاقٌ على النّفسِ يكونُ حقاً.

حظُّ النّفْسِ في المَعْصِيَةِ بيّنٌ، وفي الطّاعَةِ خفيٌّ، وعِلاجُ مَرَضٍ خفيٍّ يكونُ شاقاً.

إذا أنْطَقَ مَوْلَاكَ لِسَانَ الخَلْقِ لِمَدْحٍ لستَ له بأهْلٍ فرطّبْ لِسَانَك في ثَنَاءِ مَوْلَاكَ بما هُوَ أهْلُه.

أجْهَلُ النّاسِ مَنْ يَتْرُكُ مُلَاحَظَةَ عُيوبٍ يَعْلَمُهَا فيه لادّعاءِ النّاسِ فيه المَحَاسِنَ.

عندما يُمْدَحُ المؤمنُ الحقيقيُّ فهو يستحيي مِنَ اللّهِ تعالى على أنّه يُمْدَحُ على وَصْفٍ لا يُشاهِدُه في نَفْسِهِ.

النّاسُ يُثْنُونَ عليكَ بِصِفَاتٍ حَسَنَةٍ يظنّونها فيك. فاذْمُمْ نَفْسَكَ لأجلِ صِفَاتٍ سيئةٍ تجِدُها في نَفْسِكَ.

ثَبَاتُ حَلَاوةِ ولذّةِ الشّهواتِ النفسانيّةِ داءٌ عُضَالٌ.

كيفَ تَصْدُرُ منكَ الخَوارِقُ وأنْتَ لم تَتْرُكْ عاداتِكَ النفسانيّةَ.

أصْلُ كلِّ مَعْصِيةٍ وغَفْلةٍ وشَهْوةٍ نَفْسانيّةٍ مُوافقتُكَ لِنَفْسِكَ.

مُلاحَظَةُ عُيُوبِكَ الباطِنَةِ خَيْرٌ مِنَ النّظَرِ لِتحْصِيلِ مَا هُوَ غائِبٌ ومَسْتُورٌ عنك.

لا تَبْسُطْ يَدَكَ للأخذِ مِنَ الخَلْقِ إلا إذا شاهَدْتَ فيه أنَّ مَوْلاكَ الحقيقيَّ هو المُعْطِي.

خَيْرُ أوقَاتِكَ وأحْسَنُها ما تُشاهِدُ فيه احْتِيَاجَكَ وتَرْجِعُ إلى ذِلّتِكَ وخِزْيِكَ.

إنْ أرَدْتَ نُزُولَ المَواهِبِ الإلٰهِيّةِ إليكَ فاخْتَرْ لِنَفْسِكَ الفَقْرَ والفَاقَةَ، فإنَّ اللّهَ يقولُ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ [التوبة: ٦٠].

نُزُولُ الفَاقَاتِ عِيدُ السّالِكِينَ.

إنْ أحْبَبْتَ العِزّةَ الباقيةَ فلا تَخْتَرِ العِزّةَ الفانيةَ.

إنْ تَجَلّى لكَ نُورُ اليَقِينِ، شَاهَدْتَ خُسُوفَ الفَنَاءِ على مَحَاسِنِ الدُّنيا.

عَلِمَ اللّهُ أنّكَ لا تَقْبَلُ النّصِيحَةَ الصِّرْفَةَ فأذاقَكَ لذّةَ مَصَائِبِ الدُّنيا التي سَهّلَ عليكَ مُفَارَقَةَ الدُّنيا.

إنْ أحْبَبْتَ أنْ تُوقَى هَمَّ العَزْلِ فلا تَخْتَرِ الوِلايةَ الدّنيويّةَ الزّائِلةَ.

عَمَلٌ يَصْدُرُ عَنْ قَلْبٍ تَارِكِ الدُّنْيا غير قليلٍ، وَعَمَلٌ يَصْدُرُ عَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ حَرِيصٍ على الدُّنْيا غيرُ كثيرٍ.

الهَمُّ سِرَاجُ القَلْبِ إذا ذَهَبَ ذَهَبَ ضَوْءُ القَلْبِ.

لا تَتْرُكِ الذِّكْرَ لأَجْلِ عَدَمِ الحُضُورِ في الذِّكْرِ، لأنَّ الغَفْلَةَ خِلالَ الذِّكْرِ خَيْرٌ مِنَ الغَفْلَةِ عَنْ نَفْسِ الذِّكْرِ.

ولا يبعدُ أن يَرْفَعَكَ اللهُ تعالى عَنْ ذِكْرِ غَفْلَةٍ إلى ذِكْرِ يَقَظَةٍ، وعَنْ ذِكْرِ يَقَظَةٍ إلى ذِكْرِ حُضُورٍ، وعَنْ ذِكْرِ حُضُورٍ إلى ذِكْرٍ يَغِيبُ فيه جَمِيعُ ما سِوى اللَّهِ تعالى، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: ١٧].

لا عِوَضَ عَنِ العُمْرِ الماضِي، والعُمْرُ الحالِيُّ ثَمِينٌ جداً.

تأْخِيرُكَ الإتيانَ بالأعْمَالِ إلى الوَقْتِ الفَارِغِ مِنْ حُمْقِ نَفْسِكَ.

لا تَنْتَظِرْ وقْتَ الخُلُوِّ عَنِ الأغْيارِ فإنَّه يُبْعِدُكَ عَنْ حَالِكَ التي أقامَكَ عليها مِنْ مُرَاقَبَتِكَ إيّاهُ والمُحَافَظَةِ.

لا يَمُرُّ عَلَيْكَ وَقْتٌ قَدْرَ نَفَسٍ إلَّا يَظْهَرُ فيكَ ما قَدَّرَ اللهُ لكَ.

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ سَبِيلَ الوُصُولِ إلى أوليائِه ما جَعَلَه سَبِيلاً للوصُولِ إلى نَفْسِه، وبَلَغ إلى أوليائِه مَنْ أرادَ أنْ يبلغَه إلى ذَاتِه.

ادفِنْ نَفْسَكَ في أرْضِ الخُمُولِ، فإنَّ الحَبَّ لم يَكْمَلْ نُمُوُّه حتى يُدْفَنَ في الأرْضِ.

لا شيءَ أنْفَعُ لِلْقَلْبِ مِنْ خَلاءٍ يَدْخُلُ معه في سَاحَةِ مَعْرِفَةِ النَّعْمَاءِ والصِّفَاتِ الإلٰهِيَّةِ.

أوجبَ عليكَ خِدْمَتَه وطَاعَتَه وجَعَلَها في الحَقِيقَةِ سَبَباً لِدُخُولِكَ الجَنَّةَ.

لمَّا عَلِمَ اللهُ قُصُورَ العِبَادِ في أداءِ وَظَائِفِ عُبُودِيَّتِهِ أوْجَبَ عليهم

طَاعَته وعِبادَته، كأنه ساقهم بسَلاسِلِ إيجابهِ إلى طَاعَتِهِ. يعجبُ ربك مِنْ عِبَادٍ يُساقُونَ إلى الجنّة مَشْدُودِينَ في السّلاسِلِ.

عيّن لك العِبَاداتِ بالأوقَاتِ المُعَيّنةِ حتى لا يَمْنَعكَ الكَسَلُ والضَعْفُ، وَوَسّع في الوقْتِ حتى يَبْقى لك وَقْتُ الاخْتِيَارِ.

عَلِمَ ضَعْفَكَ وَعَجزَكَ فَخَفّفَ عَدَدَ الصّلَواتِ وعَلِمَ احْتِيَاجَك إلى فَضْلِهِ فضَاعَفَ ثَوَابَكَ.

الصّلاةُ مَطْهَرةٌ لِلْقُلُوبِ مِنْ أدْنَاسِ الأغْيَارِ، وفَاتِحَةٌ أبْوابِ الأسْرَارِ الخَفِيّةِ. الصّلاةُ مَحَلّ المُنَاجَاةِ وَمَوْضِعُ المَحَبّةِ، والإخْلاصُ يفتحُ فيها القُلُوبَ للأسْرارِ وتتلألأ نُجُومُ الأنْوارِ.

كيفَ تَطْلُبُ مُقابِلَ أعْمالٍ تَصَدّقَ بها، أو كَيْفَ تَطْلُبُ جَزاءَ صِدْقٍ أهْدِيَ لكَ منه.

ليسَ المُحِبُّ مَنْ يَرْجُو مِنَ المَحْبُوبِ مُقابِلاً أو عَرَضاً.

أنتَ عَبْدٌ لما تحبه. ولا يحبّ اللّه تعالى أنْ تَكُونَ عَبْداً لغيره.

كما لا يُحِبّ الله عَمَلاً مُشْتَرَكاً كذلك لا يُحِبّ قَلْباً مُشْتَرَكاً.

حبّكَ أنْ يطّلِعَ النّاسُ خَوَاصّ أعْمالِكَ، وأحْوالَ باطِنِكَ عَلامَةُ عَدَمِ صِدْقِكَ في العُبُودِيّةِ.

أنْتَ مُحْتَاجٌ الى حُلْمِ اللّه تعالى عند عِبَادَتِهِ، وطَاعَتهُ فوق ما تَحْتَاجُ إلى حُلْمِهِ عند المَعْصِيَةِ والفسقِ.

لا تَطْلُبْ عِوَضاً عَنْ عَمَلٍ لَسْتَ له فَاعِلاً حقيقيًا، كَفاكَ عِوَضاً إنْ قبِلَه ولم يُؤاخِذ عليه.

إذا طَلَبْتَ الجزاءَ على عَمَلٍ تُطَالَب فيه بالصّدْقِ والإخْلاصِ.

يكفي للعاملين جزاءً مُعجّلاً ما يَفتحُ خلالَ الطّاعاتِ على قُلوبِهم من أبوابِ الإلهاماتِ ولذّةِ المُناجاةِ.

ربُّنا أجلُّ مِنْ أنْ يُعامِلَه عبدُه بطاعتِه نَقْداً ويؤخّر هو جزاءه سَلَفاً إلى يوم القيامة.

ليسَ عَمَلٌ أشدَّ قَبولاً عِنْدَ اللّه مِنْ عَمَلٍ غائِبٍ عَنْ بَصَرِكَ مُشاهَدتُه وحَقيرٌ في نَظَرِكَ وجُودُه.

بِدايةُ سَيْرِ حِمارِ الطّاحُونِ ونِهايتُه واحدَة، فلا تُسافِرِ مِنَ المَخلُوقِ إلى المَخلُوقِ، بل سِرْ مِنَ المَخلُوقِ إلى الخالِقِ.

عَدَمُ الحُزنِ على فَواتِ الطّاعاتِ والعِباداتِ وعلى وُقُوعِ المَعاصي والسّيّئاتِ، علامَةُ مَوْتِ القَلْبِ.

لا يُيئِسْكَ عَنْ حُصُولِ الاسْتِقامَةِ مَعَ رَبِّكَ ذَنْبٌ صَدَرَ عَنكَ لَعَلَّه آخِرُ ذَنْبٍ قُدِّرَ لكَ.

لو قابَلَكَ عَدْلُه وإنْصافُه فلا ذَنْبَ صَغيرٌ، ولو قابَلَكَ فَضْلُه فَلا مَعْصِيَةَ كَبيرةٌ.

القَلْبُ لا يَصْلُحُ لأن يَفْهَمَ الحَقائِقَ والأسْرارَ ما لَمْ يَتُبْ عَنْ أعْمالٍ لا تَعنيه.

العِلْمُ النّافِعُ هو ما انْتَشَرَتْ أشِعَّتُهُ في الصَّدْرِ والقَلْبِ وكَشَفَ عَنِ القَلْبِ سُتُورَ الشُّكُوكِ والأوْهامِ.

## الباب الثاني عشر

# الأخلاقُ الحميدةُ

قد شَهِدَ ربُّ الكَعْبةِ على الأخلاقِ الحميدةِ لسيّدِ الأولينَ والآخرينَ نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وأمَرَ أمّته باتّباعِهِ بقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فَلا بدّ للسّالكِ مِنَ التّخلّي عَنِ الأخلاقِ الرّذيلةِ والتّحلّي بالأخلاقِ الجَميلةِ، لهذه الآية فُضِّلَتِ الأخلاقُ الحَميدةُ في الإسلام على سَائرِ الأعْمَالِ بَعْدَ الإيمانِ، قال النبيُّ ﷺ: «أكْمَلُ المُؤمنينَ إيمَاناً أحْسَنُهُم خُلُقاً».

[أخرجه أبو داود والترمذي، جامع الأصول ج ٤ ص ٥]

وأعْجَبُ مِنْ ذلك أنّه أخْبَرَ بأنّ تَعْلِيمَ مَكَارِمِ الأخلاقِ مَقْصُودُ البَعْثَةِ النّبويّة، قال عليه الصّلاةُ والسّلامُ: «إنّما بُعِثْتُ لأتمّمَ مَكَارِمَ الأخلاقِ». وفي رِوايةٍ: «بُعِثْتُ لأتمّمَ حُسْنَ الأخلاقِ».

[أخرجه في الموطأ، جامع الأصول ج ٤ ص ٤]

وقال: «الدّينُ النّصِيحَةُ».

[أخرجه الترمذي، جامع الأصول ج ٦ ص ٥٦٣]

والمُؤمِنُ لا يُريدُ شرّاً لأحَدٍ، فَعَلَى السّالِكِ أنْ يَنْفَعَ الآخرينَ مَهْمَا أمكنَ في الدّين أو الدّنيا. فأفْضَلُ الأعْمَالِ بعد الإيمانِ إيصالُ الرّاحةِ إلى الخَلْقِ. السيّءُ الخُلُقِ لا يَرْضَاهُ الخَالِقُ ولا المَخْلُوقُ. نبيُّ الله مُوسَى عليه السّلام سَألَ اللّهَ عَزّ وجَلّ: مَنْ أحْسَنُ خَلْقِكَ؟ فقال: مَنْ إذا

أصابت الشوكةُ أحداً يحزنُ. فالسيرةُ الحسنةُ أعظمُ شفاعةٍ عند الله سُبْحانَه.

## مكارمُ الأخلاقِ:

رُوي عن السيدةِ عائشةَ الصديقةِ أنّ مكارمَ الأخلاقِ عشرُ خصالٍ:

١ ـ الصدقُ في القولِ. ٢ ـ الصدقُ في العملِ. ٣ ـ إعطاء السائلِ. ٤ ـ جزاء الإحسانِ. ٥ ـ صلةُ الرحِمِ. ٦ ـ حفظُ الأمانةِ. ٧ ـ إعطاء حقّ الجارِ. ٨ ـ إعطاء حقّ الصاحبِ. ٩ ـ إعطاء حقّ الضيفِ. ١٠ ـ أصلُ أصُولِها ومَبْنى هذه كلّها الحياءُ.

قال شيخٌ: القلبُ المنوّر هو ما ليس فيه خَلْقٌ (بالفتح) والقلب الأسْودُ ما ليس فيه خُلُقٌ (بالضم).

جعلَتِ المشايخُ الخصالَ العشرَ الآتية علاماتٍ لحُسنِ الخُلُقِ:

١ ـ مُقابلةُ الناسِ بطلاقةِ الوجهِ. ٢ ـ مُواساةُ الناسِ. ٣ ـ مُساعدةُ الفقراءِ. ٤ ـ عدمُ مُخالفةِ الناسِ في الأمورِ الحسنةِ. ٥ ـ الاتقاءُ مِن اتباعِ عُيوبِ الناسِ وذِكرِ عُيوبِهِم. ٦ ـ مُلاحظةُ عُيُوبِ نفسِهِ. ٧ ـ إنْ لامَ أحدٌ فَطَلَبُ التأويلِ الحسنِ. ٨ ـ قبولُ معذرةِ المذنبِ. ٩ ـ الاعتدالُ. ١٠ ـ الاجتنابُ عمّا لا يَعْنيه.

وعلى السالكِ ألّا يؤذي أحداً مهما أمكنَ. أسوأُ الأمراضِ داءُ القلبِ، وأسوأ أمراضِ القلبِ إيذاء القلُوبِ.

## أخلاقُ الصالحِين:

قالَ الخواجه أبو الحسنِ الخرقاني: مَنْ قضى يوماً وليلةً مِنْ غيْرِ إيذاء مؤمنٍ، فكأنه قضى ذلك اليومَ مع النبيِّ عليه الصلاةُ والسَلام. ينبغي للسالكِ أنْ يأتيَ بالحسنةِ في ردِّ السيئةِ ما أمكن.

قال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [حم السجدة: ٣٤].

أَلا تَرَى أَنَّ شَجَرةَ الصَّنْدلِ تطيِّبُ فَمَ الفأسِ الذي يَقطَعُها، وأوراقُ الوَرْدِ تطيِّبُ الأيدي التي تَمْسَحُها. قال الخواجه نظامُ الدين أولياء رحمه الله تعالى: يا حبيبُ إن وَضَعَ أحدٌ الشَّوكَ في طريقِكَ فلا تَضَعْ في طَريقِهِ الشَّوكَ وإلَّا يَنتشِرُ في العَالَمِ كلِّه الشَّوكُ فَقَطْ.

## فَضائِلُ حُسْنِ الخُلُقِ:

قال الخَواجه محمّد معصوم رحمه الله تعالى في مَكْتُوباتِهِ عن حُسْنِ الخُلُقِ: يا مَنْ فيه آثارُ الشَّفَقَةِ! الحياة الدنيوية قليلةٌ جداً، والأمُورُ الدائمةُ الأبديةُ مُرتبطةٌ بها، فالسّعيدُ مَنْ يَشْتغِلُ هذه الفُرصَةَ ويَعْمَلُ للآخِرَة ويتزوّد للسّفَرِ الطُّوِيلِ، واللّه سُبْحانه وتعالى جَعَلَكَ مَرْجِعاً لِحَوائجِ جَمَاعَةٍ، فعليك بشُكْرِ اللّه تعالى، والاجْتِهادِ لِقَضَاءِ حَوائجِ الخَلْق، واتَّخِذْ خدمةَ عِبادِ اللّه وإمائهِ وسيلةً لنيل دَرَجاتِ الدُّنيا والآخرة، واحْسَبِ المُعَامَلةَ الحَسَنَةَ مع الخَلْقِ والإحْسَانِ إليه، وطَلَاقَةَ الوَجْهِ لهم، ومُقَابَلَتَهم بِحُسْنِ الخُلُقِ واللين واليُسْرِ مَعَهُمْ سَبَباً لنيلِ رِضَا المَولَى الحقيقيّ جلّ سُلْطَانُه، وذَرِيعةً للنَّجاةِ وتقدّم الدرجات. قال عليه الصَّلاة والسَّلامُ: «الخَلْقُ عِيالُ اللّه فأحَبُّ الخَلْقِ إلى اللّهِ مَنْ أَحْسَنَ إلى عِيالِهِ».

[رواه البيهقي، مشكاة المصابيح ص ٤٢٥]

ويذكُرُ عدّةَ أحاديثَ. ذِكْرُ بَعْضِ الأحَاديثِ في فَضيلةِ قَضَاءِ حَاجَاتِ المُسْلِمينَ وإرضَائِهِم، وحُسْنِ الخُلُقِ واللّينِ والإنظارِ أو الحُلُمِ فتدبّروها تدبراً كَامِلاً. وإنْ بَقِيَ إشْكَالٌ فاسأل عنه طالبَ العِلْمِ المتديّنَ.

عن ابنِ عُمَرَ رضي اللّه عنهما أنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ قال: «المُسْلِمُ أخو المُسْلِمِ لا يَظْلِمُه ولا يُسْلِمُه، مَنْ كَانَ في حاجةِ أخيهِ كانَ اللّهُ في

حَاجَتِهِ، ومَنْ فرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فرَّجَ اللّٰه عنه بها كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يومِ القِيامَةِ، ومَنْ سترَ مُسْلِماً سَتَرَهُ الله يَوْمَ القِيامَةِ».

[رواه البخاري ومسلم وأبو داود؛ الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٣٨٩]

وفي روايةِ مُسْلِمٍ: «واللّٰهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كَانَ العَبْدُ في عَوْنِ أخِيهِ».

[أيضاً ص ٣٩٠]

وعَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللّٰه ﷺ: «إنَّ للّٰهِ خَلْقاً خَلَقَهُمْ لحوائجِ النَّاسِ يفزعُ الناسُ إليهِمْ في حَوائجِهِم أولئك الآمِنُونَ من عَذَابِ اللّٰه».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٠]

وقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ للّٰهِ أقْواماً اختصَّهُمْ بالنِّعَمِ لِمَنافِعِ العِبادِ يقرُّهُمْ عليها ما بَذَلُوها، فإذا مَنَعُوها نَزَعَها منهم فَحَوَّلَها إلى غَيْرِهِمْ».

[رواه ابن أبي الدنيا والطبراني؛ أيضاً ص ٣٩١]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «مَنْ خَرَجَ في حَاجَةِ أخيهِ كان خَيْراً له من اعْتِكَافِ عَشْرِ سنين، ومَنِ اعْتَكَفَ يوماً ابتغاءَ وَجْهِ اللّٰه تعالى جَعَلَ اللّٰه بَيْنَه وبَيْنَ النَّارِ ثلاثةَ خَنادِقَ كلُّ خَنْدَقٍ أبْعَدُ مما بَيْنَ الخَافِقَيْنِ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩١]

«مَنْ مَشَى في شيءٍ من حَاجَةِ أخيهِ حتى يُثْبِتَها له أظَلَّه اللّٰه عزَّ وجلَّ بخمسةٍ وسَبْعِينَ ألف مَلَكٍ يُصَلُّونَ عليه ويَدْعُونَ له إن كانَ صَبَاحاً حتى يُمْسِيَ وإنْ كان مَسَاءً حتى يُصْبِحَ، ولا يَرْفَعُ قَدَماً إلا حَطَّ اللّٰه عنه بها خَطِيئَةً ورفَعَ له بها دَرَجَةً».

[رواه أبو الشيخ وابن حبان وغيره؛ أيضاً ص ٣٩٢]

وقَالَ أيضاً: «مَنْ مَشَى في حَاجَةِ أخيهِ المُسْلِمِ كَتَبَ اللّٰه له بِكُلِّ خُطْوَةٍ سَبْعينَ حَسَنَةً ومَحَا عنه سَبعينَ سيئةً إلى أن يَرْجِعَ مِن حيثُ فَارَقَه،

فإنْ قُضِيَتْ حاجَتُه على يَدَيْه خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كيومِ وَلَدَتْه أمّه، وإنْ هَلَكَ فيما بَيْنَ ذلك دَخَلَ الجنّةَ بغيرِ حِسَابٍ».

[رواه ابن أبي الدنيا؛ أيضاً ص ٣٩٢]

وقال عليه الصّلاةُ والسّلامُ: «مَنْ كانَ له وَصْلَةٌ لأخيهِ المُسْلِمِ إلى ذي سُلْطانٍ في مبلغِ برّ، أو تيسيرِ عَسيرٍ أعانه اللّه على إجازةِ الصّراطِ يومَ القيامةِ عِنْدَ دَحْضِ الأقْدامِ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٣]

وقال عليه الصّلاةُ والسّلامُ: «أفْضَلُ الأعْمَالِ إدْخَالُ السّرورِ على المُؤمنِ، كَسَوْتَ عَوْرَتَه أو أشْبَعْتَ جَوْعتَه، أو قَضَيْتَ له حاجَتَهُ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٤]

وقال عليه الصّلاة والسّلام: «إنّ أحبّ الأعْمالِ إلى اللّه تعالى بعد الفَرَائِضِ إدْخَالُ السُّرورِ على المُسْلِمِ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٤]

وقال عليه الصّلاة والسّلامُ: «ما أدخلَ رَجُلٌ على مؤمنٍ سُروراً إلا خَلَقَ اللّه عزّ وجلّ مِنْ ذلِكَ السُّرورِ مَلَكاً يَعْبُدُ اللّه عز وجل ويوحّده، فإذا صار العبدُ في قَبْرِهِ أتاه ذلك السرور، فيقول: أما تَعْرِفُني؟ فيقولُ له: مَنْ أنت؟ فيقولُ: أنا السُّرورُ الذي أدْخَلْتَنِي على فُلانٍ. أنا اليوم أؤنس وحشتك وألقنك حجّتك وأثبّتك بالقَوْلِ الثّابِتِ، وأُشْهِدُكَ مَشَاهِدَكَ يوْمَ القِيامَةِ وأشْفَعُ لكَ إلى ربّكَ وأُرِيكَ مَنْزِلَكَ مِنَ الجَنّةِ».

[رواه ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ؛ أيضاً ص ٣٩٥]

وعنْ أبي هُرَيرة رضي اللّه عنه قال: سُئِلَ رسُولُ اللّهِ ﷺ عَنْ أكْثَرِ ما يدخِلُ النّاسَ الجنّةَ؟ قال: «تَقْوَى اللّهِ، وحُسْنُ الخُلُقِ»، وسُئِلَ عَنْ أكْثَرِ ما يُدْخِلُ النّاسَ النّارَ؟ فقال: «الفَمُ والفَرْجُ».

[رواه الترمذي وابن حبان والبيهقي؛ أيضاً ص ٤٠٣]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «إنَّ مِنْ أكْمَلِ المؤمنينَ إيماناً أحْسَنَهُم خُلُقاً وألطَفَهُمْ بأهْلِهِ».

[رواه الترمذي والحاكم؛ أيضاً ص ٤٠٣]

وقال ﷺ: «إنَّ العَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجاتِ الآخِرَةِ، وشَرَفَ المَنازِلِ، وإنه لَضَعِيفُ العِبادَةِ، وإنه لَيَبْلُغُ بِسُوءِ خُلُقِهِ أسْفَلَ دَرَجَةٍ في جَهَنَّمَ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٤٠٤]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «ألا أُخْبِرُكُمْ بأيْسَرِ العِبادَةِ وأهْوَنِها على البَدَنِ: الصَّمْتُ، وحُسْنُ الخُلُقِ».

[رواه ابن أبي الدنيا؛ أيضاً ص ٤٠٥]

وروي أنَّ رجلاً أتى النبيَّ ﷺ من قِبَلِ وَجْهِهِ فقال: يا رَسُولَ اللَّه! أيّ العَمَلِ أفضَلُ؟ قال: «حُسْنُ الخُلُقِ». ثم أتاه عن يمينِهِ، فقال: أيّ العَمَلِ أفضَلُ؟ قال: «حُسْنُ الخُلُقِ»، ثم أتاه عن شِمَالِهِ، فقال: يا رسول اللَّه! أي العَمَلِ أفضَلُ؟ قال: «حُسْنُ الخُلُقِ»، ثم أتاه من بعده، يعني من خَلْفِهِ، فقال: يا رسول اللَّه! أي العَمَلِ أفضَلُ؟ فالتَفَتَ إليه رَسُولُ اللَّه ﷺ، فقال: «ما لَكَ لا تَفْقَهُ، حُسْنُ الخُلُقِ هو أن لا تغضب إن استطعت».

[رواه محمد بن نصر المروزي؛ أيضاً ص ٤٠٥، ٤٠٦]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «أنا زَعِيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِراءَ، وإنْ كانَ مُحِقاً، وببيتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكَذِبَ وإن كانَ مازِحاً، وببيتٍ في أعلى الجنة لمن حَسَّنَ خُلُقَهُ».

[رواه أبو داود واللفظ له وابن ماجه والترمذي أيضاً ص ٤٠٦]

وَرَوَى جابِرُ بنُ عَبْدِ اللَّه رضي اللَّه عنهما، عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ، عَنْ جِبْرِيلَ عَنِ اللَّه تعالى قال: «إنَّ هذا دِينٌ أرتَضِيه لِنَفْسي، ولَنْ يَصْلُحَ

ه إلا السَّخاءُ، وحُسْنُ الخُلُقِ، فأكْرِمُوه بهما ما صَحِبْتُمُوهُ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٤٠٦]

وقال رَسُولُ اللَّه ﷺ: «الخُلُقُ الحَسَنُ يُذِيبُ الخطايا كما يُذِيبُ الماءُ الجَلِيدَ، والخُلُقُ السُّوءُ يُفْسِدُ العَمَلَ كما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٤١١]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «إنَّ اللَّه رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الأَمْرِ كلِّه».

[رواه البخاري ومسلم؛ أيضاً ص ٤١٥]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يحبُّ الرِّفْقَ ويَرْضاهُ ويعينُ عَلَيْهِ مَا لا يُعِينُ عَلَى العُنْفِ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٤١٦]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «ألا أُخبِرُكُم بمَنْ يحرُم على النَّارِ، أو بِمَنْ تَحْرُمُ عليه النَّارُ؟ تَحْرُمُ على كُلِّ هيِّنٍ ليِّنٍ سَهْلٍ».

[رواه الترمذي؛ أيضاً ص ٤١٨]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «التأنِّي مِنَ اللَّه والعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وما أحَدٌ أكْثَرَ مَعَاذِيرَ مِنَ اللَّهِ، وَمَا مِنْ شيءٍ أحبُّ إلى اللَّهِ مِنَ الحَمْدِ».

[رواه أبو يعلى؛ أيضاً ص ٤١٨]

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ العَبْدَ لَيُدْرِكُ بالحِلْمِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ».

[رواه أبو الشيخ وابن حبان؛ أيضاً ص ٤١٨]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «وَجَبَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ على مَنْ أُغْضِبَ فَحَلُمَ».

[رواه الأصبهاني؛ أيضاً ص ٤١٩]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «ألا أُنَبِّئُكُمْ بما يشرِّفُ اللَّهُ به البُنْيانَ،

ويَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجاتِ»؟ قالوا: نَعَمْ يا رَسُولَ اللَّهِ. قالَ: «تَحْلُمُ على مَنْ جَهِلَ عليكَ، وتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ».

[رواه الطبراني والبزار؛ أيضاً ص ٤١٩]

وقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَةِ، إنما الشَّديدُ الذي يملكُ نَفْسَه عِنْدَ الغَضَبِ».

[رواه البخاري ومسلم؛ أيضاً ص ٤٢٠]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «مِنَ الصَّدَقَةِ أنْ تُسلِّمَ على النَّاسِ، وأنْتَ طَلِيقُ الوَجْهِ».

[رواه ابن أبي الدنيا؛ أيضاً ص ٤٢١]

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «تَبسُّمُكَ في وَجْهِ أخيكَ صَدَقَةٌ، وأمْرُكَ بالمَعْرُوفِ ونَهْيُكَ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وإرشادُكَ الرَّجُلَ في أرْضِ الضَّلالِ لكَ صَدَقَةٌ، وإماطَتُكَ الأذَى والشَّوكَ والعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لكَ صَدَقَةٌ، وإفْراغُكَ من دَلْوِكَ في دَلْوِ أخِيكَ صَدَقَةٌ».

[رواه الترمذي؛ أيضاً ص ٤٢٢]

وقال ﷺ: «إنَّ في الجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُها من باطِنِها، وباطِنُها من ظاهِرِها»، قال أبو مالِكٍ الأشعريّ: لِمَنْ هي يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قالَ: «لِمَنْ أطَابَ الكَلامَ، وأطْعَمَ الطَّعَامَ، وبَاتَ قائِماً والنَّاسُ نِيامٌ».

[رواه الطبراني والحاكم؛ أيضاً ص ٤٢٣].

أخَذْنَا هذه الأحادِيثَ مِنْ كِتابِ التَّرْغِيبِ والتَّرْهِيبِ. وهُوَ كِتابٌ مِنَ الكُتُبِ المعتبرةِ في عِلْمِ الحديثِ وفَّقَنا اللَّهُ تعالى للعَمَلِ على مُقْتَضَاها. يجبُ علينا مُقارَنَةُ صَفْحَةِ أوضاعنا بِمَفْهُومِ هذه الأحاديثِ، والشُّكْرُ على ما وَافَقَ الأحاديثَ. وما لَمْ يُوافِقْ يجبُ أنْ نَدْعُوَ اللَّهَ تعالى بِعَجْزٍ وتَضَرُّعٍ أنْ يُوَفِّقَ للعَمَلِ بها. ومَنْ لم يَجِدْ توفيقَ العَمَلِ بها فَوْرِيًّا فَلا بُدَّ أنْ يَقِرَّ

بذنبه لا مَحالة. وهذا الاعْتِرافُ نِعْمَةٌ أيضاً مِنَ اللهِ عَظِيمَةٌ. مَعاذَ اللهِ أن لا يَكُونَ لأحَدٍ تَوفيقُ العَمَلِ، ولا يَراه مُذنِباً، إذْ لَيسَ لَدَيْهِ مِنَ الإسْلامِ إلا قَليلٌ. (ثم ذكر بيتاً معناه).

مَنْ وَجَدَهُ فَقَدْ وَجَدَ كنزاً كبيراً مَنْ لَمْ يَجِدْ فَحَسْبُه حُزْنُ فَواتِهِ.

[المكتوبات المعصومية الدفتر الأول المكتوب رقم ١٤٧]

## أمثلة نادرة للنصح:

١ ـ كانَ نبيُّ اللّه سُلَيْمانُ عليه السَّلام يذهب بجنوده إذ مرَّ بوادي النَّمْلِ فـ: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]، وقد رضي اللّه تعالى بِنُصْحِها، فَذَكَر قِصَّتَها في القُرآنِ المَجيدِ وسمَّى سُورَةً بِسُورَةِ النَّمْلِ، فَتَدَبَّر لما كَانَ هذا جزاء اللّه تعالى لِنَمْلَةٍ، فما بَالُ جَزاءِ مُؤمِنٍ نَصَحَ لمؤمنٍ. اللّه أكبر كبيراً.

٢ ـ يُلْقَى فَرْثُ الحيواناتِ وعذارُ الإنْسانِ في الحَقْلِ، فَيَعْمَلانِ هناك عَمَلَ السَّمادِ ويطيبُ به الزَّرعُ، فتدبَّر. إنَّ النَّجاسَةَ تفيد زَرْعاً تصحبُه، فإن لم نَفِدْ نحن الناس الذين هم أشْرَفُ الخَلْقِ، أولسنا أنقصَ وأهْوَنَ مِنَ القَذَرِ والنَّجاسةِ؟

٣ ـ كانَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العزيزِ نائماً في ظَهيرةِ الصَّيْفِ، وكَانَتْ جاريةٌ تُرَوِّحُ بمِروَحَةٍ فأخَذَها النَّومُ فنامَتْ جالِسةً، فاستَيقَظَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العزيزِ رحمه اللّه تعالى فوجَدَها نائِمةً، فأخَذَ المِرْوَحَةَ مِنْ يَدِها وبدأ يروّح. كانَت الجاريةُ مُتعَبَةً فَنامَتْ نَوْماً طويلاً عميقاً، فلما استيقَظَتْ ورأتْ أميرَ المُؤمنينَ يروِّحها تَحيَّرتْ، فقال: لا تَحْزني إنَّكِ إنْسانٌ كما أنّي إنْسانٌ رأيتُكِ نائِمةً فأحبَبْتُ أن أُروِّحَ وأبتغي رِضا اللّهِ سُبْحانَهُ وتَعالى.

٤ ـ كَانَ الإمامُ أبو حنيفةَ رَحِمَهُ اللّه يَبيعُ الأقْمِشَةَ في شبابِهِ. أغْلَقَ دُكَّانَه

يَوماً مُبكراً وذَهبَ إلى بَيتِهِ، فَسألَه شَخصٌ فقال: السَّماءُ اليومَ مُغْبَرّة ويمكنُ أن لا يُدرِكَ الزَّبُونُ نَوْعَ القِماشِ ولونَه إدراكاً تامًّا، فأغلَقْتُ الدُّكّانَ حتى لا يَنْخدِعَ زَبُونٌ فَيَحْسَبَ الثَّوبَ الرخيصَ ثَميناً.

٥ ـ فاتِحُ مِصْرَ سيدُنا عمرو بن العاص رضي الله عنه لمّا فَتَحَ مِصْرَ دَخَلَ خَيْمَتَه فرأى حَمامَةً باضَتْ واتَّخذَتْ عُشّاً، فأذِنَ للجُنُودِ بالرَّحيلِ وتَرَكَ فُسْطاطَه قائماً هناك حتى لا تتأذّى الحمامة. ويقال للخيمة في العربية: فُسْطاطٌ. وهُناكَ مدينةٌ قائمةٌ حتى الآنَ اسْمُها فُسطاطُ تَشْهَدُ بعظَمَةِ عَمْرو بن العاص رضي الله عنه.

٦ ـ [illegible]
فرأى كَلْباً يَنامُ، فوقَفَ مَعَ جَماعَتِهِ هناك حتى قام الكَلْبُ نَفْسُه وذَهَبَ إلى جانِبٍ، فَعَلَ المولى هذا حتى لا يقع أي خلل في نوم الكلب.

٧ ـ قامَ الخواجة باقي بالله مرة للتهجد وكانَ البَرْدُ شديداً، فصَلّى التَّهَجُّدَ وتَقَدَّمَ إلى فِراشِهِ ليَجْلِسَ فيه، وَجَدَ هِرّةً جاءتْ واقْتَحَمَتِ الفِراشَ، فَباتَ الشَّيْخُ يتبرَّد على السَّجّادَةِ ولم ترضَ نفسه بإخراج الهرة من الفراش.

٨ ـ خَدَمَ الخَواجه بهاء الدّين نَقشبَنْد البُخاريّ كَلْباً جَريحاً سَبْعَةَ عَشَرَ يوماً، فلمّا أفاقَ الكَلْبُ أعطاهُ اللهُ من العُلومِ والمَعارِفِ حتى أصبح إماماً للسّلسلة العالية النقشبندية.

٩ ـ في الحديثِ الشريفِ، أنّ عاهِرةً سقت كَلْباً عطشان فَغَفَرَ لها، فعلى السالك أن يحسب نصح الآخرين ذريعة لنجاته، وقد فَعَلَ السَّلَفُ الصالحونَ بالحيواناتِ من حُسْنِ الخُلُقِ ما نرى، أليس لنا أن نُعامِلَ الأناسي معاملة حسنة، الإسلامُ سَلَكَ جميعَ المُؤمنين في سلكِ المُؤاخاة.

## فضائل الأخوة الإسلامية :

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال النبيُّ ﷺ: «من أرادَ اللهُ به خيراً رزقَهُ خليلاً صالحاً إنْ نسِيَ ذكَّره وإن ذكَرَ أعانه».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وفي روايةٍ: «مَثَلُ الأخوينِ إذا التقيا مَثَلُ اليدَيْنِ تَغْسِلُ إحداهُمَا الأُخرَى، وما التقى مُؤمِنانِ قطّ إلا أفادَ اللهُ عزّ وجلّ أحدَهُما مِنْ صَاحِبِهِ خيْراً».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

رُوِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «مَنْ آخَى أخاً في اللهِ عَزّ وجَلّ رَفَعَهُ اللهُ عزّ وجل دَرَجَةً في الجنّةِ لا يَنالُها بشيءٍ مِنْ عَمَلِهِ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وروينا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حديثاً غريباً في تفسيرِ قَوْلِه تعالى: ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ [الشورى: ٢٦] قال: يشفّعُهم في إخوتِهم فيُدخِلُهُمُ الجنّةَ مَعَهم، وممّن مَالَ إلى هذا الطّريقِ ابنُ المسيّبِ، والشعبيّ، وابن أبي ليلى، وهشام بن عروة، وابن شبرمة، وشريح، وشريك بن عبد الله، وابن عيينة، وابنُ المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل ومن وافقهم.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤]

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «المُؤْمِنُ مَأْلَفٌ وَلا خَيْرَ فِيمَنْ لا يَأْلَفُ وَلا يُؤْلَفُ».

[مشكاة المصابيح ص ٤٢٥]

قال عليه الصَّلاةُ والسّلامُ: «المُؤْمِنُ كَثِيرٌ بأخيه».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ عوارف المعارف ص ٢٠٧]

وقالَ عُمَرُ بنُ الخطَّاب رضي الله عنه: ما أُعْطِيَ عَبْدٌ بَعْدَ الإسْلَامِ

يَوْماً مُبكراً وذَهَبَ إلى بَيْتِهِ، فَسَأَلَه شخصٌ فقال: السّماءُ اليومَ مُغْبَرّة ويمكن أن لا يُدْرِكَ الزّبُونُ نَوْعَ القِماشِ ولونَه إدراكاً تامًّا، فأغْلَقْتُ الدّكّانَ حتى لا يَنْخَدِعَ زَبُونٌ فيَحْسبَ الثّوبَ الرخيصَ ثميناً.

٥ ـ فاتِحُ مِصْرَ سيدُنا عمرو بن العاص رضي الله عنه لمّا فَتَحَ مِصْرَ دَخَلَ خَيْمَتَه فرأى حَمامةً باضَتْ واتّخذَتْ عُشًّا، فأذِنَ للجُنُودِ بالرّحيلِ وتَرَكَ فِسْطاطَه قائماً هناكَ حتى لا تتأذّى الحمامة. ويقال للخيمة في العربية: فِسْطاطٌ. وهُناكَ مدينةٌ قائِمةٌ حتى الآنَ اسْمُها فِسْطاطُ تَشْهَدُ بعظَمَةِ عَمْرو بن العاص رضي الله عنه.

٦ ـ كانَ مَوْلانا الرّومي مع تَلامِذَتِهِ يمشي على طريق ضيّق بالمزرعة، فرأى كَلْباً يَنامُ، فوقَفَ مَعَ جَماعَتِهِ هناكَ حتى قامَ الكَلْبُ نَفْسُه وذَهَبَ إلى جانِبٍ، فعَلَ المَولى هذا حتى لا يقع أي خلل في نوم الكلب.

٧ ـ قامَ الخواجة باقي بالله مرة للتهجد وكان البَرْدُ شديداً، فصَلّى التّهَجّدَ وتَقَدّمَ إلى فِراشِهِ ليخلُسَ فيه، وَجَدَ هرةً جاءتْ واقْتَحَمَتِ الفِراشَ، فَباتَ الشّيْخُ يتبرّد على السّجادةِ ولم ترضَ نفسه بإخراج الهرة من الفراش.

٨ ـ خَدَمَ الخَواجَه بهاء الدّين نَقشبَند البُخاريّ كَلْباً جريحاً سَبْعَةَ عَشَرَ يوماً، فلمّا أفاقَ الكَلْبُ أعطاهُ اللّه من العُلومِ والمَعارِفِ حتى أصبح إماماً للسّلسلة العالية النقشبندية.

٩ ـ في الحديثِ الشّريفِ، أن عاهِرةً سقت كَلْباً عطشان فَغُفِرَ لها، فعلى السالك أن يحسب نصح الآخرين فريعة لنجاته، وقد فَعَلَ السّلَفُ الصالحون بالحيواناتِ من حُسْنِ الخُلُقِ ما نرى، أليس لنا أن نُعامِلَ الأناسي معاملة حسنة، الإسْلامُ سَلَكَ جميعَ المُؤمنينَ في سِلْكِ المُؤاخاةِ.

## فضائل الأخوة الإسلامية:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال النبي ﷺ: «من أرادَ اللَّهُ به خيراً رَزَقَهُ خليلاً صالحاً إنْ نسيَ ذكَّره وإن ذكَر أعانَه».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وفي روايةٍ: «مَثَلُ الأخوين إذا التقيا مَثَلُ اليدَيْنِ تَغسِلُ إحداهُما الأُخرى، وما التَقى مُؤمِنانِ قطّ إلّا أفادَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ أحدَهُما مِنْ صاحِبِهِ خَيْراً».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

رُوي عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ: «مَنْ آخَى أخاً في اللَّه عَزّ وجَلّ رَفَعَهُ اللَّهُ عزّ وجل دَرَجَةً في الجَنَّةِ لا يَنالُها بشيءٍ مِنْ عَمَلِهِ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وروينا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَديثاً غَريباً في تَفْسيرِ قَوْلِه تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [الشورى: ٢٦] قال: يشفَعُهم في إخْوتِهِم فيُدْخِلُهُمُ الجنّةَ معَهُم، وممّن مالَ إلى هذا الطّريقِ ابنُ المسيِّبِ، والشعبيّ، وابن أبي ليلى، وهشام بن عروة، وابن شبرمة، وشريح، وشريك بن عبد اللَّه، وابن عيينة، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل ومن وافقهم.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤]

قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «المُؤمِنُ مألَفٌ ولَا خَيْرَ فِيمَنْ لا يألَفُ ولا يُؤْلَفُ».

[مشكاة المصابيح ص ٤٢٥]

قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «المُؤْمِنُ كَثيرٌ بأخيهِ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤؛ عوارف المعارف ص ٢٠٧]

وقالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّاب رضي اللَّه عنه: ما أُعْطِيَ عَبْدٌ بَعْدَ الإسْلامِ

خيراً مِنْ أخٍ صالحٍ، وقال أيضاً: إذا رأى أحدُكم وِدًّا مِنْ أخيهِ فليتمسَّكْ به فقلّما تصيبُ ذلك.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٥]

وقد قيلَ: أوّلُ ما يُرْفَعُ مِنْ هذه الأمّةِ الخُشوعُ، ثم الورَعُ، ثم الأمانةُ، ثم الأُلفةُ.

[أيضاً ص ٤١٤]

وقَدْ قالَ بَعْضُ الحُكَماءِ في مَعْناه كَلاماً مَنْظوماً شعراً:

ما نالَتِ النَّفْسُ عَلَى بغيةٍ ... أَلَذَّ مِنْ وُدِّ صَديقٍ أمين

مَنْ فاتَه وُدُّ أخٍ صالِحٍ ... فَذلِكَ المَقْطوعُ مِنْه الوَتين

[أيضاً ص ٤١٥]

وفي وصيّةِ عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه التي رَوَيناها، عَنْ يَحْيى بنِ سَعيدٍ الأنصاريِّ، عَنْ سعيدِ بن المُسيّب قال: قالَ عُمَرُ رضي الله عنه: عَلَيْكَ بإخوانِ الصّدقِ تَعِشْ في أكْنافِهِمْ، فإنَّهُم زينةٌ في الرَّخاءِ وعدّةٌ في البَلاءِ.

[أيضاً ص ٤١٧]

ورُوِّينا في حَديثِ ابنِ مَسْعودٍ رضي الله عنه قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «المُتَحابّونَ في اللهِ عَزَّ وجَلَّ عَلَى عَمُودٍ من ياقوتةٍ حَمْراءَ، في رأسِ العَمُودِ سَبْعُونَ ألفَ غُرْفَةٍ، مُشْرِفُونَ على أهْلِ الجَنَّةِ، يُضيءُ حُسْنُهُم لأهْلِ الجَنّةِ كما تُضيءُ الشَّمْسُ لأهْلِ الدنيا، عليهِمْ ثيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٍ مَكْتُوبٌ على جِباهِهِمْ: هؤلاءِ المُتَحابّونَ في اللهِ عزَّ وَجلَّ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٩ واللفظ له، عوارف المعارف ص ٢٠٨؛ وإحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٤]

وعَنْ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ وعُبادَةَ بْنِ الصّامِتِ رضي الله عنهما، أنَّ

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فيما يُؤْثَرُ عن رَبِّهِ تبارك وتعالى: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَواصِلِينَ فِيَّ، وحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ».

[الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١٨، ١٩ واللفظ له؛ وقوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٠]

وعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: «المُتَحَابُّونَ في اللَّهِ عزَّ وجَلَّ إذا التَقَوْا فَكَشَّرَ بَعْضُهُم إلى بعْضٍ تَتَحَاتُّ عنهمُ الخَطَايا كما يَتَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ في الشِّتاءِ إذَا يَبِسَ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٠؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٥]

ورُوِّينا عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ عزَّ وجَلَّ في ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه مِنْهُمْ كَذَا واثْنَانِ تآخَيَا في اللَّهِ عزَّ وجَلَّ، اجْتَمَعَا على ذَلِكَ وتَفَرَّقَا».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٠؛ الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١٥، ١٦]

وكانَ الفُضَيْلُ بنُ عياضٍ رَحمةُ اللَّهُ تعالى وغيره يقول: «نَظَرُ الأخِ إلى وجه أخيهِ على المودّةِ والرَّحمةِ عبادة».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٠]

وعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إنَّ رَجُلاً زَارَ أخاً في اللَّهِ تعالى في قَرْيَةٍ أُخرى، فأرْصَدَ اللَّهُ على مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً فقال: أيْنَ تُريدُ؟ قالَ: أرَدْتُ أخاً لي في هذه القريةِ، قالَ: هل بَيْنَكَ وبَيْنَه رَحِمٌ تَصِلُها، أو لَهُ عَلَيْكَ نِعْمَةٌ تَرُبُّها، قالَ: لا، إلا أنّي أحْبَبْتُه في اللَّهِ تعالى. قالَ: فإنّي رَسُولُ اللَّهِ إليك، إنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وتَعالى قَدْ أحَبَّكَ كَمَا أحْبَبْتَهُ فيه».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢١]

وَقَدْ رُوِّينا عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ وعَنِ ابنهِ عَبْدِ اللَّه رضي اللَّه

عنهما: لو أنَّ رَجُلاً صَامَ النَّهارَ لا يُفْطِرُ، وقَامَ اللَّيلَ، وجَاهَدَ ولَمْ يُحِبَّ في اللَّهِ عزَّ وجَلَّ ولَمْ يُبْغِضْ في اللَّهِ ما نَفَعَهُ ذَلِكَ شَيْئاً.

[عوارف المعارف ص ٢٠٩]

وَقَدْ رُوِّينا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنَّه قَالَ لأصْحَابِهِ: «أيُّ عُرَى الإيمَانِ أوْثَقُ؟» قَالُوا: الصَّلاةُ، قال: «حَسَنَةٌ ولَيْسَ بِهِ». قالوا: الحجّ والجِهَادُ. قال: «حَسَنَةٌ ولَيْسَ بِهِ» قَالُوا: فأخْبِرْنا يا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: «أوْثَقُ عُرَى الإيمَانِ: الحُبُّ في اللَّهِ تعالى والبُغْضُ فيه».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٢]

وفي حَدِيثِ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ، وقَالَ مُوسَى بنُ عُقْبَةَ: كُنْتُ ألْقَى الأخَ مِنْ إخْواني مَرَّةً فأقيم عَاقِلاً بلقائِهِ أياماً.

[أيضاً ص ٤٢٣]

وقَالَ جَعْفَرُ بنُ سُلَيْمَانَ: كُنْتُ إذَا وَجَدْتُ في نَفْسِي فترةً، نَظَرْتُ إلى محمّد بنِ واسعٍ، وكان مُحَمَّدُ بنُ واسعٍ يقولُ: ما بَقِيَ في الدُّنْيا شيءٌ ألذه إلّا ثَلاثٌ: الصَّلاةُ في جَمَاعةٍ، والتهجّد مِنَ اللَّيلِ، ولِقَاءُ الإخْوانِ. وكَانَ الحَسَنُ وأبو قُلابَةَ يقولان: إخْوانُنا أحبّ إلينا من أهْلينا وأولادِنا لأنَّ أهْلينا يُذَكِّرُونَنا الدّنيا وإخوانُنا يذكرونَنا الآخِرَةَ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٣]

## شروط أساسية للأخوّة:

يُشْتَرَطُ لِوُقُوعِ المُؤَاخَاةِ بيْنَ شَخْصَيْنِ أوّلاً التَّجَانُسُ أي التَّمَاثُلُ في أحْوالِهِما كأن يَكُونَا صَالِحَيْنِ أو مُرِيدَيْنِ لِشَيْخٍ واحِدٍ، أو يَكُونا مِنْ حَمَلَةِ العِلْمِ الظَّاهِرِ أو البَاطِنِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لا تَتَحَقَّقُ الألْفَةُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إلَّا لِسَبَبٍ مِنَ الأسْبَابِ الأرْبَعَةِ:

١ ـ الاتحادُ في العَزْمِ (كأن يكونا سالِكَيْن).

٢ ـ الاشتِراكُ في الحَالِ (كأن يكونا داخِلَيْنِ في سِلسلةٍ واحدةٍ).

٣ ـ التقارُبُ في العِلْمِ (كأن يكونا صاحِبَيْ نِسْبةٍ).

٤ ـ الاتفاقُ في الأخلاقِ (كأنْ يكونا متواضِعَيْن).

وإنْ كانَ بَيْنَهُمَا اشتِرَاكٌ في الأمورِ الأربَعَةِ تشتدُّ مؤاخاتهما، ولذا قيل: الجِنسُ يميلُ إلى الجِنسِ.

قال أبو طالبٍ: وقد رُوِّينا في حديثٍ: «إنَّ الأرْوَاحَ جُنودٌ مُجنَّدَةٌ، فما تعارَفَ منها ائتَلَفَ وما تناكَرَ مِنها اخْتَلَفَ» إلى أنْ قالَ: وفي هذا الخبرِ زيادة: ولو أنَّ مؤمِناً دَخَلَ إلى مَجلسٍ فيه مائةُ مُنافِقٍ، وفيه مُؤمِنٌ واحِدٌ لَجاءَ حتى يَجلِسَ إليه. ولو أنَّ مُنافِقاً دَخَلَ إلى مَجلسٍ فيه مائة مُؤمِنٍ، وفيه مُنافِقٌ واحِدٌ لجاءَ حتّى يَجلِسَ إليه. وقدْ ذُكِرَ لهذا الحديثِ سَبَبٌ على ما ذكرْناهُ وهو أنَّ امرأةً عطَّارةً كانَتْ بالمدينةِ مِنْ أُحُدٍ فقدِمَتِ امرأةٌ مِنْ مَكّةَ عطّارةٌ وكانت مزّاحَةً، فقال رسول اللّه ﷺ: «على مَنْ نزَلَتْ»؟ قيل: على فُلانَة.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥٢]

وكذلك رُوِّينا في حَديثِ المُؤاخاةِ الذي آخَى فيه رَسُولُ اللّهِ ﷺ بين أصْحَابِهِ، فآخَى بيْنَ اثنينِ شَكْلَيْنِ في العِلْمِ والحَالِ، آخَى بيْنَ أبي بَكْرٍ وعُمَرَ، وبين عُثْمانَ وعَبْدِ الرَّحمنِ، وهما نَظِيرانِ. وآخَى بين سَلْمَانَ وأبي الدَّرداءِ وهُمَا شَكْلانِ في العِلْمِ والزُّهدِ، وآخَى بين عَمّارٍ وسَعْدٍ وكَانا نَظِيرَيْنِ، وآخَى بين عليٍّ وبينه رضي اللّه عنهم أجمعين، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥٤]

رُوِيَ أنَّ مَعْروفاً سأله رَجُلٌ فقال: يا أبا مَحْفوظٍ: هذانِ الرَّجُلانِ

إمامًا هذا البَلَدِ فأشِرْ عليَّ أيُّهمَا أصْحَبُ؟ فإني أريدُ أن أتأدّبَ به: أحْمدُ ابنُ حَنبلٍ أوْ بِشْرُ بنُ الحَارِثِ، رضي الله عنهما؟ فقالَ له مَعْروفٌ: لا تَصْحَبْ أحَدَهُمَا فإنَّ أحمد صاحِبُ حديثٍ، وفي الحديثِ اشتِغالٌ بالنّاسِ، فإن صَحِبْتَه ذَهَبَ ما تَجِدُ في قَلْبِكَ مِنْ حَلاوةِ الذِّكْرِ وحُبِّ الخَلْوةِ، وأمّا بِشْرٌ فلا يَتفرَّغُ لكَ ولا يُقْبِلُ عليكَ شُغْلاً بحاله، ولكِنِ اصْحَبْ أسْوَدَ بنَ سَالِم فإنه يُصْلِحُ لكَ ويقبلُ عليكَ، فَفَعَلَ الرَّجُلُ ذلكَ فانْتَفَعَ به. وإنَّما ضَمَّهُ مَعْرُوفٌ رضي الله عنه إلى الأسْودِ دونهما، لأنه كان ألْيَقَ بحالِهِ وأشْبَهَ بوصْفِهِ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥٤]

قالَ بعْضُ عُلَماءِ العَرَبِ: الصّاحِبُ كالرُّقْعَةِ في الثّوبِ إنْ لمْ تَكُنْ من جِنْسِهِ شَانَتْهُ.

[أيضاً ص ٤٥٢]

ويُقالُ: إذا اصْطَحَبَ اثْنانِ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَنِ ولم يَتشاكَلا في الحَالِ، فلا بدّ أن يَتفرّقا. وقد أنْشدَنا بَعْضُ العَرَبِ لبعضِ الحُكَماءِ في مَعْناهُ:

وَقـائِلٍ لِـمْ تَـفـرَّقْـتُـمَـا ... فَـقُـلْـتُ قَـوْلاً فـيـه إنْـصَـافُ

لَـمْ يَـكُ مِـنْ شَـكْـلِـي فَـفَـارَقْـتُـه ... والـنّـاسُ أشْـكَـالٌ وأُلّافُ

[أيضاً]

## الحبيبُ كيف يكونُ؟

كَانَ بِشْرُ بْنُ الحَارِثِ يقولُ: لا تُخَالِطْ مِنَ النّاسِ إلا حَسَنَ الخُلُقِ فإنّه لا يأتي إلا بِخَيْرٍ، ولا تُخالِطْ سيءَ الخُلُقِ فإنه لا يأتي إلا بِشَرٍّ.

[أيضاً ص ٤٣٥]

وقالَ الثّوريُّ: إذا أرَدْتَ أنْ تُؤاخِيَ رَجُلاً فأغْضِبْه، ثم دسّ عليه مَنْ يَسْألُهُ عَنْكَ فإن قالَ خَيْراً فاصْحَبْه، وقال غيره: لا تُؤاخِيَنَّ أحداً حتى

تَبْلُوه وتَمْشِي إليه سِرًا ثم جافِهِ واسْتَغْضِبْه، وانْظُرْ فإنْ أفْشَى عليك فاجْتَنِبْه، وقيل لأبي يزيد: مَنْ أصْحَبُ مِنَ النَّاسِ؟ قالَ: مَنْ يَعْلَمُ مِنْكَ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ عزَّ وجلّ، ويَسْتُرُ عليكَ ما يَسْتُرُ اللَّهُ تعالى.

[أيضاً ص ٤٣٥]

كَانَ أُنْمُوذَجُ فِعْلي لـ: (تخلقوا بأخلاقِ اللَّه).

كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يقولُ: لَا تُؤاخِ مِنَ النَّاسِ إلَّا مَنْ لا يَتَغَيَّر عليك في أرْبَعٍ: عِنْدَ غَضَبِهِ وَرِضَاهُ، وعِنْدَ طَمَعِهِ وهَوَاهُ. وقَالَ بَعْضُ الأدباء: لا تَصْحَبْ مِنَ النَّاسِ إلا مَنْ كَانَ على هذا الوصْفِ: يَكْتُمُ سِرَّكَ ويَنْشُرُ بِرَّكَ ويَطْوِي عَيْبَك، ويَكُونُ في النَّوائِبِ مَعَكَ وفي الرَّغائِبِ يُؤْثِرُ.

[أيضاً ٤٣٦]

قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ: لَا تَصْحَبْ إلَّا أحَدَ رَجُلَيْنِ: رَجُلاً تَتَعَلَّمُ مِنْه شيئاً من أمْرِ دينِكَ فَيَنْفَعُكَ، أو رَجُلاً تُعَلِّمُه شيئاً من دِينِهِ فيقبلُ منك. والثَّالِثُ اهْرُبْ منه. وقال ابن أبي الحواري، قال لي أستاذي أبو سُلَيْمَانَ: يا أحْمَدُ لا تَصْحَبْ إلا أحد رَجُلينِ [رَجلٍ] تَرْتَفِقُ به في دُنياك، أوْ رَجُلٍ تزيد معه وتَنْتَفِعُ به في آخرتك.

[أيضاً ص ٤٣٧]

كان أبو ذرٍّ يقولُ: الوحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَليسِ السُّوءِ والجَليسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الوحْدَةِ.

[أيضاً]

وأوصَى بَعْضُ السَّلَفِ ابنه فقالَ: يا بنيّ لا تَصْحَبْ مِنَ النَّاسِ إلا مَنْ إنِ افْتَقَرْتَ قَرُبَ منك، وإذا اسْتَغْنَيْتَ لَمْ يَطْمَعْ فيكَ، وإنْ عَلَتْ مَرْتَبَتُه لَمْ يَرْتَفِعْ عليكَ، وإنْ تَذَلَّلْتَ له صَانَكَ، وإنِ احْتَجْتَ لَهُ مَانَكَ، وإنِ اجْتَمَعْتَ مَعَه زَانَكَ.

[أيضاً ص ٤٥٩]

وقال بَعْضُ الأئمةِ: النَّاسُ أرْبَعَةٌ، فاصْحَبْ ثَلاثَةً ولَا تَصْحَبْ واحِداً: رَجُلٌ يَدْرِي ويَدْرِي أنَّه يَدْرِي، فهذا عَالِمٌ فاتَّبِعُوه. ورَجلٌ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أنَّه يَدْرِي فهذا نَائِمٌ فَنَبِّهُوهُ. ورَجُلٌ لَا يَدْرِي ويَدْرِي أنَّه لَا يَدْرِي فهذا جَاهِلٌ فعلِّمُوهُ، وَرَجُل لا يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أنه لَا يَدْرِي فهذا مُنَافِقٌ فاجْتَنِبُوه.

[أيضاً ص ٤٥٤]

وكان أبو مهْرانَ يقولُ: أخْرُجُ مِنْ مَنْزِلي فأنا بَيْن ثَلاثَةٍ: إنْ لَقِيتُ مَنْ هُوَ أعْلَمُ مِني، فهُو يَوْمُ فَائِدتِي أتَعَلَّمُ مِنه، وإنْ لَقِيتُ مَنْ هُوَ مِثْلِي فَهُو يَوْمُ مُذاكرتِي، وإنْ لَقِيتُ مَنْ هو دُونِي فَهُو يَوْمُ مَثُوبَتِي أُعَلِّمُه فأحْتَسِبُ فيه الأجْرَ.

وقالَ أبو جَعْفَرٍ محمّد بن عليٍّ لابنه جَعْفَرِ بنِ محمَّد: لا تَصْحَبَنَّ مِنَ النَّاسِ خَمْسَةً، واصْحَبْ مَنْ شِئْتَ: الكَذَّابُ فإنَّكَ منه على غررٍ وهو مِثْلُ السَّرابِ يقرِّبُ منك البعيدَ ويبعِّد منك القريبَ، والأحْمَقُ فإنَّكَ لسْتَ منه على شيءٍ يريد أنْ يَنْفَعَكَ فيضرُّكَ، والبَخِيلُ فإنَّه يَقْطَعُ بكَ أحْوجَ ما تَكُونُ إليه، والجَبَانُ فإنه يُسلِمُكَ عِنْدَ الشِّدَّةِ، والفَاجِرُ فإنه يَبِيعُكَ بأكْلَةٍ أو بأقلَّ منها. قلتُ: وما أقلّ منها؟ قال: الطَّمَعُ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥٥]

قال أبو طَالِبٍ المكيُّ: إياكَ أنْ تَصْحَبَ مِنَ النَّاسِ خَمْسَةً: المُبْتَدِعُ، والفَاسِقُ، والجَاهِلُ، والحَرِيصُ على الدُّنيا، والكثِيرُ الغِيبةِ للنَّاسِ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥١]

وقد كَانَ سُفْيانُ الثوريُّ رَحِمَه اللَّهُ يقول: النَّظَرُ إلى وَجْهِ الأحْمَقِ خَطِيئةٌ مَكْتُوبةٌ.

[أيضاً]

وفي الحديثِ الشَّريفِ: خيرُ صَاحِبٍ عند الله تعالى مَنْ يَرْفقُ بأصْحابِهِ، وخَيْرُ جارٍ مَنْ يَرْفقُ بِجيرانِهِ. إياكَ ومُصَاحَبةَ جَاهِلٍ، فإنْ مُخْتَلِفُ تَصِيرُ جاهلاً أو غافلاً عَنْ مَوْلاكَ الكريمِ. أمرَ في القُرآنِ الكَريمِ بالاجْتِنابِ عَنْ مُصَاحَبةِ شَخْصَيْنِ، وأمر بِمُصَاحَبةِ شَخْصٍ.

١ ـ إيَّاكُمْ ومُصَاحَبةَ الجَاهِلِ، فقد قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩].

٢ ـ إيَّاكُمْ ومُصَاحَبةَ الغَافِلِ. قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨].

٣ ـ عليكُمْ بِمُصَاحَبةِ المُنيبِ، قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]. فينْبَغي للسَّالِكِ ألَّا يُصَاحِبَ إلا شَيْخَهُ أو إخْوانَهُ في الطَّرِيقةِ، إذ تَصْدُقُ عليهِمْ هذه الآيةُ.

## آداب الأخوّة:

ينْبغي للسَّالكين أنْ يَضَعُوا أمامَهُمْ آدابَ الأخُوّةِ كلَّ وقْتٍ ويَجْعَلُوا حَيَاتَهُم مُوافِقَةً له وفيما يلي بَعْضُ الآدابِ:

١ ـ يُحَاوِلُ أن يَسْبِقَ إخوتَه في المَحبّةِ والمَوَدَّةِ، قال اللّهُ تَعالى لحبيبِهِ ﷺ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]. وذكرَ الصَّحابةَ رضي الله عنهم أجمعينَ بقولِهِ: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

قال شَاعِرٌ في وَصْفِ مُؤْمِنٍ كَامِلٍ ما معناه:

إذا كانَ جَمْعُ الأصْدقاءِ فَهُو مِثْلُ الحَريرِ

وإذا وَقَعَ حَرْبٌ بين الحَقِّ والبَاطِلِ فالمُؤمنُ حَديدُ

ومِنْ أوصَافِ المُؤمِنين: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الفتح: ٢٩] وقَال في مَقَامٍ آخر: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]. وقال عليه

الصَّلاة والسَّلام: «ارْحَمُوا مَنْ في الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ في السَّماءِ».

[أخرجه الترمذي، جامع الأصول ج ٤ ص ٥١٥]

٢ ـ يُحَاوِلُ لقَضَاءِ حَاجَاتِ أخوتِهِ. وقال تعالى مُخْبِراً عَمَّن ليسَ له صَديقٌ حميمٌ تنفعه شفاعته: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١].

ومعنى حَميم أي هَمِيمٌ، أبدلت الحاء هاء لتقاربهما، مأخوذ من الاهْتمامِ أي مهتمٌ بأمْرِهِ، ففيه دليلٌ أنَّ الصَّديقَ لك هو المهتمّ بك.

[أيضاً ص ٤١٤]

وكَذَلِكَ كانَ السَّلَفُ فيما ذَكَرَه الحَسَنُ وغيره قالوا: كَانَ أَحَدُهُم يَخْلُفُ أخاه في عِيالِهِ بعد مَوْتِهِ أربعينَ سَنَةً لا يَفْقِدُونَ إلَّا وَجْهَهُ.

[أيضاً ص ٤٢١]

ومِنْ حَقِّ الأخوَّة في الله عز وجل ما نُقِلَ إلينا مِنْ سِيرةِ السَّلَفِ قال: كانَ الرجلُ يجيءُ إلى مَنْزِلِ أخيه مِنْ حيث لا يَعْلَمُ، فيقولُ لأهْلِهِ: هَلْ عِنْدَكُمْ دقيقٌ؟ ألكُمْ زيتٌ، تَحْتاجُونَ إلى كذا، فإن قالُوا: ليس عِنْدَنا اشْتَرَى لَهُم مَصَالِحَهُم، ولم يَكُنِ الأخُ يفرِّق بين عِيالِهِ وعِيالِ أخيه، يُقَاسِمُهُم المَؤُونة قال: ويَلْقَى أخاهُ فلا يُعْلِمُه بشيءٍ من ذلك.

[أيضاً ص ٤٢١]

يُقَال: إنَّ مسروقاً ادَّانَ ديناً ثقيلاً، وكان على أخيه خيثمة دَيْنٌ، قال: فَذَهَبَ مسروقٌ فقضى دَيْنَ خيثمةَ وهو لا يَعْلَمُ، وذَهَبَ خيثمةُ فقضى دَيْنَ مَسْرُوقٍ سرًّا وهو لا يَعْلَمُ.

[أيضاً ٤٢١]

نَظَرَ أبو الدَّرداء رضي الله عنه إلى ثَوْرَيْنِ يَحْرُثَانِ في فَدَانٍ، فوقَفَ أحَدُهُما يَحكُّ جَسَدَه فَوَقَفَ الآخَرُ، فَبَكَى أبو الدَّرداء فقَالَ لَهُ: هَكَذا

الأخوان في الله عز وجل، يعملان لله تبارك وتعالى ويتعاونان على أمر الله.

[ أيضاً ص ٤٤٠]

٣ - لا يخزي أخاه بارتكاب خطأ، بل يحاول لإصلاحه بطريق مناسب، روينا عن أبي الدرداء أن شاباً غلب على مجلسه حتى أحبّه أبو الدرداء، فكان يقدّمه على الأشياخ ويقرّبه فحسدوه، وأن الشاب وقع في كبيرة من الكبائر، فجاءوا إلى أبي الدرداء فحدّثوه وقالوا له: لو أبعدته فقال: سبحان الله لا نترك صاحبنا لشيء من الأشياء. وروينا عن بعض التابعين، وعن الصحابة في مثل ذلك، وقد قيل له فيه، فقال: إنما أبغض عمله وإلا فهو أخي، وكذلك قال الله عز وجل لنبيّه في عشيرته: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٦].

ولم يقل: قل إني بريء منكم للُحمة النسب.

[ أيضاً ص ٤٢٢]

وفي حديث عمر رضي الله عنه، وقد سأل عن أخ كان آخاه، فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه فقال: ذاك أخو الشيطان. قال: مَهْ. قال: إنه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر، فقال: إذا أردت الخروج فآذني، قال: فكتب إليه: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿حمٓ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١ - ٣] ثم عاتبه تحت ذلك وعذله، فلمّا قرأ الكتاب قال: صدق الله ونصح لي عمر. قال: فتاب ورجع.

[ أيضاً ص ٤٢٢]

عدمُ الامتثال بنصيحة الأخ علامةُ قسوة القلب وكذب الحال. قال الله تعالى في الكاذبين: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

٤ ـ لِيَسْتُرْ عُيُوبَ أخيهِ وأَخْطَاءَهُ. جَاءَ في الخَبَرِ: أَسْتَعِيذُ بِاللَّه مِنْ جَارِ السُّوءِ الذي إن رَأى خَيْراً سَتَرَهُ وإنْ رَأَى شرًا ظَهّرَهُ.

[أيضاً ص ٤٢٨]

وقَدْ قَالَ الإمَامُ الشَّافعيُّ رَحِمَهُ اللَّه في وَصْفِ العَدَالَةِ قولاً اسْتَحْسَنَه العُلَمَاء، وحَدَّثنا عَنْ مُحَمَّد بن عَبْدِ اللَّه بن عَبْدِ الحَكَم قال: سَمِعْتُ الشَّافعيَّ يقولُ: ما أَحَدٌ مِنَ المُسْلِمينَ يُطِيعُ اللَّه عَزَّ وجَلَّ حتى لا يَعْصِيَه، ولا أَحَدٌ يعصي الله عز وجل حتى لا يطيعَهُ، فَمَنْ كَانَتْ طَاعَاتُه أَكْثَر مِنْ مَعَاصِيه فهو العَدْلُ.

[أيضاً]

قَالَ عيسى عليه السَّلام لأَصْحَابِهِ: كَيْفَ تَصْنَعُون إذا رَأَيْتُمْ أَخَاكُم نائماً، فَكَشَفَتِ الرِّيحُ عنه ثَوْبَه قالوا: نَسْتُرُه ونُغَطِّيهِ فقال: بَلْ تَكْشِفُونَ عَوْرَتَه. قالوا: سُبْحَانَ اللّه مَنْ يَفْعَلُ هذا؟ فَقَالَ: أَحَدُكُم يَسْمَعُ في أخيه بالكَلِمَةِ فيزيدُ عليْها ويَشِيعُها بأَعْظَمَ منها.

[أيضاً ص ٤٢٩]

قال ﷺ: «مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ سَتَرَ اللّه عُيُوبَه».

٥ ـ لَا يُفْشِيَنَّ له سِرًّا. قال العَبَّاسُ رضي اللّه عنه لابْنِهِ عَبْدِ اللّه: إنِّي أرَى هذا الرجُلَ ـ يعني عُمَرَ بن الخطَّابِ رضي اللّه عنه ـ يُقَدِّمُكَ على الأشياخِ ويُقَرِّبُكَ دُونَهم، فاحْفَظ عني ثلاثاً: لا تُفْشِيَنَّ له سِرًّا، ولا تَغْتَابَنَّ عِنْدَه أحداً، ولا يُجَرِّبنَّ عليك كِذْبَةً. وفي بعض الروايات: ولا تَعْصِيَنَّ له أمْراً، ولا يطَّلعنَّ منك على خِيانةٍ. قال: فقلت للشعبيِّ وقد رواه: كلّ كَلِمَةٍ خيْرٌ مِنْ ألفٍ، قال: كلّ كلمة خير مِنْ عَشْرةِ آلافٍ.

[أيضاً ص ٤٣٤]

ومِنْ أَحْسَنِ ما سَمِعْتُ في حِفْظِ السِّرِّ ما حَدَّثني بَعْضُ أشْيَاخِنا عن

إخوانٍ له، دَخَلُوا على عَبْدِ اللَّه بنِ المُعْتَزّ، فاسْتَنْشَدُوه شيئاً مِنْ شِعْرِه في حِفْظِ السِّرّ، فأنْشَدَهُم على البديهية:

وَمُسْتَودِعي سِرًّا تبوأتُ كَتْمَه فأودَعْتُه صَدْري فَصارَ له قَبْراً

[أيضاً]

ورُوينا عَنْ عائشةَ رضي اللَّه عنها: المُؤمنُ أخو المُؤمنِ لا يَغْتَنِمُه ولا يَحْتَشِمُه.

[أيضاً]

٦ ـ يَنْبغي للسَّالِكِ أن يَدْعُوَ لأخيهِ بالغَيْبِ، قال رسول اللَّه ﷺ: «يُسْتَجَابُ للمرءِ في أخيهِ ما لا يُسْتَجَابُ له في نَفْسِه»، وَجَاء في الحديثِ: «دُعَاء الأخِ لأخيهِ بالغَيْبِ لا يُرَدّ». ويقُةةةةةولُ المَلَكُ: «ـ ولَكَ مِثلَ هذا ـ كَانَ أبو الدرداء رضي اللَّه عنه يقول: إني لأدْعُو لأربعينَ مِنْ إخواني في سُجُودِي أسمِّيهم بأسْمَائِهم».

[أيضاً ص ٤٤٠]

وكَانَ شَيْخٌ يقولُ: يَحْرُسُنا أدْعِيةُ أكَابِرِنا.

٧ ـ يَنْبغي للسَّالِكِ أنْ يَدْعُوَ لأخيهِ بَعْدَ وَفَاتِه، لا يَدْري لَعَلَّ دُعَاءه يُسْتَجَابُ ويغفرُ للميتِ لِحُسْنِ نيَّتِهِ. قال النَّبيُّ ﷺ: «مَثَلُ المَيِّتِ في قَبْرِه مَثَلُ الغَرِيقِ يَتَعلَّق بكلِّ شيءٍ، يَنْتَظِر دَعْوَةً مِنْ وَلَدٍ أو وَالِدٍ أو أخٍ وإنه لَيَدْخُلُ على قُبُورِ الأمْواتِ مِنْ دُعَاءِ الأحْياءِ مِنَ الأنوارِ أمْثَال الجِبَالِ». ويقال: الدُّعاءُ للأمواتِ بمنزلةِ الهَدَايا للأحْياءِ في الدُّنيا، وقد كَانَ الإخوانُ يُوصُونَ إخْوانَهُم بَعْدَهُم بدَوَامِ الدُّعاءِ لَهُمْ، وكَانَ عليٌّ رضي اللَّه عنه يقولُ: غَرِيبٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ له حَبِيبٌ.

[أيضاً ص ٤٤١]

وَمَا أحْسَنَ هذا الدُّعاءَ الذي عَلَّمَه اللَّه تعالى للمؤمنين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

على السَّالِكِ، أنْ يوسّعَ مائدته لأخيهِ ويَعْمَلَ بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٩].

وَقَدْ كَانَ أصْحَابُ مُحَمَّدِ بنِ وَاسِعٍ، وفَرْقَدِ السّنْجي يَدْخُلُون مَنْزِلَه فيأكُلُونَ مِنْ غيرِ أن يُؤْذَنَ لهم ويقول: ذكرتموني أخلاق قوم مَضَوْا. هَكَذا كُنَّا نَدْخُلُ على أبي سُلَيْمَانَ الدَّارَانيّ، فيُقَدِّمُ إلينا الطَّيِّباتِ ولا يأكلُ معنا ويقول: إنّما خبأته لَكُمْ، فقُلْنا: نُطْعِمُنا الشَّهواتِ ولا تأْكُلُها. فقال: لا آكُلُها لأني قد تَرَكْتُ أَكْلَها، وأُقَدِّمُها إليْكُمْ لأنّي أَعْلَمُ أنّكُمْ تَشْتَهُونَها. وقَالَ: كُنّا نُبَايِتُ إبراهيم بن أدْهَمَ في المصيصَةِ وفي قُرَى السَّوَاحِلِ، فكَانَ يكسرُ لنا الصّنوبرَ والبندقَ واللوزَ لَيْلَةً أجْمَعَ ويقُولُ: كُلُوا، فقلنا: لو أَقْبَلْتَ على صَلاتِكَ وتَرَكْتَ هذا. فيقولُ: هَذَا أفْضَلُ.

[أيضاً ص ٤٤٤]

أبَاحَتِ الشَّريعةُ أكْلَ الطَّعامِ مِنْ بَيْتِ الصَّديقِ بغيرِ إذْنِهِ، أَكَلَ النَّبيُّ ﷺ مِنْ لَحْمِ بَريرةَ تُصُدِّقَ بِها عليها وكانت غائبةً لما عَلِمَ أنه يُسِرُّها.

[أيضاً]

نَظَرَ هَاشِمُ الأوقصُ إلى الحَسَنِ رحمه الله تعالى وهو يأكُلُ من جونِ لبقّالٍ: مِنْ هذه بُسْرةُ ومن هذه تِينةُ. فقال له: يا أبا سعيد، تأكلُ من مالِ الرجلِ بغير إذْنه، فقال: يا لُكَعُ، اتلُ عليَّ آية الأكل ثم قرأ الحسن: ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ ﴾ [النور: ٦١] إلى قوله تعالى: ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ [النور: ٦١].

[أيضاً]

وقد كان بَعْضُ النّاسِ يفجؤه الضّيفُ، فلم يَكُنْ عنده ما يُقَدِّمُه إليه فيذهَبُ إلى مَنْزِلِ أخيهِ فيأخذُ خُبزاً وقِدْراً قد كان طَبَخَها، فيحملُه إلى

ضيفه فيلْقاهُ أخوهُ بعد ذلك فيَسْتحسِنُه منه ويأمرُه بِفِعْلِ مثلِ هذا في كلِّ نائبةٍ.

[أيضاً]

ورُوينا أنَّ مالِكَ بنَ دينارٍ ومحمَّد بن واسعٍ دَخَلا مَنْزِلَ الحَسَنِ وكان غائباً فأخْرَجَ محمَّدُ بنُ واسعٍ سلّة فيها طَعَامٌ من تحت السّرير، فجعل يأكل، فدخل الحَسَنُ فقال: هكذا كنّا لا يَحْتشِم بَعْضُنا مِنْ بَعْضٍ.

[أيضاً ص ٤٤٦]

كانَ السَّلَفُ الصَّالِحون يَخْتلِطونَ بإخوانِهِمُ المُسْلمين يتأكلون وَيتَماشَوْنَ في الأَسْواقِ، يَشْتَرُونَ الحَوائجَ بأنْفُسِهِمْ ويَحْمِلُونَ هُمْ مَتاعَهُم وَكانَ هذا سِيرَةَ الصَّحَابَةِ رضي اللّه عنهم والتَّابعينَ. كان عُمَرُ رضي اللّه عنه يَحْمِلُ القِرْبةَ على ظَهْرِه لأهْلِه، وكان عليٌّ رضي اللّه عنه يَحْمِلُ التمرَ والمِلْحَ في ثَوْبِه ويَدِه ويقولُ:

لا يَنْقُصُ الكَامِلُ مِنْ كَمَالِهِ ... ما جَرَّ مِنْ نَفْعٍ إلى عِيَالِهِ

ومنهم أبيٌّ، وابنُ مسعود، وحذيفةُ، وأبو هريرة رضي اللّه عنهم، كانوا يَحْمِلُونَ حزمَ الحَطَبِ وجربَ الدَّقيقِ على أكْتافِهِمْ وظُهُورِهِمْ، وسيِّد المُرسلينَ، وإمامُ المُتَّقينَ، ورَسُولُ ربِّ العالمينَ، محمد ﷺ كان يَشْتَري الشيءَ فيَحْمِلُه بنفسِه. فيقولُ له صاحبُه: أعْطِني أحْمِلْه عنك، فيقول: «صَاحِبُ الشَّيءِ أحقُّ بِحَمْلِهِ».

[أيضاً ص ٤٤٨]

كانَ النَّبيُّ ﷺ يَحْلِبُ الشَّاةَ ويُسَاعِدُ أهْلَهُ في إعْدادِ الخُبْزِ، ويَكْنسُ البيت مع أنَّه يَغْلِبُ عليْهِ خَشْيَةُ اللّهِ وحُبُّه. (يتبيَّنُ مِنْ هذا التَّفصِيلِ خطأُ سَالِكينَ يَعْتَزِلُونَ عَنِ الأمُورِ المنزليَّةِ بالاشْتِغالِ بالذِّكْرِ والأَوْرَادِ ويَحْسَبُونَه زُهْداً وتَقْوَى). قال عليٌّ رضي اللّه عنه: لأنْ

أَصْنَعَ مِنْ طَعَامٍ وَأَجْمَعُ عليه إخواني في الله أحبُّ إليّ مِنْ أنْ أَعْتِقَ رَقَبَةً.

[أيضاً ص ٤٤٤]

وكانَ أبو سُلَيْمَانَ الدارانيّ يقولُ: لو أنّ الدُّنيا كلّها لي فَجَعَلْتُها في فَم أخٍ مِنْ إخواني لاسْتَقْلَلْتُها لَهُ، وقَالَ: إنّي لأُلْقِمُ الأخَ من إخواني اللُّقْمَةَ فأجِدُ طَعْمَهَا في حَلْقِي.

[أيضاً ص ٤٣٣]

٨ - يَنْبَغِي للسَّالِكِ ألا يُؤْذِيَ أخَاهُ أبداً. كَانَ بَكْرُ بَنُ عَبْدِ اللّه المُزَنِيُّ يَضَعُ مِيزَابَ سَقْفِهِ في سَاحَتِهِ حتّى لا يَتَأذّى أحَدٌ. نَزَلَ عَالِمٌ عِنْدَ الشَّيْخِ حُسَيْن أحمد المدنيّ ضَيْفاً، فَقَدّمَ الشَّيْخُ له الفَوَاكِهَ، فَرَغَ الضَّيْفُ مِنَ الأكْلِ فقالَ: أنا أرْمِي القِشْرَةَ في الخَارِجِ، فَقَالَ: سَوْفَ تَرْمِي القِشْرَةَ في مَكَانٍ واحِدٍ، وسَيَرَى أطْفَالُ الجَارِ وَيَرْغَبُونَ في أكْلِ الفَاكِهَةِ، فلمّا لم يَجِدُوهُ في بُيُوتِهِمْ تتأذّى قُلُوبُهُم، فسأل الضَّيْفُ: فكيفَ تَرْمِي أنت؟ فقالَ: أجْعَلُ القِشْرةَ قِطَعاً وأرْمِي قِطْعَةً في مَكَانٍ، وقِطْعَةً في مَكَانٍ آخَرَ بعد مَسَافَةٍ فلا يَظْهَرُ برؤيتها أنّ أحَداً أكَلَ الفَوَاكِهَ.

يجبُ التَّحرّزُ عن إيذاءِ المُسْلِمِينَ، ويجبُ ذِكْرُهُمْ بِكَلِمَاتٍ طَيّبَةٍ. قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما في وصيّتِهِ لمُجَاهِدٍ: وَلَا تَذْكُرْ أخَاكَ إذا تَغَيَّبَ عنكَ إلا بمِثْلِ ما تُحِبّ أنْ تُذْكَرَ به إذا غِبْتَ، واعْفِهِ بما تُحِبّ أنْ تُعْفَى به. كان بعضُهُم يقولُ: ما ذُكِرَ أخي عندي في غَيْبٍ إلا تَمَثّلته جَالِساً، فقلتُ فيه ما يُحِبّ أن يُسْمَعَ في حُضُورِه.

[أيضاً ص ٤٢٠]

٩ - ولا يَنْبَغِي أنْ يحدثَ صُورَةُ نِزَاعٍ. وفي حديثِ أبي أُسَامَةَ الباهليّ: خَرَجَ علينا رَسُولُ الله ﷺ ونَحْنُ نَتَمَارَى فَغَضِبَ ثم قَالَ: ذَرُوا

المِراءَ لقلّةِ خيرِهِ، ذَرُوا المراءَ فإن نفعَه قليلٌ وهو يهيجُ العَداوةَ بين الإخوانِ.

[أيضاً ص ٤٢٩]

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ عَنْ أبيهِ قَالَ: كُنْتُ باليَمَنِ وكَانَ لي جَارٌ يهوديٌّ ويُخْبِرني عَنِ التّوراةِ، فَقَدِمَ علينا يَهُوديٌّ مِنْ سَفَرٍ فقلت: إنَّ اللّهَ تَبارَكَ وَتَعالَى قد بَعَثَ فينا نبيًّا فَدَعَا إلى الإسْلَامِ فأَسْلَمْنا، وَقَدْ نَزَل علينا مُصَدِّقاً للتَّوْرَاةِ فقال اليَهُوديُّ: صَدَقْتَ، ولَكِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَقُومُوا بما جَاءَكُم به، إنَّا نَجِدُ نَعْتَه ونَعْتَ أُمَّتِهِ أنّه لا يَحِلّ لامْرِىءٍ يَعْلَمُ مِنْهُم أَنْ يَخْرُجَ مِنْ عَتَبَةِ بابِهِ وفي قَلْبِهِ سَخِيمَةٌ على أخيهِ المُسْلِمِ.

[أيضاً ص ٤٣٠]

قَالَ السَّلفُ الصّالحون: ما يحسدُ الشَّيطَانُ المُتعاونِينَ على برٍّ حَسَدَهُ المتآخِينَ في اللّه عزّ وَجَلّ والمُتَحابّين فيه، فإنّه يجهدُ نَفْسَه ويحثُّ قبيلَه على إفسادِ ما بينِهِما. وقد قَالَ الصّادقُ عَزَّ وجَلّ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣] يعني: يَقُولُون الكَلِمَةَ الحَسَنَةَ بَعْدَ نَزْغِ الشَّيطانِ، وقال عز وجل مُخْبِراً عن يُوسُفَ عليه السّلام: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٠].

[أيضاً ٤١٦]

١٠ ـ وعلى السَّالكِ أنْ يَنْصَحَ لأخِيه وإيّاهُ أنْ يَفْضَحَهُ، وفَرْقٌ بَيْنَ النَّصِيحَةِ والفَضِيحَةِ فما كانَ في السرّ فهو نَصِيحَةٌ، وما كان على العَلانِيَةِ فهو فَضِيحَةٌ، وقَلّما تصحّ فيه النيّة لوجهِ اللّه عز وجل لأنّ فيه شَناعةً، وكذلك الفَرْقُ بين العِتابِ والتّوبيخِ، فالعِتَابُ ما كان في خَلْوَةٍ، والتّوبيخُ لا يَكُونُ إلا في جَمَاعةٍ.

وكذلك يُداري ولا يُداهِنُ، فالمُداراةُ ما أردْتَ به وَجْهَ اللّهِ تعالى وطَرِيقَ الآخِرَةِ مِنْ دَفْعٍ عن دِينٍ وقَصَدْتَ به سَلامَةَ أخيك من الإثْمِ

وصَلاحَ قَلْبِهِ للّه تبارك وتعالى، والمُداهَنَةُ ما اجْتَلَبْتَ به مِنْ دُنْيا وأرَدْتَ به حظ نَفْسِكَ، وكذلكَ الفَرْقُ بين الغِبْطَةِ والحَسَدِ، إنَّ الغِبْطَةَ أنْ تُحِبَّ لنفسِكَ ما رأيته مِنْ أخيكَ، ولا تُحِبَّ زَوَاله عنه، بل تَبْقِيَتَهُ له وإتْمامَهُ عليه، والحَسَدُ ما أردتَ أنْ يكُونَ ذلك منه لك، وأحببْتَ زَوَالَه عنه وكَرِهْتَ تبقيته عليه، فهذا مَكْروهٌ فإن سَعَيْتَ في ذلك بِقَوْلٍ أوْ عَمَلٍ فهو البَغْيُ زيادة على الحَسَدِ، وهو مِنْ كَبَائِرِ المَعَاصِي.

أخيكَ بدليلٍ يَظْهَرُ لكَ أو شَاهِدٍ يبدُو منه أو علامةٍ تُشْهِدُها فيه، فتتفَرَّسُ من ذلك فيه ولا تنطقُ به إنْ كانَ سوءاً، ولا تُظْهِرُه ولا تحكُمُ عَلَيْهِ ولا تقطع به فتأثم، وسوءُ الظنِّ ما ظننته مِنْ سُوءِ رأيكَ فيه أو لأجْلِ حِقْدٍ في نَفْسِكَ عليه أو لِسُوءِ نيّةٍ تكُونُ أو خبثِ حَالٍ فيك، تَعْرِفُها مِنْ نَفْسِكَ فتَحْمِل حَالَ أخِيكَ عليها وتَقِيسُه بك، فهذا هو سُوءُ الظَّنِّ والإثْمُ، وهو غَيْبَةُ القَلْبِ وهو مُحرمٌ.

[أيضاً ص ٤٢٧، ٤٢٨]

قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «لا تَبَاغَضُوا ولا تَدَابَرُوا ولا تَحَاسَدُوا ولا تَقَاطَعُوا، وكُونُوا عِبَادَ اللّه إخواناً».

[أيضاً ص ٤٢٩]

ومِنْ عَلامةِ التُّقى حُسْنُ المَقَالِ عِنْدَ التَّفَرُّقِ، وجَميلُ البِشْرِ عند التَّقاطُعِ، أنْشَدَنا بعضُ العُلَماءِ الحُكَماءِ في معناه:

إنَّ الكَرِيمَ إذا تَقَضَّى وُدّه ... يُخْفِي القَبِيحَ ويُظْهِرُ الإحْسَانَا

وتَرَى اللَّئيمَ إذا تَصَرَّمَ حَبْلُه ... يُخْفِي الجَمِيلَ ويُظْهِرُ البُهْتَانَا

فَوَصْفُ الكَرِيمِ في هذا المَعْنى التَّخَلُّقُ بخُلُقِ الرُّبُوبيّةِ، ألَمْ تَسْمَعْ إلى الدُّعاءِ المَأْثُورِ عَنْ رَسُولِ اللّه ﷺ في أوّله: يا مَنْ أظْهَرَ

الجَميلَ وسَتَرَ القَبيحَ، ولم يُؤَاخِذْ بالجَريرَةِ ولَمْ يَهتِكِ السِّتْرَ.

[أيضاً ص ٤١٧]

وإنشاءُ هذه الأوصَافِ في نَفْسِهِ يُقالُ له التَّخَلُّقُ بأخلاقِ اللّهِ. وعلى السَّالِكِ أن يُكْثِرَ مِنْ هذا الدُّعاءِ. ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي اللّه عنه قالَ: كُنّا جُلوساً مَعَ رَسُولِ اللّه ﷺ فقالَ: «يَطلُعُ الآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ تَنْطُفُ لِحيَتُه مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ عَلَّقَ نَعْلَيْه بِيَدِهِ الشِّمال، فلمَّا كَانَ الغَدُ قال النبيُّ ﷺ مثل ذلك، فَطَلَعَ ذلك الرَّجُلُ مِثْلَ المَرَّةِ الأولَى، فلمَّا كان اليومُ الثالثُ. قال النبيُّ ﷺ مثل مقالته أيضاً، فطَلَعَ ذلك الرَّجُلُ على مِثْلِ حَالِهِ الأولَى، فلمَّا قَامَ النبيُّ ﷺ تَبِعَه عَبْدُ اللّه بن عَمْرٍو، فقالَ: إنِّي لَاحَيْتُ أبي فأقسَمْتُ أنِّي لا أدْخُلُ عليه ثلاثاً، فإنْ رأيت أنْ تُؤْوِيَنِي إلَيْكَ حتى تَمْضِيَ فعلت؛ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ عبدُ اللّه يحدِّث أنه بَاتَ معه تلك الثَّلَاثِ اللَّيالي، فلم يَرَهُ يقومُ مِنَ اللَّيْلِ شيئاً غير أنه إذا تَعَارَّ تَقَلَّبَ على فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللّهَ عز وجل، وكَبَّرَ، حتى لصلاةِ الفَجْرِ، قال عبد اللّه: غَيْرَ أنِّي لَمْ أَسْمَعْه يقولُ إلا خيراً، فلمَّا مَضَتِ الثَّلاثُ الليالي، وكِدتُ أن أَحْتَقِرَ عَمَلَه قلتُ: يا عَبْدَ اللّه لم يكن بيني وبين أبي غَضَبٌ ولا هَجْرَةٌ، ولَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّه ﷺ يقولُ لك ثَلَاثَ مَرَّاتٍ:

«يَطلُعُ عَلَيْكُم الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»، فَطَلَعْتَ أنت الثَّلاثَ المَرَّاتِ، فأردتُ أن آوي إليك فأنظرَ ما عَمَلُكَ فأقتدي بكَ، فلَمْ أَرَكَ عَمِلْتَ كبير عَمَلٍ، فمَا الذي بَلَغَ بكَ ما قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ؟ قال: ما هُوَ إلا ما رأيتَ، فلمَّا وليتُ دَعَاني فقال: ما هُوَ إلا مَا رأيتَ غَيْرَ أنّي لا

أجدُ في نفسي لأحدٍ من المسلمين غشًا ولا أحسُدُ أحداً على خيرٍ أعطاهُ اللهُ إيّاه، فقال عبدُ الله: هذه التي بلغتْ بك.

[رواه أحمد، الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٥٤٩]

لأدامةِ المؤاخاةِ خُلقانِ أساسيّانِ: تواضُعٌ وإيثارٌ. قال عليه الصّلاة والسّلام: «مَنْ تواضعَ للهِ رفعهُ اللهُ». قال شاعرٌ ما معناه:

مَنْ تواضعَ وتخضعَ كالأرضِ غطّاه رحمةُ اللهِ كالسّماءِ

قال شيخٌ لمريديهِ: كلبٌ صحِبَ أصحابَ الكهفِ فوُعِدَ بالجنّة وذُكِرَ في القرآنِ الكريم. احسبُوا أصحابكُم كأصحابِ الكهفِ واحسبُوا أنفسكُم ككلبِهِمْ تدخُلوا الجنّة ببركةِ أصحابِكُمْ. كانَ الخواجه فضل علي القُرَيشي يقول لمريديهِ:

يا معشرَ الفقراءِ انظُروا إن الرّأسَ مُرتفعٌ كُلما يُخطِئُ الإنسانُ يضربُ رأسهُ بالنّعالِ والقدمُ مُنخفِضٌ، وكُلّما أكرمَ إنسانٌ يأخذ النّاسُ الأقدامَ ويحاولونَ لإرضائِه فإيّاكُمْ والتّكبُّرَ. وينبغي للسّالكِ أنْ يتواضعَ لأخيهِ في الدينِ حتّى لو وضعَ قدمَه على صدرِه ومشى لا تغضب.

كان شيخٌ يذكُرُ فضلَ التّواضُعِ هكذا: الإنسانُ يضعُ جبينَه على الأرضِ في السجدةِ فأحبّ اللهُ هذا العجزَ حتى قال: أقربُ ما يكونُ الإنسانُ في السّجدةِ. علامةُ التّواضُعِ أنْ يحسبَ الآخرينَ خيْراً وأحسَنَ منه فالسّالكُ يحترمُ الكبارَ لكثرةِ حسناتِهِمْ منه ويشفِقُ على الصّغارِ لقلّة سيّئاتِهِمْ منه.

**حكاية**: كانتْ جماعةٌ منَ السّالكينَ يمشونَ على أقدامِهِمْ للحضورِ إلى زاويةِ شيخِهِمْ، فرآهم شخصٌ فقالَ: لأذهبْ وأطلُبْ الدُّعاءَ مِنْ أكبرِهِمْ ولايةً، فصافحَ الأول وقالَ: أنتَ وليٌّ فادعُ لي فقال: أنا خادمٌ. والأولياء مَنْ يأتونَ خلفي فطلَبَ الدُّعاءَ مِنَ الثّاني، فأجابَ هكذا: إني

خادِمٌ والأولياء مَنْ يأتونَ بَعْدي، وهَكَذا حتّى جاءَ الأميرُ فطَلَبَ الدُّعاءَ منه وقال: أنتَ وليٌّ فادْعُ لي فقال: أنا خادِمٌ والأولياء هُمُ الذين مَضَوْا قُدّامي.

اللّه أكبر كلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ بحسبُ أصْحابَه أفْضَلَ وأعْلى مِنه. الإيثارُ أنْ يفضِّلَ أخاه مع حاجَتِهِ وهو وَصْفٌ امتازَ به الصَّحابَةُ رضي اللّه عنهم قال تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩].

وقِصّةُ الصَّحابيّ مَعْروفةٌ أنْ ضَيْفاً دَخَلَ بيتَه، فوضَعَ المائدة وأطْفأ السِّراجَ ولم يأكلْ حتى يَشْبَعَ الضَّيفُ.

اجْتَمَعَ في الريّ عند الشَّيخ أبي الحَسَنِ الأنطاكي ثَلاثُون سالِكاً وكانَ الطَّعامُ يكفي لِخَمْسَةٍ. وَضَعَ الخادِمُ الطَّعامَ على السُّفْرةِ وأطفأ السِّراجَ، فَرَأى الخادِمُ بَعْضَ الطَّعام باقياً. كلُّ واحِدٍ أكَلَ قليلاً حتى يأكُلَ أخوه، وهذه الأخْلاقُ مَنْقُولَةٌ مِنَ الصَّحابةِ رضي اللّه عنهم أجمعين، قد دارَ رأسُ شاةٍ في سَبعةِ بُيُوتٍ حتى رَجَعَ إلى الأوّلِ.

تَسَحّرَ وأفْطَرَ عليٌّ وفاطِمةُ رضي اللّه عنهما ثَلاثةَ أيّام بالماءِ، وقَدَّمَ طَعامَهُما للسّائلِ فَنَزَلَتْ هذه الآية: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان: ٨].

طَلَبَ غازٍ جريحٌ مِنْ حُذَيْفَةَ الماءَ في غَزْوَةِ اليَرْمُوكِ فَتَوَجَّعَ هِشامُ ابنُ العاصِ مِنْ جانِبٍ آخر، فأغْلَقَ فَمَهُ وأشارَ إلى الثاني أنِ اسْقِهِ أولاً ولمّا وَصَلَ إلى الثاني سَمِعَ صوتاً من جانبٍ ثالثٍ، فأرْسَلَه الثاني إلى الثّالثِ، فلمّا وَصَلَ السّاقي إلى الثالثِ وَجَدَهُ قد تُوفّي، فرجَعَ إلى الأول فوَجَدَه شهيداً أيضاً. أسسَ هؤلاء المُجاهِدونَ باباً جديداً للإيثارِ في التّاريخِ الإنسانيّ حيثُ لم يَشْرَبُوا الماءَ عِنْدَ النَّزْعِ، وأرْسَلُوا إلى الآخرِ وماتُوا عِطاشاً.

[illegible]
ورقاماً، فلما جاءَ وقتُ القتلِ تقدَّمَ الشيخُ أبو الحسنِ النوريِ إلى الجلّاد ليُقتَلَ، فسُئِلَ لِمَ تقدَّمْ؟ فقالَ: حتى يجدَ أخي ثواني مِنَ الحياةِ. سُبْحانَ اللهِ! إنَّ هؤلاء سَقَوا نبات المُؤاخاةِ بالإيثارِ حتى أصْبَحَتْ شجرةً أصْلُها ثابتٌ وفرْعُها في السَّماء. علَّمَ الإسْلامُ الإيثارَ للصَّاحِبِ بالجَنْبِ فضلاً عَنِ الأخوة في الطَّريقة والأعزّة والأقارب.

إنَّ الأخوّةَ في اللهِ والمَحبَّةَ في اللهِ وحُسْنَ المُصاحَبةِ مِنْ دأْبِ السَّلفِ الصَّالحين، وفُقِدَتِ اليوم وذَهَبَتْ آثارُها. مَنْ يَعْمَلْ بها يُحْيِيها ومَنْ يُحْيِيها يَنالُ أجْرَ مَنْ يَعْمَلُ بها بَعْدَه. السَّالِكُ الذي وَجَدَ أخاً مُخْلِصاً عليه أنْ يَشْكُرَ الله تعالى ويقولَ: الحَمْدُ لله ربِّ العالَمين.

**ملحوظة:** مُعْظَمُ القِصَصِ المَذْكُورةِ في الأخوّة الإسْلاميّة مأخوذٌ من كِتابِ قُوتِ القُلُوبِ لأبي طالِبٍ المكّيّ.

## الباب الثالث عشر

# أسئلة وأجوبة

س ١: كَيْفَ يَنالُ الشَّيْخُ مِنَ المُرِيدِينَ المَحَبَّةَ بَعْدَ النَّقْدِ والعِتَابِ؟

جـ : الطَّبِيبُ يَشْرُطُ الجِلْدَ بالمِشْرَطِ، ولَكِنْ بعْدَ حُصُولِ الشِّفَاءِ يَدْعُو له النَّاسُ.

س ٢: يُعْتَبَرُ اليوم ابنٌ غير مُؤَهَّلٍ للشَّيْخِ الكَامِلِ شَيْخاً كَامِلاً، هَلْ هذا صحيحٌ؟

جـ : كَمَا لا يَرْضَى شَخْصٌ بجَعْلِ ابن الدّكْتُور دُكْتوراً ما لَمْ يَتَعَلَّمِ الطِّبَّ بنظَامٍ، كذلِكَ لا يَكُونُ ابنُ الشَّيْخِ شَيْخاً ما لَمْ يَجِدِ النِّسْبَةَ بنظَامٍ. نَعَمْ لَوْ وجدَ النِّسْبةَ، فولَدُ الشَّيْخِ يكون نُوراً على نُورٍ، يُسْتَحْسَنُ تَجْدِيدُ البَيْعَةِ على يدَيْهِ.

س ٣: بَعْضُ الناسِ يقولونَ: إنْ كَانَ الشَّيْخُ غير كَامِلٍ فلا حَرَجَ عِنْدما كانَ اليقينُ مُحْكَماً. هل هذا صحيحٌ؟

جـ : كَمَا أنَّ مَسْجُوناً لا يُخَلِّصُ مَسْجُوناً آخرَ، وشَخْصاً نائِماً لا يَسْتَطِيعُ أنْ يُوقِظَ نَائِماً آخرَ، أو شَخْصٌ أعْمَى لا يَهْدِي أعْمَى آخرَ، كَذَلِكَ شَخْصٌ غَافِلٌ لا يستطِيعُ أنْ يَجْعَلَ الغَافِلَ ذَاكِراً، فَكَيْفَ يَصِيرُ المُرِيدُ كَامِلاً عِندَما لمْ يَكُنِ الشَّيْخُ كَامِلاً.

س ٤: إذا كانَ القُرآنُ والحَدِيثُ مَوْجُودَيْنِ عِنْدَنَا فلأيِّ شيءٍ نَحْتَاجُ إلى الشيخِ؟ ألا يَسْتَطِيعُ الإنسانُ أنْ يُصْلِحَ نَفْسَهُ؟

جـ : الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم أجْمَعِينَ شَاهَدُوا نُزُولَ القُرآنِ الكَرِيمِ وشَاهَدُوا صَاحِبَ القُرآن ﷺ، وسَمِعُوا كَلَامَهُ ﷺ بآذانِهِمْ، ولَكِنْ ما اسْتَطَاعُوا أن يُزَكُّوا أنْفُسَهُم، بَلْ زَكَّاهُمُ النَّبيُّ ﷺ، ويعلمُ مِنْ قولِ الله عز وجل: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أنه لا بُدَّ مِنْ مُزَكٍّ، فَكَيْفَ نُصْلِحُ اليوم نُفُوسَنا في هذا العَصْرِ الذَّاهِبِ؟ كَمَا أنَّ الشَّجَرَ لا يشعرُ بِثِقَلِ ثَمرِهِ، كَذَلِكَ الإنْسَانُ لا يَرَى عُيُوبَه ذَمِيمةً. فَلا بدَّ للإصْلَاحِ أنْ يَرْجِعَ الإنسانُ إلى شَيْخٍ يُعَالِجُه مِنَ الأمْرَاضِ الباطنيةِ ـ مِثالُ التَّزْكِيَةِ بدونِ شَيْخٍ كَمِثالِ شَخْصٍ يقول: أنا مَرِيضٌ وكُتُبُ الطِّبِّ مَوْجُودَةٌ أقرأها وأداوي نَفْسِي، هل يُقَالُ له: إنَّه عَاقِلٌ؟

س ٥: بَعْضُ السَّالِكِينَ يُضَيِّقُونَ على أنْفُسِهِمْ دائِرَةَ المُبَاحَاتِ ويَحْرِمُونَ أنْفُسَهُمْ مِنْ بَعْضِ المُبَاحَاتِ ماذا تَقُولُ فيه؟

جـ : لَيْسَتِ الحِكْمَةُ في تَكْثِيرِ المُبَاحَاتِ أنْ يَسْتَخْدِمَ كُلَّ شَخْصٍ كُلَّ مُبَاحٍ، بَلْ لأنَّه لا يَدْرِي مَنْ يَحْتَاجُ إلى أيِّ مُبَاحٍ وفي أيِّ وَقْتٍ؟ فَبَعْضُ الأشْيَاءِ مُبَاحٌ للضَّرُورَةِ، ولِذَا يَجْتَنِبُ بَعْضُ المَشَايِخِ مِنَ التُّنْبولِ وشُرْبِ الشَّاي فَضْلاً عن التَّدْخِينِ.

س ٦: قَدْ يُعْرَضُ للسَّالِكِينَ كَيْفِيَّاتٌ عَجِيبةٌ، وَقَدْ لَا يَكُونُ مِنْها شيءٌ، ما سَبَبُ ذلك؟

جـ : مَثَلُ السَّالِكِ مَثَلُ شَجَرةٍ تَخْرُجُ بَرَاعِيمُها وتَظْهَرُ أوْرَاقٌ جديدةٌ، ثُمَّ يَنْتَهِي خروجُ الأوراقِ الجَدِيدةِ، ولا يعني أنَّ هذه الشجرةَ قد انْتَهى نُمُوُّها، بلِ الشَّجرةُ في ذلك الوقتِ تقوّي ساقَها وفروعَها، هكذا أحوالُ السَّالِكِ.

س ٧: كَيْفَ يعرفُ السَّالك، ماذا مَشْرَبه؟

جـ : يظهرُ على السَّالِكِ ظهوراً بيِّناً عَكْسُ صِفَاتِ نبيٍّ هو تحت قَدَمِ

ذلكَ النَّبيِّ عليه السَّلام، فمَنْ كانَ مُوسَويَّ المَشْرَبِ يكونُ كثيرَ الشَّغَفِ بكَلامِ اللَّهِ تعالى، وأمَّا إبراهيميُّ المَشْرَبِ فميزتُه التَّوكُّلُ على اللَّهِ وإكْرامُ الضَّيْفِ، ويَغْلِبُ الزُّهدُ في حياةِ عِيسَويِّ المَشْرَبِ ويكونُ لديْه قُوَّةٌ سلبيةٌ شديدة ويكونُ لِمُحَمَّديِّ المَشْرَبِ حبٌّ شديدٌ لاتِّباعِ السُّنَّةِ والأخلاقِ المُحَمَّديَّةِ.

**س ٨:** لو يَبْقى فَيْضُ الأولياء بَعْدَ المَوْتِ، فما الحَاجَةُ إلى مُبايعةِ شَيْخٍ آخَرَ؟

**جـ:** يَبْقى الفَيْضُ بَعْدَ المَوْتِ، ولَكِنْ لا بِمقْدارٍ يجعلُ الناقصَ كَامِلاً.

**س ٩:** لو غَضِبَ الشَّيْخُ على مُريدٍ ويَبْقى حُسْنُ اعْتِقادِ المُريدِ في حقِّ شَيْخِهِ هل تَبقى البَيْعَةُ أمْ لا؟

**جـ:** لو غَضِبَ الشَّيْخُ ولا يَزالُ اعْتِقادُ المُريدِ حَسَناً تَبْقى بَيْعَته، فَقدْ غَضِبَ رسولُ اللَّهِ ﷺ على كَعْبِ بنِ مَالِكٍ ولَكِنْ بَقِي اعْتِقادُه سَالِماً فأفْلَحَ.

**س ١٠:** لَوْ فَسَدَ اعْتِقادُ المُريدِ في حقِّ شَيْخِهِ والشَّيْخ لا يُقيل البَيْعَة أتبقى بَيْعَتُه أم لا؟

**جـ:** تَنْتَهي البَيْعَةُ، فَعَنْ جَابرٍ رضي اللَّه عَنْهُ أنه قَالَ: جَاءَ أعْرَابِيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ فَبَايَعَهُ على الإسْلَامِ، فَجَاءَ مِنَ الغَدِ مَحْمُوماً ـ وفي رواية: فأصَابَ الأعْرَابِيَّ وَعَكٌ بالمدينةِ ـ فقالَ: أقِلْني بَيْعَتِي، فأبى، ثم جَاءَهُ فَقَالَ: أقِلْني بَيْعَتِي، فأبى، فَخَرَجَ الأعْرَابِيُّ، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّما المَدِينَةُ كَالْكِيرِ، تَنْفِي خَبَثَها، وَيَنْصَعُ طِيبُها».

[أخرجه البخاري ومسلم والموطأ والترمذي والنسائي، ولم يذكر النسائي وعكة؛ جامع الأصول ج ٩ ص ٣١٩]

س ١١: كَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ علاقةُ المُرِيدِ بالشَّيْخِ؟

جـ: يَنْبغِي أَنْ تَكُونَ كَمَا كَانَتْ لسَيِّدِنا الصِّدِّيقِ بالنَّبِيِّ ﷺ، ففي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مرَّةً: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ»... فقالَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: (صَدَقْتَ يا رَسُولَ اللهِ، وحُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدنيا ثَلَاثٌ: النَّظَرُ إلى وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وإنْفَاقُ مَالِي على رَسُولِ اللهِ ﷺ. وأَنْ تَكُونَ ابنتي تَحْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ).

[المنبهات لابن حجر ص ٢٧، ٢٨]

فَتَدَبَّرُوا. كَانَتْ ذات رَسُولِ اللهِ ﷺ هي المَرْكَزُ في هذه الثَّلاثِ. فينْبغِي أَنْ يَكُونَ للسَّالِكِ مَعَ شَيْخِهِ عَلَاقَةُ الحُبِّ مثلها.

س ١٢: هَلْ تَحْصُلُ الفَائِدَةُ في السُّلوكِ بالذِّكْرِ أو بشيءٍ آخَرَ أيضاً؟

جـ: تَحْصُلُ الفائدةُ في البِدَايَةِ بالذِّكْرِ، ثمَّ يأتي زَمَنٌ لا يَبْقى فيه الذِّكْرُ مفيداً، ولو كانَ ذِكْرَ نَفْيٍ وإِثْبَاتٍ، بلْ يفيدُ الفِكْرُ، وفي هذه المرحلةِ تنفعُ تِلَاوةُ القُرآنِ وكثرةُ النَّوافِلِ والتبليغِ والتَّدريسِ والتَّصنيفِ، ثم تأتي مَرْحَلَةُ القُرْبِ بالفَرَائِضِ، سَواء أكانَتْ معينةً مِنْ عِندِ اللهِ تعالى أم مِنَ العِبَادِ، كأن يأمُرَ الشيخُ بالخِدْمَةِ في الزاويةِ، فهذه الخِدْمَةُ أكثرُ فائدةً مِنَ الذِّكْرِ والفِكْرِ ويُسَمَّى بالقُرْبِ بالفَرائِضِ.

س ١٣: ما المُرَادُ بخواصِّ الدُّرُوسِ؟

جـ: يَتعلَّقُ بكلِّ دَرْسٍ إزالةُ رَذِيلةٍ، يُلَاحِظُ الشَّيْخُ هل زَالَتِ الرَّذائلُ أم لا؟ عِنْدَما زَالَتْ رَذَائِلُ لَطِيفَةٍ يُعْطِي الشَّيْخُ دَرْساً جديداً.

س ١٤: ما المُرَادُ بالقُرْبِ بالنَّوافِلِ؟

جـ: يَتَقَدَّمُ السَّالِكُ بعد حُصُولِ الفَنَاءِ الكَامِلِ بالقُرْبِ بالنَّوافِلِ، فيعبدُ اللهَ بأيِّ عِبَادةٍ يريدُ، ثمَّ يُشْغِلُه اللهُ تعالى في أيِّ أمْرٍ دينيٍّ يشاءُ،

وهذا يُسَمَّى بالقُرْبِ بالفَرَائِضِ، فالبَعْضُ يُفَوَّضُ إليه أمْرُ التَّبليغِ، وإلى البَعْضِ أمْرُ التَّدريسِ أو التَّصْنِيفِ والتَّأليفِ، ويُعَاتَبُ صَاحِبُ القُرْبِ بالفَرَائِضِ لو اشْتَغَلَ بالنَّوافِلِ، كَمَا عُوتِبَ دَاوُدُ عليْه السَّلامُ ببعثِ رَجُلَيْنِ إليه في الخَلْوةِ.

س ١٥: هَلْ يُمْكِنُ ذِكْرُ النَّفْي والإثْبَاتِ بِحَبْسِ النَّفسِ مرةً واحدةً أكْثَرَ مِن واحِدٍ وعِشْرِينَ أمْ لا؟

جـ: على السَّالِكِ أنْ يَبْلُغَ عَدَدَ هذا الذِّكْرِ بعد مُرَاعَاةِ شَرَائِطِه إلى واحِدٍ وعِشْرِينَ، ثم لو زَادَ على هذا لاسْتَفَادَ. ففي المَكْتُوبَاتِ المَعْصُومِيَّةِ أنَّ شَخْصاً كَتَبَ إليه أنَّه يَذْكُر بالنَّفي والإثْبَاتِ في نَفسٍ واحِدٍ مائةَ مرَّة فشَجَّعه الشيخُ محمد معصوم رحمه الله تعالى.

س ١٦: هل يَحْصُلُ بقِراءةِ القُرآنِ الفَوائِدُ والثَّمراتُ التي تَحْصُلُ بأذْكارِ الصُوفِيَّةِ؟

جـ: مُعْظَمُ فائدةِ السَّالكِ في البِدَايةِ يَحْصُلُ بالذِّكْرِ حتى يَجِدَ فَنَاءَ القَلْبِ وفَنَاءَ النَّفْسِ، ثم يكونَ ارتفاعُ بالتِّلاوةِ والنَّوافِلِ وبأشْغَالٍ دينيةٍ أخْرَى.

س ١٧: الَّذينَ يَكْثُر دُرُوسُهُم ولم يَتوفَّرْ لهم الوقتُ ماذا يَفْعَلُونَ؟

جـ: لَوْ يُجَاوِزُ هؤلاء لَطَائِفَهِمْ مُتَوَجِّهِينَ قَاصِدِينَ لا يَخْلُو عَنِ الفَائِدَةِ.

س ١٨: مَا مَعْنَى سَلْبِ النِّسبةِ؟

جـ: النِّسبةُ اسْمُ عَلاقَةٍ بين اللهِ وبين العَبْدِ لا يَسْتَطِيعُ أحَدٌ أن يسلبه، نَعَمْ يُمْكِنُ سَلْبُ الكَيْفِيَّاتِ والوَارِدَاتِ.

س ١٩: بَعْضُ النَّاسِ يَتهلَّلُونَ بألسِنَتِهِمْ كلَّ وَقْتٍ يَقُولُونَ: لا إله إلّا اللهُ، هَلْ هذا جَائِزٌ؟

جـ: جَائِزٌ مائةً في المائةِ، بَلْ هو مُسْتَحْسَنٌ. سُئِلَ الشَّيْخُ عَزِيزَانِ علي

الراميتني رحمه الله تعالى عَنْ هذا السؤالِ، فأجابَ: إنَّ الشرْعَ أمَرَ بتلْقِينِ المُحْتَضِرِ بكَلِمَةِ الشَّهادَةِ وأنا أحْسَبُ نفسي مُحْتَضِراً كلَّ وَقْتٍ فألقنُ نَفسي بكَلِمَةِ التَّوحيدِ.

**س ٢٠:** الَّذينَ يَضَعُونَ المصْحَفَ الشريفَ في جُيُوبِهِم ويَضطَرُّونَ للدُّخولِ إلى المِرْحَاضِ، فَمَا حُكْمُهُم؟

**جـ :** يَنبغِي أنْ يكُونَ حُكْمُ الجَيْبِ حُكْمَ الغِلَافِ والأحْسَنُ مَعَ ذلكَ أنْ يَطْوِيَ المصْحَفَ في غِلَافِ البلاستيك ثمّ يُوضَعُ في الجَيْبِ.

**س ٢١:** المُؤمِنُ لا يزالُ مُنتظِراً للصَّلاةِ، لماذا؟

**جـ :** إذا أصْبَحَتِ الصَّلاةُ غذاءً للرُّوحِ فيحنُّ القَلْبُ للصَّلاةِ كما تَحِنُّ المَعِدَةُ للطَّعامِ.

**س ٢٢:** المَجذُوبُونَ مَنْ هُمْ؟

**جـ :** بَعْضُ عِبادِ الله تعالى يعينونَ للأمُورِ الرُّوحَانِيَّةِ، وبَعْضُهم مُخْتَصُّونَ للأمُورِ التَّكوينيّةِ والمادِّيَّةِ. وهؤلاء كالمَجانينِ ظاهِراً ولا يَجِبُ أنْ يَكُونَ لِرِجَالِ التشريعِ مَعْرِفَةٌ برِجَالِ التَّكوينِ، فمُوسَى عليه السَّلامُ لَمْ يَكُنْ له عِلْمٌ بالخِضْرِ، وقد تَجْتَمِعُ وظيفَتَا التَّكوينِ والتَّشريعِ في شَخْصٍ واحِدٍ. ومِنْ رِجَالِ التَّكوينِ قُطْبُ المَدَارِ، ومِنْ رِجَالِ التَّشريعِ قُطْبُ الإرشادِ. ويكونُ قُطْبُ المَدارِ تحت قُطْب الإرْشادِ غالِباً.

رَوَى البُخَارِيُّ أنَّ موسى عليه السَّلامُ قابَلَ الخِضْرَ وقال: ﴿أتبِعُكَ لتعلِّمني ممّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾. قال: ﴿إنَّكَ لَنْ تَستَطيعَ معيَ صَبْراً، يا مُوسَى إني على عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ الله علّمَنِيه لا تَعْلَمُه أنتَ، وأنتَ على عِلْمٍ علَّمكَ الله لا أَعْلَمُه﴾.

[صحيح البخاري مع حاشية السندي ج ٣ ص ١٥٣]

وهؤلاء الرِّجالُ رِجالُ الأمورِ التكوينيّةِ يُقالُ لهُمُ المَجاذيبُ.

س ٢٣: ما المُرادُ بالوارِداتِ الكَونيّةِ والوارِداتِ العِلْميّةِ؟

جـ: قَدْ تُلقى في قَلْبِ السّالِكِ نِكاتٌ عِلْميّةٌ، وقَدْ تُلقى نِكاتٌ تتعلَّقُ بالأمورِ المادّيّةِ، مثْلُ أنه سَيكونُ كذا وسَوْفَ لا يكُونُ كذا، ويُقالُ لها الوارِداتُ الكونيّةُ، ويُقالُ لِلْمَعارِفِ العلميّةِ الوارداتُ العِلْميّة، وكِلاهُما مَحْمُودٌ ولَكِنْ المَعارِفَ العلميةَ أفْضَلُ مِنَ الكونيّةِ، فالعِلْميّةُ لا تتأتّى لِكُلِّ واحِد.

ع: يُلقُونَ الرَّحيقَ في كأسِ الطَّلَبِ.

س ٢٤: ما هو المشرب؟

جـ: كُلّ سَالِكٍ لا بُدّ أنْ يكونَ تَحْتَ قَدَمِ نَبِيٍّ، ولَكِنْ ليس كُلّ سَالِكٍ يعرفُ أنه تَحْتَ قَدَمِ أيِ نبيٍّ؟

**حكاية**: أرْسَلَ شيخٌ مُريدَه إلى حَضْرةِ شَيْخ آخر لِيَعْرِفَ مَشْرَبَه، فلمّا وصلَ إليه المُريدُ، قال ذلكَ الشيخ: كيْف حَالُ يهوديكم؟ فَغَضِبَ المُريدُ. فلمّا رَجِعَ وسأله شَيْخُه عمّا جَرَى، أجابَ المُريدُ مُتلَعْثِماً. فَقالَ الشَّيْخُ: الحَمْدُ للهِ، أنا مُوسَويّ المَشْرَب.

س ٢٥: مَنْ يُقالُ له القَيُّومُ؟

جـ: العَالَمُ مظهرُ تجلّياتِ صفاتِ اللّه تعالى، فينبغي أنْ يكونَ هناك مظهرٌ لِتجلّياتِ الذاتِ سبحانه وتعالى، ويُقالُ له القَيُّومُ، فقيامُ العَالمِ ليس بالوَسَائِلِ المَادّيّةِ بَلْ بذِكْرِ اللّه، ولذلك قالَ النّبيُّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السّاعةُ على أحَدٍ يقولُ: اللّه اللّه» وفي روايةٍ: «حتى لَا يُقالَ في الأرْضِ: اللّه اللّه».

[أخرجه مسلم وأخرج الترمذي الثانية؛ جامع الأصول ج ١٠ ص ٣٩٤]

المَشايخُ يُكْثِرونَ ذِكْرَ اللّهِ تَعالى ويُتْقِنُونَ هذا العَمَلَ فيجعل شَخْصَ منهم قَيُّوماً.

س ٢٦: ما المُرادُ بِيَدِ الغَيْبِ؟

جـ: يَجِدُ بَعْضُ المَشايِخِ رِزْقَهُم تَحْتَ السَّجادةِ أو مِنْ طَرِيقٍ آخر خَفِيٍّ يُقالُ له يَدُ الغَيْبِ، ومِنْ يَدِ الغيبِ أنْ يقدِّمَ أحدٌ هديةً وهو لا يَرْجُو.

س ٢٧: ما هُوَ أصْلُ خَتَماتِ المَشايِخِ؟

جـ: قِراءَةُ آيَةٍ أو عَمَلُ عِبادَةٍ لها مُناسَبَةٌ كامِلَةٌ بحياةِ الشَّيْخِ وسيرَتِهِ لإيصالِ ثَوابِها إلى ذلك الشَّيخِ يُقالُ لها الخَتْم، وبعضُ المَشايخِ هم يُعَيِّنُونَ خَتْمَهم ويُعين للبَعْضِ بَعْدَ وَفاتِهِ مُريدُوه.

س ٢٨: ما الفَرْقُ بين الرُّؤيا والواقِعَةِ والمُشاهَدَةِ؟

جـ: كُلّ ما يُرَى في النَّوم يُقالُ له الرُّؤيا وإنْ شاهَدَ بَعْدَما نامَ جالِساً لِلْمُراقَبةِ يُسَمّى واقِعَة، وإنْ رَأى شيئاً في المُراقَبَةِ مُسْتَيقِظاً يُسَمّى مُشاهدةً.

س ٢٩: ما المُرادُ مِنَ القَبْضِ والبَسْطِ؟

جـ: يَشْعُرُ السّالِكُ بَعْضَ الأحيانِ بانْشِراحٍ عَجيبٍ وكَيْفِيّاتٍ غَريبةٍ، ويُسَمّى هذا بالبَسْطِ، وقَدْ تَخْتَفِي هذه الكَيْفِيّاتُ كأنْ لَمْ يَكُنْ شيءٌ، ويُقالُ له القَبْضُ. وكِلاهُما نِعْمَةٌ مِنَ اللّه تعالى، ولَكِنْ نَحْنُ نَسْألُ اللّه البَسْطَ فقط لِضَعْفِنا. كما أنّ الزارِعَ يسقي الشَّجَرَ ثم يتركُه مدةً ليجذبَ الماءَ ويجِفَّ، يضرُّ السَّقْيُ كلّ يَوْمٍ والشَّجَر يُصْبِحُ خَضِراً ناضِراً بالسَّقْيِ مَرّةً بعد مرّةٍ. هذه حَقيقةُ القَبْضِ والبَسْطِ لا بدّ مِنْهُما لتربيةِ السّالِكِ.

س ٣٠: ما مَعْنَى الفَناءِ في الرسُولِ؟

جـ: الكَيْفِيَّةُ التي يَحْصُلُ فيها اتّباعُ السُّنةِ طَبْعاً تُسَمّى الفَناءَ في الرسُول.

س ٣١: ما هُوَ «ياد داشت»؟

جـ: الولدُ الصغيرُ يَحفظُ حُروفَ الهِجاءِ ويرددُها سَريعاً، والكبيرُ لا يرددُها سريعاً مثله، ولكِنْ يكْتُبُ عند الضرورةِ العِبارَةَ الصَحيحةَ، أو نَقُولُ: نريدُ الذهابَ إلى المَسْجِدِ ونَنْظُر في الطَّريقِ إلى هنا وهناك ونُسَلِّمُ على الأصدِقاءِ، ولكِنْ لا نَنْسَى الذَّهابَ إلى المَسْجِدِ يُقالُ له: «ياد داشت» ومعْناهُ التَّذكُّر. كذلك السَّالكُ يَشتغِلُ بأعمالِ الدنيا، ولكِنْ لا يَذْهلُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ تعالى.

س ٣٢: ما هُوَ الفَرْقُ الأساسيُّ بينَ السِّلسلةِ النقشبندية والسِّلسلةِ الجِشتية؟

جـ: في كُلِّ سِلْسِلَةٍ أولياء كامِلُون والفَرْقُ في طَريقِ الوُصُولِ فَقطْ.

اسْتشارَ شخصٌ الشيخَ الحاجَّ أمداد الله المهاجر المكيّ، هَلْ يُبايعُ في السِّلسلة النقشبندية أو في السِّلسلة الجشتية؟ فقالَ، مثاله: أرْضٌ فيها شُجَيْراتٌ فلِزَرْعِها طَرِيقانِ: الأولُ أنْ تُنقّى سنة أو نصف سنة ثم تُزْرَعَ، والثاني أن ما ينظفُ منها يُزْرَعُ، وهكذا تَتِمّ التنقيةُ والزَّرْعُ معاً. فقال الرجُلُ: الطَّريقُ الثاني أحَبُّ إليّ. المَوْتُ لا يُدْرَى وَقْتُه، فقالَ الشَّيْخُ: فعليْكَ بالبَيْعَةِ في السِّلسلة النقشبندية.

س ٣٣: ما هُوَ السَّبَبُ لِكَثْرَةِ انْتِشارِ السَّلاسِلِ الصُّوفيّةِ في البِلادِ الحَنفيّةِ كالباكِسْتان والهِند وبنغلاديش وولايات وسط آسيا وتركيا وسوريا والأردن؟

جـ: خُلاصَةُ الدِّينِ في فِقْهِ الأئمةِ الأرْبَعَةِ، وتَتلخّصُ هذه الأربَعَة في فِقْهَيْنِ: الحنفيّ والشافعيّ، وقالَ المُجَدِّدُ رَحِمَه الله: إنّه يَغْلِبُ في الفِقْهِ الحنفيّ كَمالاتُ النبوةِ، ويَغْلِبُ في الفِقْهِ الشّافعيّ كَمالاتُ الولايةِ. فاتّباع السُّنة النبويّة في البِلادِ الحنفية كثيرٌ.

س ٣٤: يَكْثُرُ في الصَّلاةِ الوَساوِس والخَطَرات؟

جـ: كلّ وَسْوَسَةٍ خَطرَةٌ، وليس كُلّ خَطرةٍ وَسْوسَةٌ، بَلِ الوَسْوسَةُ خَطْرَةٌ تَحُولُ بينَ المرءِ وبينَ غايتِهِ، تأتي في صَلاتِنا خَطرات دنيويةٌ والدنيا أسْفَلُ ويأتي للأكابرِ خطراتٌ دينيةٌ عاليةٌ، فكان عُمَرُ رَضِيَ اللّه عنه يُجَهِّزُ جُيُوشَه في الصَّلاةِ، فمثلُ هذه الخَطَراتِ مَحْمُودةٌ لا تَمْنَعُ حُضُورَ القَلْبِ.

س ٣٥: يَكُونُ لِبَعْضِ المَشايخِ اسْتِغْراقٌ في الصَّلاةِ لا عِلْمَ لهُمْ بما حَوْلَهُم ماذا يَكُونُ؟ لماذا تكُونُ صَلَوَاتُنا بهذه المَثابةِ؟

جـ: حُصُولُ مِثْلِ هذا الاسْتِغْراقِ في الصَّلاةِ ليس بواجِبٍ، والمُرَادُ بحُضُورِ القَلْبِ التوجّه إلى اللّه. اخْتَصَرَ رَسُولُ اللّه ﷺ صَلاتَه وسَلّم لأجْلِ بُكَاءِ صبيٍّ.

س ٣٦: قيل: يُعاتَبُ المُنْتَهِي بالوَسْوَسَةِ؟

جـ: يُعَاتَبُ على وَسْوَسَةٍ تَعْقلُ المُنْتَهِي، وأمَّا الوَسْوَسَةُ التي تأتي وتَذْهَبُ فلا مُؤاخَذَة عليها.

س ٣٧: ما الفَرْقُ بينَ الظَّنِّ والإلْهَامِ؟

جـ: الإنْسانُ عِنْدَما ثَبَتَ على رَأيٍ بنيّةٍ وإرادةٍ يُسَمّى ظنًّا وعِنْدَما وَرَدَ في قَلْبِهِ خَطْرة بنفسِها يُسَمّى إلهاماً.

س ٣٨: ما مَعْنَى عالَمُ الأمْرِ وعَالَمُ الخَلْقِ؟

جـ: أوجَدَ اللّه تعالى العَالَم إيجادين: بعضُ العَالَم أوجَدَه بِكَلِمَةِ «كُنْ» وهو عَالَمُ الأمْرِ. وما أوجَدَه تدريجاً هو عَالَمُ الخَلْقِ.

س ٣٩: هَلْ يَجُوزُ السَّماعُ (سَماعُ الغِنَاء)؟

جـ: لا يَجُوزُ مَعَ المَزامِيرِ والمُوسِيقى. جَميعُ أنْواعِ الغِناءِ حتى الحَمْد ومَدْح الرّسولِ ﷺ. ويَجُوز الغِناءُ بدون المزامير بعد تحقق عدّة شروطٍ، منها:

١ ـ أنْ لَا يكونَ مُشتملاً على مَوْضوعَاتٍ فاسقة.

٢ ـ أنْ لا يَكُونَ في المَجْلِسِ اخْتِلاطٌ بين الرِّجالِ والنِّساءِ غير المحَارِمِ.

٣ ـ أنْ يَكُونَ للسَّامعينَ رَغْبَةٌ إليه كَرَغْبَةِ الجَائِع إلى الطَّعَامِ.

س ٤٠: ما هي عَلَامةُ السُّنَّة والبِدْعَةِ؟

جـ: السُّنَّةُ عَمَلٌ عَالَمِيٌّ والبِدْعةُ عَمَلٌ مَحَلِّيٌّ أي السُّنَّةُ عَمَلٌ يُوجَدُ سَوِيًّا في كلّ مَكَانٍ وفي كُلّ بَلَدٍ بكَيفيةٍ واحدةٍ مِثْل صَوْمِ عَاشُوراء، فإنه سُنَّةٌ يوجَدُ في كلّ مكانٍ، وفي كل بلدٍ، بينما احْتِفَالُ عاشِرِ مُحَرَّم بِدْعَةٌ. ولذا فإنّ لانعِقَادِه في إيرَانَ طَرِيقةٌ، وفي البَاكِسْتَان طَرِيقة أخرى، وفي العِرَاقِ طَرِيقة أُخْرَى، وفي الهِنْدِ أخْرَى.

س ٤١: لا يَسْتَحْسِنُ التَّصوفَ طائفةٌ كبيرةٌ مِنَ الأُمَّةِ لِمَاذا؟

جـ: بعضُ النَّاسِ يَتَنَفَّرونَ مِنْه ويَكْرهُونه بِسَمَاعِ قِصَصِ الشّيوخِ المَشْعُوذِينَ. ولا يفكِّرونَ أنّه قد اخْتَلَطَ في هذا العَصْرِ الرَّديء مِنْ كل شيء بالجَيّدِ، والتَّنقيحُ وظيفتنا. يَدْخُل في صُفُوفِ العُلَمَاء بَعْضُ أشرار النّفوسِ عبّاد الدّنيا ولا يَعني ذلك أنْ لا يتعلمَ العِلْمَ الدينيّ. حالة هؤلاء النَّاقدينَ مثل حالة «هند» التي يُقَالُ لها آكِلَةُ الأكْبَادِ. كانَتْ شديدةَ العَدَاوةِ قَبْلَ الإسْلام وقالَتْ بعد أن أسْلَمتْ: يا رَسُولَ اللّه لا أحِبّ أحداً الآنَ فَوْقَ ما أُحِبّكَ.

وهكذا يكُونُ حالُ النَّاقدينَ على التّصوفِ إنِ انْكَشَفَ لهم حَالُه.

س ٤٢: كيْفَ يَحْصُلُ التقدّم في التّصوّفِ؟

جـ: بأربعةِ أمورٍ: ١ ـ بكثرةِ الذّكْرِ، ٢ ـ باتّباعِ السُّنَّةِ، ٣ ـ بالتَّقْوَى، ٤ ـ بِرَابطَةِ الشّيْخِ.

س ٤٣: خَرَجَ مِنْ لِسَانِ بعضِ المَشَايِخ مِثل كَلِمَاتِ (أنا الحقّ) و(سبحاني ما أعظم شأني) لماذا؟

جـ : صَدَرتْ هذه الكَلِمَاتُ في حَالَةِ السُّكْرِ، ويكونُ الإنْسَانُ فيه مَعْذُوراً مَرْفُوعاً عنه القَلَمُ أنْ يَخرُجَ مِنَ الشَّجَرِ بحضرة موسى عليه السَّلام صَوتٌ: ﴿إنني أنا الله﴾ فمَا العَجَبُ لو صَدَر مِنْ لِسَانِ إنْسَانٍ ﴿أنا الحق﴾ نَعَم لو خَرَجَ مثل هذه الكَلِمَاتِ مِنْ ذي صَحْوٍ يَسْتَحِقُ العِقَابَ وضَرْبَ النِّعالِ.

س ٤٤: ما هو سَبَبُ مُعْظَمِ الذنوب؟

جـ : سَبَبُ مُعْظَمِ الذنوبِ حبّ الجَاهِ وزِيادةُ الشَّهْوَةِ.

س ٤٥: قال الإمَامُ الربَّانيُّ مجدِّدُ الألف الثاني: سَتَتَّحِدُ حقيقةُ الكَعْبَةِ والحَقِيقَةُ المحمديَّة في آخِرِ الزَّمانِ. ما معناه؟

جـ : الكَعْبَةُ المُشَرَّفة مَرْكَزُ التجلِّياتِ الذاتيَّةِ، ولهذا أصْبَحَتْ مَسْجُوداً إليها، وسَيَكُونُ آخيراً قَلْبُ النبيِّ الكريم ﷺ مَرْكَزاً للتجلِّياتِ الذاتيةِ على الدَّوام. سَجَدَ ليوسفَ عليه السَّلام نبيٌّ واحدٌ، وهو يَعْقُوبُ عليه السَّلام، وسَجَدَ لآدَمَ عليه السَّلام مِنَ المَلائِكَةِ، فالكَعْبَةُ وقَلْبُ المُؤْمِنِ كِلاهُما مَرْكَزُ التجلِّياتِ الذاتيةِ، والفَرْقُ أنّ الكَعْبَةَ مَرْكَزُ التَّجلِّياتِ على الدَّوامِ، وقَلْبُ المُؤْمِنِ قد يكونُ لها مركزاً وقد لا يَكُونُ.

س ٤٦: رُوِيَ عَنْ بَعْضِ المَشايخِ أنّ سيِّدَنا عليًّا رضي الله عنه كانَ يَضَعُ القَدَمَ في الرِّكَابِ فيقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم» وكان يَضَعُ القَدَمَ في الرِّكَابِ الثَّاني فيقرأ: «والنَّاس» كيف يُمْكِنُ ذلك؟ ورُوِيَ أنّ بَعْضَ المَشَايخِ خَرَجَ مِنْ بَلَدِه إلى مَكَانٍ آخَرَ وتَزَوَّجَ هناك وَوُلِدَ له أوْلادٌ، ثم رَجعَ ولم يَمْضِ إلَّا سَاعات، هَلْ هذا مُمْكِنٌ؟

جـ : الزمَنُ له طُولٌ وله عَرْضٌ وإنْ كَانَ المَعْرُوفُ أنّ للزمانِ طُولاً فَقَط، ويُمْكِنُ أنْ يَفْعَلَ الله تعالى للخَواصّ مثل هذه الأفعالِ في عَرْضِ الزَّمانِ كَقِصَّة المِعْرَاجِ.

س ٤٧: ما هو مبدأ التعيين؟

جـ : يكونُ لِكُلِّ سالكٍ مبدأ تعيينٍ مِنْ أسماء اللَّه تعالى وصِفاتِه ويكُونُ للسَّالكِ وصولٌ إلى مبدأ تعيينه. ولو فَازَ شَخْصُ السّير فوقه فهو نظريّ وليس بقدمي. (لا يكون له مقامٌ) كَمَا يكونُ لِشَخْصٍ بَيْتٌ في لَاهُور هذا مقام أصليّ. فأينما دار أو سار فالمقام الأصلي في لاهور.

س ٤٨: ما هُو التعيّنُ الأولُ؟

جـ : قال بَعْضُ المشايخِ: عِلْمُ اللَّه تعالى بِخَلْقِ العَالَم هو التَّعينُ الأول، وقال البَعْضُ: إرادةُ الخَلْقِ هو التّعينُ الأول. وقَالَ الإمامُ الربّانيّ مجدّد الألف الثاني: لمّا كان حُبّ أن أعْرفَ هو التعين الأول، فهذا الحبّ هو مبدأ التعين للنبيّ ﷺ وفوقه مقام اللّاتعيّن.

س ٤٩: الصّوفيةُ يكْتَفُونَ بتدويرِ السُّبْحَاتِ جُلُوساً على السّجّادةِ ولا يُسْهِمُونَ في الجِهَادِ لماذا؟

جـ : جاءتْ كَلِمَةُ الجِهَادِ في القُرآنِ الكريم لعدّةِ مَعَانٍ:

١ ـ الجِهَادُ بالمَالِ، أي بَذْلُ المَالِ في سَبيلِ اللَّه تعالى، والدَّليلُ عليه قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ﴾ [التوبة: ٤١].

٢ ـ الجِهَادُ بالنَّفْسِ أي تَطْبيقُ أحْكَامِ الشّريعةِ على الأنْفُسِ قال تعالى: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الصف: ١١] قال عليه الصّلاةُ والسّلامُ في هذه المُنَاسبة: «المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَه في طَاعةِ اللَّه».

٣ ـ الجِهَادُ بالقُرآنِ، أي عَرْضُ الإسْلامِ على الكفّار لإعلاءِ كَلِمَةِ اللَّه تعالى ودَليلُه قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

٤ ـ الجِهَادُ بالسّيْفِ. أي قِتَالُ الكُفَّار حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

الصوفيةُ يَشتغِلون غالباً في الأقسامِ الثلاثةِ الأُولِ للجهادِ ولا تَخفى أمثِلتُهم على أحَدٍ.

وأما الجِهادُ بالسَّيفِ؛ فعندما يَكونُ فرضَ عَينٍ لإعلاءِ كَلِمةِ اللّه تعالى، فالصُّوفيةُ يَخرجُونَ في المَعْرَكةِ واضِعينَ أكْفانَهم على أكْتافِهم، ويكونُونَ بنياناً مَرْصُوصاً ضدَّ الكفّار. وفيما يلي بعضُ الأمثلة:

١ - في القَرْنِ السّابعِ الهجريّ لما قَضى التّتار على الخِلافةِ العبّاسيّةِ والدّولةِ الإسلاميّةِ الوحيدةِ لجَلالِ الدين خَوارِزم الشّاه، وضُرِب المَثَلُ المَعْرُوفُ: إذا قِيلَ لكَ أنّ التّتارَ انْهزَمُوا فلا تُصدّقْ. وفي مِثلِ هذه الأوْضاعِ السيئةِ حوّل الشّيخُ محمّد الدربندي وأمثاله رَحِمَهُمُ اللّه تعالى قُلوبَ أبناءِ مُلوكِ التّتارِ، فأسْلَمَ أبناءُ هؤلاءِ المُلوكِ بَعْدَ ثلاثين سَنَةً وجَعَل لِواء الإسْلامِ يَنخَفِقُ مِنْ جَديدٍ. قال الدكتور محمد إقبال ما معناه:

قد تبيّن من قِصّةِ تتارٍ إلى اليوم
أنْ قد وجدَ الحُرّاسَ للكَعْبةِ من بَيْتِ الأصْنام

٢ - لمّا ثارَتْ عاصِفةُ الدّينِ الإلهيّ في الهِندِ في عَهدِ المَلِكِ أكْبر، رَفَعَ الشّيخُ مجدّد الألف الثاني لواءَ إحياءِ الدّينِ، وألْقى التّوجهاتِ على قُلوبِ رؤساءِ الجُنُودِ الكِبارِ أمْثال شَيْخ فَريد وخان خانان. جاء زَمَنٌ انقلعتِ البَدعاتُ السيئةِ وانتهتْ، وكأن الأرْضَ أُحْييتْ بعد مَوْتِها، وكان المَلِكُ العادِلُ المتديّن أورنكزيب من ثَمَراتِ جُهُودِه.

٣ - هاجَمَ الرّوسُ داغستانَ فتقدّم مشايخ الطّريقةِ أمثال الغازي محمّد الشهيد والشيخ حَمْزة والشيخ شامِل، وقاتلوا الشيوعيين ٤٦ سنة بداية من ١٨١٣م إلى ١٨٥٩م.

٤ - أقامَ الشيخُ أحمَد الشّريف السنوسي مريديه في حَرْب طَرَابُلس ضدّ

الإيطاليين وحَارَبَهم خَمْسَ عَشْرة سنةً محاربة شديدة، والزاوية السنوسية بالصّحراء العظمى من أفريقيا مشهورة إلى الآن.

٥ ـ قاتَل الأميرُ عبد القادر في الجَزائر ضِدّ الفرنسيين في القَرْنِ التّاسعَ عَشَر الميلادي خَمْسَ عَشْرَةَ سنة من ١٨٣٢م إلى ١٨٤٧م وكَانَ مِنْ شيوخ الطريقةِ.

٦ ـ قد احتلّت مَقاماً عظيماً في التاريخ أسْماءُ الحَافظِ ضامِنِ الشّهيد رحمه اللّه تعالى في مَعْركةِ شاملي، والسيّد أحْمَد الشهيد، والشّاه إسماعيل الشهيدان ببالاكوت رَحِمهم اللّه تعالى لِحُصُولِ التحريرِ من الإنكليز. وهؤلاء مِنْ مَشايخ الصّوفية.

٧ ـ كانَ السيّد جَمَالِ الدين الأفْغَانيّ مِنْ أفغانستان، وشَيْخ الهِنْد مولانا محمود حسن من الهند المَعْروف بأسير مالتا، والشّيخ حسن البناء من سلسلة الشاذلية، كلّ هؤلاء مشايخُ الطّريقة قد جَاهَدُوا بالسّيْف. وتاريخ الإسْلَامِ نَاقِصٌ بدون ذكر هذه الضّحايا العظيمة.

٨ ـ قَدْ أثَارَ شَيْخُ السّلْسِلَةِ النّقْشبندية حَضْرةُ مرزاجانِ جانان الشّهيد رَحِمَه اللّه تعالى شَوْقَ الجهَادِ في مُريديه حتى قالَتِ امرأةٌ تُخَاطِبُ ابنَه:

قَـالَـتْ أمّ مـحـمّـد عـلـي لـه ضَحِّ بنفْسِك يا بني للخِلَافةِ

أثبتوني مِنْ آثارِ شَوْقِ الجِهادِ في الشّيخ محمّد علي جَوْهر، وفي الشّيخِ شَوْكَتْ علي، وكُتِبَ على قَبْرِ شَيْخ قُتِلَ بِيَدِ ظَالِم أبياتٌ معناها: وجَدُوا في لَوْحِ قَبْري مَكْتُوباً في الغَيْب: أن لَيْسَ لهذا المَقْتُولِ ذَنْبٌ سِوَى لا ذَنْبَ.

هَاجَرَ الشّيخُ محمّد علي جَوْهر لتحريرِ المُسْلمينَ من بيته إلى لندن حتى يُبَلّغَ صوتَ المُسْلمين إلى برلمان الإنكليز، وتَحَمّلَ مَشَاقَ الحَبْس، ولمّا هُدّدَ بالإعْدَامِ وَقَفَ أَمَامَ العَدُوّ وجَاهَدَ أفْضَلَ الجِهَادِ وفقاً لحديثِ:

«أفضَلُ الجِهادِ مَنْ قالَ كَلِمَةَ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطانٍ جائِرٍ».

وخاطبَ الكُفْرَ وقالَ: لا تَحْسَبُوا إلّا أنَّ لي فناء، ولَكِنَّ الحقيقة أنَّ لي أسْبابَ البَقاءِ مِنَ الغَيْبِ، الرِّسالةُ التي وَصَلَتْ إلى الحُسَيْنِ بن عليٍّ رضي الله عنه: أنا مَسْرُورٌ أنَّ لي تِلْكَ الرِّسالة رِسالة القَضاءِ مَوْتٌ في سَبيلِ الله، يا طَبيبُ هو الدَّواء الإكسير لي لا سِواهُ.

التَّوحيدُ: هو أنْ يَقُولَ اللهُ في المَحْشَرِ: هذا العَبْدُ غَضْبانُ على الكَوْنَيْنِ لابتغاءِ مَرْضاتي.

وصلَّى اللهُ على خَيْرِ خَلْقِهِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وأصْحابِهِ أجْمَعينَ.

# فهرس المحتويات